

جــامعة سبـهـــا

كلية الآداب – إدارة الدراسات العليا

قسم علم التفسير

رسالة مقدمة لنيل درجة الإجازة العليا(الماجستير)

القصص القرآني وأثـــره في العقيدة

سورة الكهف أنموذجاً

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الإجازة العالية (الماجستير) في علوم القرآن

إعداد الطالب /

أبـو بـكر أحمد محمد أبـو جرادة

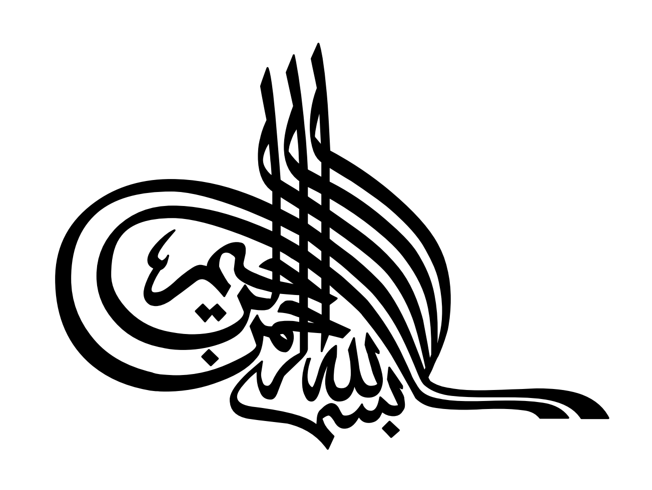
إشراف الدكتور /

الصديق على اوهيبة

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الإجازة العالية(الماجستير)

بتاريخ 2011/6/20 ف ، تاريخ المناقشة 2012/6/4م.

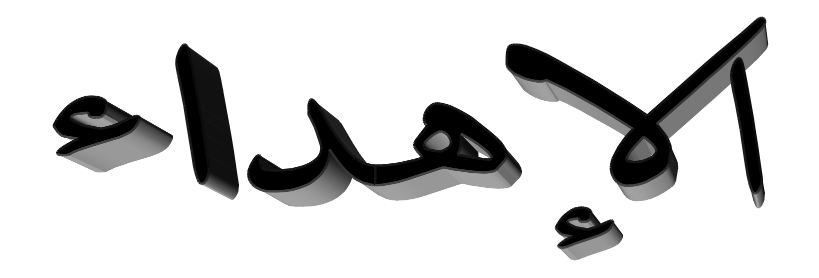
العام الجامعي 2011– 2012م



﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً ﴾ (1)



(1) سورة الكهف، الآية (105)



إلى خير خلق الله أجمعين نبينا وحبيبنا محمد بن عبد الله المبعوث رحمة للعالمين عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة وأزكى التسليم .

إلى من أوصاني ربي ببرهما والإحسان إليهما .

أبى وأمي

إلى من قاسموني مشوار حياتي وكانوا لي عونا وسندا

إخوتي

إلى شيخي الفاضل من علمني كتاب الله وغرس محبته في قلبي،

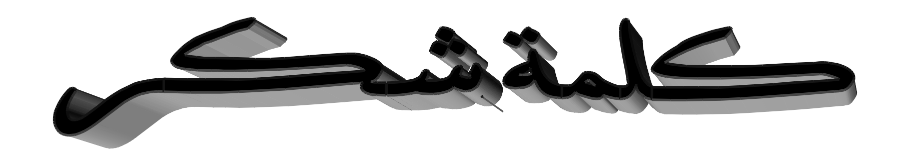
محمد عبد السلام حسن عثمان الحضيري جزاه الله عني كل خير

إلى من شرفني الله وأكرمني برفقتهم

أحبتي وأصدقائي .

إلى كل من مد لي يد العون وساعدني في إعداد هذا البحث المتواضع الذي أقصد به وجه الله أولا وأخيرا .

لكـــــل هـــــــؤلاء أهــــدي هــــذا العمــــــل .



الحمد لله رب العالمين حمدا يليق بجلاله وكماله وعظيم سلطانه حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد...

فالحمد لله من تعددت آلائه وعظمت نعمائه الواجب شكره أحمده حمدا كثيرا طيبا أن من علي بإتمام هذا العمل والذي أرجو أن يتقبله الله _تعالى _خالصا لوجهه الكريم ، وعملا بقوله _تعالى _ : **﴿وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ﴾** [1] و اقتداء بهدي النبي _صلى الله عليه وسلم_ الذي أوجب علينا شكر من أسدى إلينا خدمة ، فقال: ((من لا يشكر الناس لا يشكر الله)) [(2)]، فإني أتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان لكل من أسهم في إخراج هذا البحث وأخص بالذكر الدكتور الفاضل الصديق علي اوهيبة الذي تفضل بقبول الإشراف على هذا العمل ، وأمدني بتوجيهاته السديدة ونصائحه المفيدة ، ولا أغفل عن شكر جامعة سبها وإداراتها بجميع أقسامها وفروعها .

ولا يفوتني شكر القائمين على المكتبة المركزية بجامعة سبها وكل من مد لي يد العون والنصيحة لإتمام هذا البحث وإخراجه فإلى كل هؤلاء أتقدم بأسمى آيات الشكر والعرفان

مقـدمة

[1] ـ سورة البقرة ،الآية : 237.

[2] – أخرجه الترمذي في سننه . محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي،تح:أحمد محمد شاكر(دار إحياء التراث العربي ، بيروت : لبنان)، كتاب البر و الصلة ، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك ، ر. ق (1954) ، 339/4 ، و قال الترمذي : حديث حسن صحيح .

الحمد لله نحمده ونثني عليه بما أثنى في كتابه الكريم ، والصلاة والسلام على خير خلق الله _تعالى_ خير من عبد وحمد وشكر سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين .

أما بعد :

فإن نعم الله ، وآلائه كثيرة لا تعد ولا تحصى قال الله تعالى: **﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾** (1) ومن أجل نعم الله وأعظمها نعمة إنزال الكتاب على خير خلقه محمد _صلى الله عليه وسلم_ ، ولقد خص الله تعالى كتابه الكريم بالعناية والاهتمام اللازمين ؛لدوام إعجازه و استمراره ، قال تعالى: **﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾** (2)، وليس من كلام أدل على عظمة هذا الكتاب من قوله تعالى: **﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾**.(3)

القرآن الكريم هو مجموع السور التي تتألف من آيات صيغت وسيقت في سياق إلهي مبدع محكم معجز يتأكد إعجازه في كل لحظات الحياة ، وعلى مر العصور والأزمان من حين إنزاله إلى قيام الساعة .

ولقد اعتنى العلماء بدراسة هذا الكتاب الكريم عناية كبيرة فصنفوا سوره وبحثوا في معانيه ودلالاته وموضوعاته ، فتبين عظمة منزله لكل من درس ونظر وتأمل قال تعالى : **﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾**(4)، وتأكد تميز هذا الكتاب عن غيره من الكتب السماوية السابقة بتكفل الله _عز وجل _ بحفظه ، قال تعالى : **﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾** وقول الله تعالى :**﴿ وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾** (5)

---

(1)- سورة النحل، الآية:18.
(2) سورة الحجر ، الآية :9 .
(3) سورة الحشر، الآية :21.
(4) سورة فاطر، من الآية28 .
(5)- سورة النحل،الآية: 64.

إن دل هـذا فإنمـا يـدل علـى أنـه لـيس بكتـاب تعـاليم ديـن أو دسـتور فحسـب، ولكنـه كتـاب منهج حيـاة بكـل مراحلهـا، ومـا يكـون فيهـا، فمـن قـرأه وتـدبره وعمـل وصـدق بمـا فيـه اطمـأن قلبـه، وتحققـت سـعادته فـي حياتـه وآخرتـه .

فهـي إحـدى سـور القـرآن الكـريم التـي تميـزت بالطـابع القصصـي الـذي يبلـغ حـوالي ثمانيـة أجـزاء مـن القـرآن، ولمـا كـان القصـص القرآنـي مـن أبلـغ الخطابـات التقويميـة وجـب الإحتجـاج بـه ؛ دِلالَـةٍ علـى أهميتـه وثـراء موضوعاته ، وليس بخفي ثمار فوائده ونتائجه لمن قرأ واتعظ.

وسـبب اختيـار هـذا البحـث يرجـع إلـى الرغبـة فـي الوقـوف علـى معـاني آيـات هـذا الكتـاب المعجـز وأسـراره ، ومـن جانـب آخـر تطويـع الـنفس للامتثـال لأوامـر الشـارع الحكـيم القائـل : **﴿ أَفَـلَا يَتَـدَبَّرُونَ الْقُـرْآنَ أَمْ عَلَـى قُلُـوبٍ أَقْفَالُهَـا ﴾** [1] والبعـد عـن الـدخول فـي مـا صـرحت بـه الآيـة الكريمـة فـي قولـه تعـالى: **﴿ وَقَـالَ الرَّسُـولُ يَـا رَبِّ إِنَّ قَـوْمِي اتَّخَـذُوا هَـذَا الْقُـرْآنَ مَهْجُـورًا﴾**[2] كمـا أن حـب هـذا الكتـاب الكـريم جعلنـي أطـالع آياتـه ، فوجـدت لهـذه السـورة فضـائل لهـا علاقـة بالسـلامة والنجـاة مـن فتنـة عظيمـة ، الأمـر الـذي حثنـي علـى البحـث فيهـا ، وخصوصـا أن كثيـرا مـن النـاس يقرؤونهـا كـل جمعـة فرغبـت أن أقـف على سر المناسبة بين هذه السورة والعصمة من الدجال.

ولعـل تفـرد هـذه السـورة بـذكر قصـص لـم تـذكر فـي غيرهـا مـن السـور وكونهـا حلـت مـن القـرآن الكـريم محـل القلـب مـن الجسـد، ولأن كثيـرا مـن النـاس انشـغلوا بهـذه الـدنيا وغفلـوا عـن أمـر الآخـرة يعـد سـببا مـن أسـباب اختيارهـا ،فـأراد الباحـث أن يشـير مـن خـلال هـذا البحـث إلـى حقيقـة الـدنيا ومـا يجـب علـى المـؤمن تجاههـا ،و أن يبـين السـر فـي خصوصـية هـذه السـورة بتلـك القصص التي وردت فيها .

---

(1)سورة محمد ، الآية :25 .
(2)سورة الفرقان ، الآية : 30 .

والهدف من هذا البحث بشكل عام الدعوة إلى تأمل القرآن الكريم، وتوجيه الناس إلى كيفية التعامل مع الآيات، والذي يتحقق في معنى قوله تعالى : **﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ * ﴾**[1]، وكذلك الرغبة في بيان العلاقة بين هذه السورة وتحقق العصمة من فتنة الدجال، وبيان المعنى العقائدي السليم الذي يضمن النجاة لمن التزمه في حياته .

ومما لا شك فيه ثراء كتب التفسير بالمعاني والدلالات حول هذه السورة شأن غيرها من السور، لكونها تقوم على البحث عن مراد الله تعالى بما يفتح به على الباحثين والدارسين لكتابه الكريم .

وقد تم الاعتماد في هذا البحث على كتب تفسير القرآن الكريم ومن ذلك تفسير الطبري وتفسير القرطبي والبحر المحيط وتفسير أبي السعود وتفسير ابن كثير وغيرها من الكتب ،واعتمد على ضبط مصحف المدينة عند رسم الآيات أثناء البحث ، و أما بالنسبة للمنهج المتبع في هذه الرسالة فهو المنهج الوصفي و النقلي و الاستقرائي و الاستدلالي و الاستنباطي .

واقتضت طبيعة البحث أن يقوم على دراسة أهم القصص التي تناولتها السورة (قصة أصحاب الكهف، وقصة موسى _عليه السلام _ والعبد الصالح، وقصة ذي القرنين)، وأما باقي الآيات فقد تم التعرض إليها بإيجاز دون إطناب في محله.

وأما بالنسبة لهيكلية البحث فإنه يقع في مقدمة، وأربعة فصول وخاتمة، وفهارس، مرتبا على النحو الآتي .

المقدمة :

وتشتمل على التعريف بالموضوع ، وبيان أسباب اختياره ، والغرض من دراسته و الدراسات السابقة حوله ، ومنهج دراسته و هيكليته.

الفصل الأول : بين يدي السورة ، ويتضمن هذه المباحث الرئيسة .

([1]) سورة العلق ، الآية :1-5 .

مبحث أنواع الفتن وكيفية العصمة منها،مبحث العصمة الكاملة، مبحث تسمية السورة، مبحث فضائل السورة وأسباب النزول فيها ومكيتها، مبحث بيان علم المناسبة وأنواعها،مبحث في ظلال السورة وبعض أوجه التشابه و الترابط بين قصصها،مبحث البنية الفنية للسورة، مبحث الأزمنة والعوالم في القصة و سنن الله في خلقه، مبحث الحوار في سورة الكهف.

وأما الفصول الثلاثة الباقية فإن كل فصل منها يتناول قصة من القصص السابق ذكرها ، و يتضمن كل منها ثلاثة مباحث رئيسة بعنوان.

المبحث الأول : في رحاب القصة .

المبحث الثاني : الأثر العقائدي في القصة .

المبحث الثالث : الإعجاز في القصة .

وأما فيما يتعلق في بيان الخطوات والنهج الذي حاول الباحث أن يلتزمه طوال كتابته للبحث .

فيجب القول بداية أني حاولت الابتعاد عن الإسهاب الممل ،والإيجاز المخل بقدر الإمكان.

أما بالنسبة إلى الآيات فلقد قمت بعزو الآيات كاملة ،ولم أعد ذلك عند التعرض لها فيما بعد عند التعامل معها ،وقمت بالتهميش للمصادر والمراجع وفق النسق الآتي :

اسم الكتاب و اسم مؤلفه و اسم المحقق ومعلومات نشره كاملة .

وأما بالنسبة للأحاديث فلقد حاولت نسبتها لكتب الأحاديث إلا التي لم أجدها فإني قمت بإرجاع نسبتها للكتاب الذي وجدتها فيه ، وختمت عملي في آخر البحث بخاتمة اشتملت على أهم النتائج المستخلصة من الدراسة، كما اشتملت على التوصيات التي أشرت إليها، كما ذيلت البحث بفهارس متنوعة؛ لتيسير الإطلاع على مادته، و تتمثل في فهارس الآيات التي رتبتها باعتبار ترتيب السور أولا ثم ترتيب الآيات فيها ثانيا، وفهرس الأحاديث التي رتبت بحسب اعتبار ترتيب الحرف الأول منها وفق ترتيب الحروف الهجائية، وفهرست المصادر والمراجع التي استخدمتها في بحثي

على حروف المعجم،وترجمت أشهر الأعلام الذين ذكرتهم ، وختمت كل ذلك بفهرسة موضوعات البحث .

الفصـــل الأول

بين يـــدي الســـورة

المبحث الأول : أنواع الفتن وكيفية العصمة منها.

المبحث الثاني : تسمية السورة.

المبحث الثالث: فضائل السورة وأسباب النزول فيها ومكيتها.

المبحث الرابع : بيان علم المناسبة وأنواعها.

المبحـــث الخـــامس : فـــي ظـــلال الســـورة وبعـــض أوجـــه التشـــابه والترابط بين قصصها.

المبحث السادس : البنية الفنية للسورة.

المبحـــث الســـابع : الأزمنـــة والعـــوالم فـــي القصـــة و ســـنن الله فـــي خلقه.

المبحث الثامن : الحوار في سورة الكهف

تعد سورة الكهف من السور المكية التي استهلت بالتحميد على إنزال الكتاب للتنويه بالقرآن تطاولا من الله _تعالى_ على المشركين وملقنيهم من أهل الكتاب [1].

لقد تضمنت السورة الكريمة ثلاث قصص من روائع القصص القرآني لبيان أهدافها لتحقيق العقيدة، والإيمان بقدرة الله تعالى وعظمته، مبتدئةً بقصة الكهف التي سميت بها هذه السورة ، ويربطها محور واحد وهو أنها تجمع الفتن الثلاثة في الحياة : فتنة الدين في (**قصة أهل الكهف**)، و فتنة العلم في (**قصة موسى عليه السلام والخضر**)، وفتنة السلطة في (**قصة ذي القرنين**) واستخدمت ثلاثة أمثلة واقعية لبيان أن الحق لا يرتبط بكثرة المال والجاه والسلطان فكلها آيلة إلى الزوال، وإنما يرتبط بالعقيدة الصحيحة التي تتمثل في الصدق واليقين بالله، المثل الأول في قصة صاحب الجنتين للغني المزهو بماله ، والفقير المعتز بعقيدته والمثل الثاني : للحياة الدنيا وما يلحقها من فناء وزوال، والمثل الثالث مثل التكبر والغرور مصورا في حادثة امتناع إبليس عن السجود لآدم .

ولما كان المحرك الرئيس للفتن والمسبب لها هو الشيطان أتى البيان بحقيقته في قوله _تعالى_ حكاية عن بدء عصيانه وحثا على الحذر منه :

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ [2] وللتأكيد على ضرورة الحيطة منه ناسب مجيء الآية في وسط السورة .

وليس التحذير من إبليس بذاته، وإنما جعل مثالاً لأخذ الحيطة من عصيان الله_تعالى_ فمن شابه الشيطان في أفعاله وتصرفاته كان إبليساً كافراً بربه ، والسجود في الآية ليس لذات آدم ، وإنما أريد به السجود امتثالا لأمر الله تعالى وإن كان الله _عز وجل_ حذر في الآية الكريمة من الشيطان ومن كان على شاكلته ، فإن الرسول _صلى الله عليه وسلم_ قد وردت عنه

---

(1) ينظر تفسير التحرير والتنوير.محمد الطاهر بن عاشور؛ (دارسحنون : تونس ، 1977م) ، 245/15.
(2) سورة الكهف ، الآية : 50.

أحاديث نبه فيها على ضرورة التعوذ من المسيح الدجال ،وليس ذلك إلا لعظم شره وكيده ، وللفتن التي سيأتي بها لإضلال العباد و إفساد معتقداتهم .

وكان النبي _صلى الله عليه وسلم _ يستعيذ في صلاته من أربع منها فتنة المسيح الدجال عن عبد الله ابن عباس_رضي الله عنهما _ أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن يقول : **((اللهم إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا وَالممات))** [1].

وإن كان حديث النبي _صلى الله عليه وسلم _ يحث على أن يتعوذ الإنسان طوال يومه خمس مرات من أربع فتن، فكذلك سورة الكهف تناولت أربع فتن ، وبينت كيف للمؤمن أن يحفظ نفسه من الوقوع فيها ، وعدد الشرقاوي تلك الفتن بحسب ورودها في السورة ، وأشار لما يعصم منها وفق الآيات الكريمة [2] ، وذلك ما نتحدث عنه في المبحث الآتي .

(1) أخرجه أبو داود في سننه . أبو داوود سليمان بن الأشعت بن اسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني ،تح : محمد محيي الدين عبد الحميد ،(صيدا ،بيروت) ، باب في الاستعاذة ، رقم : 1542، 2/ 90.
(2) ينظر تأملات في قصة أصحاب الكهف . إعداد احمد محمد الشرقاوي ؛ (العدد السابع عشر، 2004م)،ص16

المبحث الأول

أنواع الفتن وكيفية العصمة منها

المطلب الأول _ أنواع الفتن .

المطلب الثاني _ كيفية العصمة من الفتن

المطلب الأول _ أنواع الفتن

معنى الفتنة : الابتلاء و الامتحان و الاختيار ، و أصلها مأخوذ من الفتن ، و هو (إذابة الذهب و الفضة بالنار) ؛ لتميز الرديء من الجيد .

وهذا بيان لأنواع الفتن التي نزلت آيات قصص السورة ؛ لتبين وتعلم كيفية علاجها و التحرز منها .

1. **فتنة الدين :** قصة الفتية الذين هربوا بدينهم من الملك الظالم فانتقلوا إلى الكهف، تاركين وراءهم الحياة ونعيمها مؤثرين شظف العيش، حيث حدثت لهم معجزة إبقائهم فيه ثلاثمائة سنة وازدادوا تسعا ثم صارت قريتهم موحدة أثناء نومهم ، وفي قصتهم إرشاد وإعلام بأن أرض الله واسعة أمام من أراد أن يفر بدينه فلا أحد يحول بين العبد وربه ، كما إنها تدل على قدرته على البعث بعد الممات .

ثم تأتي الآيات تبين كيفية العصمة من هذه الفتنة فقال تعالى **﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا * وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا *﴾**[1] فالعصمة من فتنة الدين تكون بالصحبة_الصالحة وتذكر الآخرة .

2 . فتنة المال : لما علم الله _تعالى_ ما يئول إليه أمر تعلق الإنسان بالمال ضرب لذلك مثلا في قصة صاحب الجنتين ، وبين من خلاله عاقبة من انشغل بماله عن ربه ، ثم ذكر كيف للمرء أن يتخلص من شر هذه الفتنة بشكر المنعم بها قال تعالى : **﴿ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾** [2] ، ونبهه إلى ضرورة الحذر من البطر بالنعمة .

---

(1) سورة الكهف ، الآية 28- 29 .
(2) سورة الكهف ، من الآية : 39 .

3. **فتنــة العلـم:** تتجلـى فـي قصـة موسـى _عليـه السـلام _   مـع الخضـر لمَّـا ظنّ أنـه أعلـم أهـل الأرض فـأوحى لـه الله تعـالى بـأن هنـاك مـن هـو أعلـم منـه فـذهب إليـه ليلقـاه ويـتعلم منـه، فلـم يصـبر علـى مـا فعلـه الخضـر؛ لأنـه لـم يفهـم الحكمـة فـي أفعالـه ؛ وإنمـا أخـذ بظاهرهـا فقـط ، ثـم تـأتي آيـة العصـمة مـن هـذه الفتنـة قـال عـز و جـل : ﴿ **قَـالَ سَـتَجِدُنِي إِن شَـاءَ اللَّـهُ صَـابِرًا وَلَا أَعْصِـي لَـكَ أَمْـرًا** ﴾ [1]، فالعصـمة مـن فتنـة العلـم تكـون بالتواضـع ، وعـدم الغـرور بـالعلم، واسـتثماره فـي الطريق الصحيح .

4. **فتنـــة الســلطان:** تتمثـل فـي قصـة ذي القـرنين ذلـك العبـد الـذي مكـن لـه ربـه وآتـاه مـن فضـله فاسـتثمر تلـك الأسـباب ، والعلـوم ولـم يفتـتن بسـلطانه ،وانتقـل بتوفيـق الله_ تعـالى _وسـافر إلـى حيـث أخبـر القـرآن، وجعـل الله لـه آيـة السـد العظـيم تشـهد علـى صـدق تلـك الرحلـة ، ومـا آلـت إليـه ، ثـم أتـى بآيـة العصـمة، قـال تعـالى : ﴿**قُـلْ هَـلْ نُنَبِّـئُكُمْ بِالْأَخْسَـرِينَ أَعْمَـالًا * الَّـذِينَ ضَـلَّ سَعْيُهُمْ فِـي الْحَيَـاةِ الـدُّنْيَا وَهُـمْ يَحْسَـبُونَ أَنَّهُـمْ يُحْسِـنُونَ صُـنْعًا** ﴾ [2] فالعصـمة من فتنة السلطان تتحقق بالإخلاص لله تعالى في الأعمال وتذكر الآخرة .

المطلب الثاني _ كيفية العصمة من الفتن

بـين الله _تعـالى_ فـي هـذه السـورة الكريمـة فـي آخـر آيـة كيفيـة العصـمة الكاملـة مـن الفـتن بتـذكر اليـوم الآخـر فقـال تعـالى : ﴿ **قُـلْ إِنَّمَـا أَنَـا بَشَـرٌ مِـثْلُكُمْ يُـوحَى إِلَـيَّ أَنَّمَـا إِلَهُكُـمْ إِلَـهٌ وَاحِـدٌ فَمَـنْ كَـانَ يَرْجُـو لِقَـاءَ رَبِّـهِ فَلْيَعْمَـلْ عَمَـلًا صَـالِحًا وَلَا يُشْـرِكْ بِعِبَـادَةِ رَبِّــهِ أَحَـدًا** *﴾[3] فعلـى العبـد المـؤمن أن يعمـل عمـلاً صـالحاً صـحيحاً خالصـاً لله حتـى يُقبـل، وأنْ يتجنـب الفـتن انتظـارا للقـاء الله تعالى.

وتشـترك هـذه القصـص (قصـة أصـحاب الكهـف ، وقصـة موسـى _عليـه السـلام_ والعبـد الصـالح، وقصـة ذي القـرنين) جميعهـا فـي أن كـل حوادثهـا جميعهـا مـن الخـوارق المعبـرة التـي يعجـز الإنسـان عـن تصـورها

([1]) سورة الكهف ، الآية: 68 .
([2]) سورة الكهف ، الآية:103، 104.
([3]) سورة الكهف ، الآية : 110.

وإدراكها في عالم الواقع المحدود ما لم يكن له دين يصله بأسباب السماء ، فينسب هذه الأحداث إلى قدرة الله تعالى رب العالمين وإن لم تدرك الحكمة منها .

فنومة أصحاب الكهف ويقظتهم بعد مئات السنين ، وهذه الأحداث التي يجريها الرجل الصالح على غير ما يبدو من طبائع الأشياء التي يستنكرها موسى _عليه السلام_ ؛ لمخالفتها الوجه الظاهر السليم لها، وذو القرنين وما مكّن الله له في مشارق الأرض ومغاربها ،والحاجز الذي أقامه في وجه يأجوج و مأجوج ،كل هذه الأحداث معجزات قاهرة تجعل الإنسان يقف أمامها مذهولا مبهورا ولا يجد لها سندا يضيفها إليه إلا أن يكون الإله القادر الذي ينفرد بالألوهية، فقصة أصحاب الكهف تجيء مع هذه القصص وكأنها جميعها وحدة واحدة تخدم جميعها دعوة التوحيد لله الواحد القهار .

جاء في كتاب قصص الرحمن في ظلال القرآن : " إن هذا الكون خاضع في غالب الأحوال لأسباب طبيعية تتحكم في العالم وتتصرف فيه ، وهى القوى الكونية التي تسيطر على هذا النظام، وهى الأسباب وخواص الأشياء التي قلما تفارق هذه الأشياء ، وقلما تخطيء ، وفى الناس من اقتصر نظره على هذه الحياة وهذا العالم المادي المحسوس،ورأى أن المسببات والنتائج تابعة دائما لأسبابها وعللها مرافقة لها لازمة، ليس في هذا الوجود من يحول بين هذه الأسباب وهذه المسببات ويتصرف فيها بإرادته المطلقة ، ويستطيع أن يوجد المسببات من غير أسباب ويبدعها، وتعلق بهذه الأسباب وعبدها كالأرباب وكفر بكل قوة وراء هذه الأسباب والخواص، وبكل قوة تسيطر على هذا العالم وتحكمه حكما مطلقا كليا وكفر بالحياة بعدها وبالبعث والنشور" [1] .

ويتبين من خلال قصص سورة الكهف المعجزة قصور هذا المفهوم وعدم وصول متتبعيه وأصحابه إلى مراتب الإيمان العليا " وهناك نظرة

([1]) قصص الرحمن في ظلال القرآن . أحمد فائز الحمصي ؛ (مؤسسة الرسالة) ، 352/4 .

أخرى في هذا الكون تعارض النظرة الأولى في الأساس والمنهج ،وهى أن وراء هذه الأسباب الطبيعية ، والقوى الكونية ،والخواص المودعة في الأشياء قوة غيبية تملك زمام هذه الأسباب والخواص ، وكما أن هذه الأسباب سبب لهذه المسببات فالإرادة الإلهية القاهرة سبب لهذه الأسباب نفسها تخلقها وتسيرها وتفكها من مسبباتها القاهرة إذا شاءت ، فهي سبب الأسباب ،وهى علة العلل ، وإليها المنتهى في سلسلة الأسباب والعلل ، وأن خالق هذا الكون ،وخالق هذه الأسباب لم يفلت من يده زمام هذا الكون في حين من الأحيان ، ولم تتحرر هذه الأسباب من رقه وحكمه ،وهى لا تتمرد عليه ولا تستعصي ،ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء ، هو الذي ربط الأشياء بالأسباب والمقدمات بالنتائج لحكمة بالغة وإرادة قاهرة ،وهو الذي يربط ويفك ويثبت ويمحو، ويوجد الأشياء من العدم قال تعالى :**﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾**[1][2] .

---

(1) سورة يس ، الآية : 82.

(2) قصص الرحمن في ظلال القرآن . 352/4 .

المبحث الثاني

تسميـة السـورة

قسم العلماء _رحمهم الله _القرآن العزيز بحسب أربعة أقسام[1] : الطول[2] والمئون[3] والمثانى[4] والمفصل[5] ، كما جاء في الحديث المرفوع عن النبي _ صلى الله عليه وسلم _ قال : ((أعطيت السبع الطول مكان التوراة ، و أعطيت المئين مكان الإنجيل، وأعطيت المثاني مكان الزبور ، و فضلت بالمفصل)) [6] .

إن عدد سور القرآن العظيم باتفاق أهل الحل والربط مائة وأربع عشرة سورة كما هي في المصحف العثماني ، أولها الفاتحة وآخرها الناس، وعدد آياته في قول علي _رضي الله عنه_ : ستة آلاف ومائتان وثماني عشرة، واختلف العلماء في عدد الآي والكلم والحروف ، وتعد سورة البقرة هي أطول سور القرآن ، وأقصرها الكوثر[7] .

واختلف العلماء في ترتيب وضع السور بين توقيفي واجتهادي يقول صاحب البرهان : " لترتيب وضع السور في المصحف أسباب تطلع على أنه توقيفي صادر عن حكيم : أحدها بحسب الحروف، كما في الحواميم ، وثانيها لموافقة أول السورة لآخر ما قبلها، وثالثها للوزن في اللفظ، كآخر (تبت) وأول الإخلاص، و رابعها لمشابهة جملة السورة لجملة الأخرى مثل (والضحى) "[8].

([1]) ينظر البرهان في علوم القرآن . بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي ؛ تـــح : محمد أبو الفضل إبراهيم ؛ (دار الجيل ، بيروت :لبنان ، 1988) ،244/1 .

([2])الطول سبع سور أولها البقرة ، وأخرها براءة يعدون الأنفال وبراءة سورة واحدة ، وحكي عن سعيد بن جبير أنه عد السبع الطول، (البقرة ، وآل عمران ،و النساء ، و المائدة ،و الأنعام ، و الأعراف ، ويونس).

([3]) المئون هي السور التي تزيد آياتها عن مئة وهى ما ولى السبع الطول .

([4]) المثاني: ما ولى المئتين في عدد الآيات وسمى القران كله مثاني ؛لأن الأنباء والقصص تثنى فيه .

([5]) المفصل : هو أواخر القرآن ، واختلفوا في تعيين أوله على اثني عشرة قولا وقيل غير ذلك، وصحح النووي أن أوله الحجرات ، وسمى بالمفصل لكثرة الفصل بين سوره بالبسملة كما روى البخاري عن سعيد ابن جبير قال (إن الذي تدعونه المفصل هو المحكم) ، أخرجه البخاري مع كشف المشكل . ابن الجوزي ، تح: مصطفى الذهبي ؛ط 1؛ (دار الحديث ، القاهرة : مصر ، 2000ف) ، كتاب: فضائل القرآن ، باب تعليم الصبيان ، رقم الحديث:4647 . والمفصل ثلاثة أقسام:طوال وأوساط وقصار.

(8) أخرجه الطبراني .المعجم الكبير. سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: 360هـ)، تح:حمدي بن عبد المجيد السلفي ؛ط2 ، (مكتبة ابن تيمية ، القاهرة : مصر) ، باب من اسمه واثلة ، 22 /76 .

([7]) ينظر البرهان في علوم القرآن . 1 /251-252 .

([8]) المصدر نفسه .260/1 .

وهنـاك مـن يـرى أن ترتيـب بعـض السـور كـان بتوقيـف مـن النبـي – صـلى الله عليـه وسـلم _ والـبعض الآخـر يقـول : كـان باجتهـاد الصـحابة، ويختلـف ترتيـب الآيـات فـي السـورة الواحـدة عـن ترتيـب نزولهـا، وهـذا الترتيـب لـيس مـن عنـد النـاس بـل ترتيـب حكـيم صـدر عـن حكـيم جـاء عـن طريـق الوحي إلى النبي محمد_ صلى الله عليه وسلم – ومنه إلى الأمة [1] .

تسـمى السـورة التـي تمثـل موضـوع البحـث : " **بسـورة الكهـف** " فـي المصـحف، وجـاء فـي التحريـر والتنـوير : " سـماها رسـول الله– صـلى الله عليـه وسـلم – سـورة الكهـف[2] ، وكـذلك وردت تسـميتها عـن البـراء بـن عـازب قـال : كـان رجـل يقـرأ سـورة الكهـف وإلـى جانبـه حصـان مربـوط بشـطنين فتغشـته سـحابة فجعلـت تـدنو و تـدنو وجعـل فرسـه ينفـر فلمـا أصـبح أتـى النبـي _صـلى الله عليـه وسـلم _ فـذكر ذلـك لـه فقـال :((تلـك السـكينة تنزلـت بـالقرآن)) [3] ، وفـي حـديث أخرجـه ابـن مردويـه عـن النبـي– صـلى الله عليـه وسـلم– أنـه سـماها **سـورة أصـحاب الكهـف** [4]، ولعـل سـبب التسـمية راجـع إلـى أن قصـة أصـحاب الكهـف كانـت فـي أول القصـص التـي وردت فـي السـورة ، وللتفصـيل الـذي حظيـت بـه، ولارتباطهـا فـي الدلالـة ببقيـة القصـص، ولأن الكهـف ذكـر صـراحة فـدل علـى أهميتـه ودوره فـي القصـة لمـا جعلـه الله مـلاذ آمنـا قـال تعـالىً: **﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُـوهُمْ وَمَـا يَعْبُـدُونَ إِلَّا اللَّـهَ فَـأْوُوا إِلَـى الْكَهْـفِ يَنْشُـرْ لَكُـمْ رَبُّكُـمْ مِـنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا﴾**[5].

ويقـول صـاحب البرهـان فـي تسـمية السـورة : " ينبغـي النظـر فـي وجـه اختصـاص كـل سـورة بمـا سـميت بـه ، ولا شـك أن العـرب تراعـى فـي الكثيـر مـن المسـميات أخـذ أسـمائها مـن نـادر، أو مسـتغرب يكـون فـي الشـيء مـن خلـق ، أو صـفة تخصـه، أو تكـون معـه أحكـم ،أو أكثـر ،أو

---

(1) ينظر إمعان القرآن في نظم الآي والسور . محمد عناية الله أسد سجاني؛ ط1؛ (دار عمان، عمان :الأردن 2003 م) ص 81.
(2) تفسير التحرير والتنوير.241/15.
(3) أخرجه البخاري في صحيحه. محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي،تح: محمد زهير بن ناصر الناصر،ط1(دارطوق النجاة،1422ه) كتاب فضائل القرآن ، باب فضل سورة الكهف ، رقم 5011 ، 6/ 188 .
(4) ينظر تفسير التحرير والتنوير .241/15 .
(5) سورة الكهف ، من الآية (16) .

أسـبق ؛لإدراك الرائـي للمسـمى ، ويسـمون الجملـة مـن الكـلام أو القصـيدة الطويلـة بمـا هـو أشـهر فيهـا ، وعلـى ذلـك جـرت أسـماء سـور الكتـاب العزيـز، كتسـمية سـورة البقـرة بهـذا ؛ لقرينـة ذكـر قصـة البقـرة المـذكورة فيهـا، وعجيـب الحكمـة منهـا ، وسـميت سـورة النسـاء بهـذا الاسـم لمـا تـردد فيهـا مـن كثيـر مـن أحكام النساء " [1] .

وعـدد آياتهـا فـي عـد قـراء مكـة والمدينـة مائـة وخمسـا، وفـي عـد قـراء الشـام مائـة وسـتا، وفـي عـد قـراء البصـرة مائـة وإحـدى عشـرة، وفـي عـد قـراء الكوفـة مائـة وعشـر، بنـاء علـى اخـتلافهم فـي تقسـيم بعـض الآيـات إلـى آيتين [2].

نزلـت بعـد سـورة الغاشـية ، وقبـل سـورة الشـورى، وهـي الثامنـة والسـتون فـي ترتيـب نـزول السـور عنـد جـابر بـن زيـد ، ولترتيبهـا فـي المصـحف مناسـبة حسـنة ألهـم الله إليهـا صـحابة رسـول الله _صـلى الله عليـه وسـلم_ لمـا رتبـوا المصـحف فإنهـا تقـارب نصـف المصـحف، إذ كـان فـي أولهـا موضـع قيـل : هـو نصـف حـروف القـرآن، وهـو التـاء مـن قولـه تعـالى : **﴿وَلْيَتَلَطَّـفْ﴾** ، وقيـل : هـو نصـف حـروف القـرآن هـو (النـون) مـن قولـه تعـالى: **﴿ لَقَـدْ جِئْـتَ شَـيْئًا نُكْـرًا﴾**[3] فـي أثنائهـا ، وهـو نهايـة خمسـة عشـر جـزءا مـن القـرآن ،وذلـك نصـف أجزائـه وهـو قـول تعـالى: **﴿ قَـالَ أَلَـمْ أَقُـلْ لَـكَ إِنَّـكَ لَـنْ تَسْـتَطِيعَ مَعِـيَ صَـبْرًا ﴾**[4] فجعلت هذه السورة في مكان قرابة نصف المصحف[5].

فـالكهف فـي السـورة مـا هـو إلا تعبيـر علـى أن العصـمة مـن الفـتن تكـون بـاللجوء إلـى الله حتـى لـو كـان ظـاهر الأمـر مخيـف ، وهـو رمـز الـدعوة إلـى الله فهـو كهـف الـدعوة، وكهـف التسـليم لله ولـذا سـميت السـورة **(الكهـف)**، ومـن فضـلها العصـمة مـن الفـتن، يقـول" أردت أن أشـير لسـبب مهـم وهـو معنـى الكهـف، فـالله يريـد أن يخبرنـا فـي هـذه السـورة بحقـائق مسـتورة عنـا، قـد لا

---

(1) البرهان في علوم القرآن .1/ 270 .
(2) التحرير و التنوير .242/15 .
(3) سورة الكهف ،من الآية : 73 .
(4) سورة الكهف ، الآية : 75 .
(5) ينظر التحرير و التنوير . 15/ 245 .

يصــل إليهــا العقــل البشــرى، وهــو يريــد أن يخبرنــا أيضــا أن لا نأخــذ بظــاهر الأمور " [1] .

ولـيس مـن قرينــة بينــة تصـرف لفـظ الكهـف عـن المعنــى الأصـلي لكلمــة حتـى بحكـم بصـحة وجهـة النظـر السـابقة ، وعليـه فـالرأي ألا يسـلم حملهـا علـى معناهــا المعهـود، وأمــا فيمــا يتعلــق بمــراد الإخبــار بعــدم حمــل ألأمــور علــى ظاهرهــا فهــذا بــين فيمــا يتعلــق بــأوامر الله _تعــالى_، وبالنســبة للعبــاد فــإن الأصوب أخذ الأمور بظواهرها عند التعامل معها .

(1) المعجزة الخالدة معجزة القرآن الكريم . محمد متولي الشعراوي ؛ط1 ؛(المكتبة العصرية، صيدا :لبنان ،2005م)154/1 .

المبحث الثالث

فضائل السورة وأسباب النزول فيها ومكيتها

المطلب الأول _ فضائل السورة

المطلب الثاني _ أسباب النزول

المطلب الثالث _ مكية السورة

المطلب الأول _ فضائل السورة

ورد فــي هـذه الســورة الكريمــة أحاديــث كثيــرة، تــدل علــى فضــلها، وتنــوه بشرفها، وترغب في قراءتها، وحسن تدبرها .

1. عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ أَنّ النَّبِي_ صلى الله عليه وسلم_ قَالَ: ((مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ، عُصِمَ مِنَ الدّجّالِ)) [1]

2 . وعَنْ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ قَالَ : ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ _صلى الله عليه وسلم_ الدَّجَّالَ فَقَالَ : ذكر رسول الله _صلى الله عليه و سلم_ الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظنناه في طائفة النخل فقال : ((غير الدجال أخوف لي عليكم إن يخرج و أنا فيكم فأنا حجيجه دونكم وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم إنه شاب قطط عينه قائمة كأنه يشبه بعبد العزى بن قطن فمن رآه منكم فليقرأ فواتح سورة أصحاب الكهف)) [2] .

3.عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : ((بَنِي إِسْرَائِيلَ وَالْكَهْفُ وَمَرْيَمُ وَطه وَالْأَنْبِيَاءُ : هُنَّ مِنْ الْعِتَاقِ الْأُوَلِ ، وَهُنَّ مِنْ تِلَادِي)) [3].

فسورة الكهف : نور وضياء لقارئها، تبدد ظلماتِ الفتن ، وهي عصمة لقارئها من فتنة كبرى، وهى فتنة المسيح الدجال عصمنا الله منها ؛ وذلك من ثمرات قراءتها وتدبُّرها والعملِ بها، وفي ظل ما قدمته من مفاتيح للتعامل مع مغاليق الفتن ، وتحصينات من الاغترار بزينة الدنيا وزخارفها.

ومن ينظر في فواتح هذه السورة الكريمة – الآيات العشر الأول – يجد أنها قد افتتحت بالحمد وهو الثناء على الله تعالى بما هو أهل له : **﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾** [4]ثم ختمت بالدعاء قال تعالى: **﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ**

(1) أخرجه مسلم في صيحه (الجامع الصحيح) . كتاب صلاة المسافرين ، باب فضل سورة الكهف ، رق (1919)، 2 /199.
(2) أخرجه النسائي في سننه (السنن الكبرى) . أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي،تح: د.عبد الغفار سليمان البنداري ، سيد كسروي حسن،ط1(دار لكتب العلمية،بيروت :لبنان ،1411ه)،كتاب عمل اليوم والليلة ، باب ما يجير من الدجال ،رق 10783 ، 6 / 235 .
(3) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح . كتاب تفسير القرآن ،باب من انتظر حتى ، رق 4739 ، 6 /96.
(4) سورة الكهف ، الآية : 1 .

إِلَـهٌ وَاحِـدٌ فَمَـنْ كَـانَ يَرْجُـو لِقَـاءَ رَبِّـهِ فَلْيَعْمَـلْ عَمَـلًا صَـالِحًا وَلَا يُشْـرِكْ بِعِبَـادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾[1] .

وفـي الاسـتفتاح بالثنـاء والختـام بالـدعاء مـا لا يخفـى مـن تناسـبٍ فمـن داوم علـى قراءتهـا وتأمـل مـا فيهـا مـن حكـمٍ بـاهرة ، وحجـجٍ ظـاهرة وآيـاتٍ بينـاتٍ وعجائـب ومعجـزات لـم يسـتغرب أمـر الـدجال ، ولـم يغتـرَّ بـه ولـم ينخـدع بمـا يـأتي بـه مـن أعاجيـب، وممـا يشـيد بفضـائل هـذه السـورة افتتاحهـا بذلك المنهج التقويمي، الذي يعني بإصلاح الفطرة البشرية .

لهـذا كانـت سـورة الكهـف حصـناً منيعـاً مـن تلـك الفـتن، فقـد بينـت أنواعها وأسبابها وكيفية السلامة منها .

المطلب الثاني _ أسباب النزول

عـن ابـن عبـاس أن قريشـا بعثـوا النضـر بـن الحـارث وعقبـة بـن أبـي معـيط إلـي أحبـار يهـود المدينـة ، وقـالوا لهمـا : سـلوهم عـن محمـد وصـفا لهـم صـفته وأخبـروهم بقولـه فـإنهم أهـل الكتـاب الأول ، وعنـدهم مـا لـيس عنـدنا مـن علـم الأنبيـاء، فخرجـا حتـى قـدما المدينـة، فسـألوا أحبـار يهـود عـن رسـول الله_ صـلي الله عليـه وسـلم_، ووصـفوا لهـم أمـره بـبعض قولـه ، فقالـت لهـم أحبـار يهـود : سـلوه عـن ثـلاثة نـأمركم بهـن، فـإن أخبـركم بهـن فهـو نبـي مرسـل، وإن لـم يفعـل فالرجـل متقـول، فـروا فيـه رأيكـم، سـلوه عـن فتيـة ذهبـوا فـي الـدهر الأول، مـا كـان أمـرهم؟، فإنـه قـد كـان لهـم حديـث عجـب ، وسـلوه عـن رجـل طـواف قـد بلـغ مشـارق الأرض ومغاربهـا، ومـا كـان نبـؤه؟، وسـلوه عـن الـروح مـا هـو ؟ ، فأقبـل النضـر وعقبـة حتـى قـدما مكـة علـى قـريش فقـالا: يـا معشـر قـريش قـد جئنـاكم بفصـل مـا بيـنكم وبـين محمـد ،قـد أمرنـا أحبـار يهـود أن نسـأله عـن أمـور ،فـأخبروهم بهـا، فجـاءوا رسـول الله _صـلى الله عليـه وسـلم_ فقـالوا : يـا محمـد أخبرنـا فسـألوهم عمـا أمـروهم بـه فقـال رسـول الله _صـلى الله عليـه وسـلم_ : أخبـركم بمـا سـألتم عنـه غـدا ولـم يسـتثن ،فانصـرفوا عنـه فمكـث رسـول الله خمـس عشـرة ليلـة لا يحـدث الله إليـه فـي ذلـك وحيـا ،ولـم يأتـه جبريـل حتـى

([1]) سورة الكهف ، الآية : 105 .

أرجف أهل مكة و قالوا : وعدنا محمد غدا ، واليوم خمس عشرة قد أصبحنا فيها لا يخبرنا بشيء مما سألناه عنه ، حتى أحزن رسول الله _صلى الله عليه وسلم_ مكث الوحي عنه ، وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة ،ثم جاءه جبريل _عليه السلام_ من الله _عز وجل_ بسورة أصحاب الكهف ، فيها معاتبته إياه على حزنه ، و خبر ما سألوه عنه من أمر الفتية ، و خبر الرجل الطواف﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا** ﴾ " [1] ، وفي الرواية تنبيه إلى المشيئة ، وليس بخفي ما لهذه الحقيقة من أثر في حياة البشر .

ومن يتأمل يجد أن أجوبة تساؤلات المشركين لم ترد في سورة واحدة، فلقد ورد الجواب عن سؤالهم عن الروح في سورة الإسراء، وأما الجواب عن السؤالين الآخرين فقد وردت الإجابة عنهما في سورة الكهف، ولرب سائل يسأل لم ترد الأجوبة في سورة واحدة ؟ يجيب عن هذا ابن عاشور فيقول: " إن آية الروح قد تكون نزلت في سورة الإسراء وعلى مثل فواصلها ؛ ولأن الجواب فيها جواب بتفويض العلم إلى الله، وهو مقام يقتضي الإيجاز، بخلاف الجواب على أهل الكهف وعن ذي القرنين فإنه يستدعي بسطا وإطنابا ، ففرقت آية الروح على قصتين، على إنه يجوز أن يكون نزول سورة الإسراء مستمرا إلى وقت نزول سورة الكهف، فأنزل قرآن موزع عليها وعلى سورة الكهف " [2].

وعليه فإن أهم غرض نزلت فيه سورة الكهف هو بيان قصة أصحاب الكهف، وقصة ذي القرنين، وقد ذكرت أولاهما في أول السورة والأخرى في أخرها .

---

[1] دلائل النبوة و معرفة أحوال صاحب الشريعة . أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تح : عبد المعطي قلعجي ،(دار الكتب العلمية ، بيروت:لبنان،1408 ه) ،كتاب النسب ،باب دلائل النبوة للبيهقي ، ر.ق 568 ،270/2 .

(*) ورد ذكر الروح في سورة الإسراء .

[2] تفسير التحرير والتنوير . 15/ 243 ، 244.

المطلب الثالث _ مكية السورة

السورة مكية في قول جميع المفسرين كما حكاه ابن عطية قال :" وروى عن فرقة أن أول السورة نزل بالمدينة إلى قوله: ﴿ **جُرُزًا**﴾ والأول أصح " .[1]

وهي إحدى خمس سور بدئت ب (الحمد لله) وهذه السور هي: (الفاتحة،و الأنعام، والكهف،و سبأ، وفاطر) كلها تبتدئ بتمجيد الله _جل وعلا_ وتقديسه، والاعتراف له بالعظمة والكبرياء والجلال والكمال[2] .

وهي من السور التي نزلت جملة واحدة ، روى عن أنس_ رضي الله عنه_ قال:((نزلت سورة الكهف جملة معها سبعون ألفا من الملائكة)) .[3]

والرأي أنها من السور المكية التي كان البناء القصصي غالباً عليها ، مثل سورة (يوسف) ، التي اشتملت على قصة واحدة من أولها إلى آخرها مع التعليقات عليها ، ومثل سورة (طه) ، التي اشتملت على قصتين : إحداها قصة (موسى) مفصلة ، والأخرى قصيرة ، هي قصة (آدم) عليه السلام .

أما سورة (يونس) ، فاشتملت على ثلاث قصص، وسورة (هود) على أربع على حين اشتملت سورة (الكهف) على خمس قصص : (ففي أولها تجيء قصة أصحاب الكهف ، وبعدها قصة صاحب

([1]) ينظر تفسير المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي ، تح : عبد السلام عبد الشافي محمد ؛ط1،(دار الكتب العلمية ، بيروت : لبنان ،1422ه) ،بلب سورة الكهف 494/18،3 . .

([2]) ينظر صفوة التفاسير . محمد على الصابوني ؛ (المكتبة الفيصلية ، مكة المكرمة) ، 181/2 .

([3]) الفردوس بمأثور الخطاب .أبو شجاع شيرويه ، بن شهردار بن شيرويه الديلمي الهمداني الملقب إالكيا ، باب النون ، رق 6812 ، 4 /275 .

الجنتين، ثم إشارة إلى قصة آدم وإبليس، وفي وسطها تجيء قصة موسى مع الرجل الصالح، وفي نهايتها قصة ذي القرنين، ومعظم ما يتبقى من آيات السورة هو تعليق أو تعقيب على القصص فيها، وإلى جوار القصص بعض مشاهد القيامة، وبعض مشاهد الحياة، التي تصور فكرة أو معنى على طريقة القرآن في التعبير (1) .

وكذلك موضوع هذه السور هو موضوع السور المكية الغالب : العقيدة في أصولها الكبيرة؛ الوحي والرسالة والتوحيد والبعث والحساب والجزاء ، أما موضوع سورة الكهف الخاص ، فهو تصحيح العقيدة وتصحيح منهج النظر والفكر، وتصحيح القيم بميزان هذه العقيدة (2) .

تضمنت هذه السورة آيات صيغت في سياق معجز يحقق ذات المقصد العام من سياق السور المكية؛ ولتكون تسلية وتسرية وتثبيتا لقلب النبي _صلى الله عليه وسلم_ ، وذلك أنها نزلت في محل التحدي لما لاقاه ومن آمن معه من المحن والابتلاءات، على طريق الدعوة الذي حُفَّ بالمكاره و العقبات، فنزلت هذه السورة على القلوب المستضعفة بردا وسلاما تروي شغافها ، وتقوي دعائمها ولتكون حجة ساطعة تشهد بصدق هذه الدعوة وتنبه الرسول _صلى الله عليه وسلم_ إلى أن يترفق بنفسه ، فإنه يؤدي ما عليه من واجب البلاغ وأمانة الرسالة، وليتذكر أن الهداية من الله يمنحها من يستحقها، وجاءت برسالة موجهة إلى أهل الكتاب أن هذا القرآن فيه فصل الخطاب لكل ما يطرحونه من تساؤلات.

---

(1) ينظر كتاب (في ظلال القرآن) . سيد قطب ؛ ط17، (دار الشروق ، 1992م) 2256/15 ، 2257 .
(2) كتاب في ظلال القرآن . 2257/15 .

المبحث الرابع: أنواع المناسبة

المطلب الأول _بين اسم السورة و محورها

المطلب الثاني _ بين افتتاحية السورة و خاتمة ما قبلها

المطلب الثالث _ بين مضمون السورة ومضمون ما قبلها

المطلب الرابع _ بين مقاطع السورة و محورها

المطلب الخامس _ بين مقاطع السورة

المطلب السادس _ بين مقدمة السورة و محورها

المناسبة علم عظيم يعني ببيان الحكمة من مجيء هذه السورة إلى جنب هذه السورة ، وهذه الآية إلى جنب هذه الآية، وجاء في كتاب الإتقان في بيان معنى المناسبة قوله : " المناسبة في اللغة : المشاكلة والمقاربة ، ومرجعها في الآيات ونحوها إلى معنى رابط بينها عام أو خاص عقلي أو حسي أو خيالي أو غير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهني كالسبب والمسبب ، والعلة والمعلول والنظيرين، والضدين ونحوه ، وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذا بأعناق بعض فيقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء وبمعنى أخص هي ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني" [1]، وهي تمثل أحد الجوانب التي تدل على إعجاز القران الكريم؛ وذلك لما تثبته فيما يختص بالوحدة الموضوعية للقرآن الكريم فهو كلام الله _ عز وجل _ ، وإلا لما كانت آياته وسوره متناسقة مترابطة متوافقة لا تضاد فيها ، وفي ما يأتي بيان لتنوع المناسبة وتعددها بحسب الاعتبارات الأتي ذكرها.

المطلب الأول _ بين اسم السورة ومحورها

محور السورة هو العقيدة التي تعصم من الفتن بمختلف أنواعها ومسبباتها، وطرق النجاة من شرورها ، وأخطارها، فكما أن الكهف مأوى وملجأ للإنسان من الوحوش، والآفات، والتقلبات _ حين لجأ إليه الفتية وجدوه ملاذا آمنا _ كذلك السورة الكريمة هي عصمة ونجاة لقارئِها، فقصة أصحاب الكهف نموذجٌ عملي للعصمة من الفتن هي وبقية القصص التي تضمنتها السورة ، والتي ارتبطت في وحدة موضوعية مع قصة أصحاب الكهف ، وبهذا يظهر التناسبُ بين اسم السورة ومحورها.

([1]) **الإتقان في علوم القرآن** .جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ؛ تح : سعيد المندوب ؛ (**دار الفكر**،بيروت :لبنان ،1996 م) 2/ 288 -290 .

المطلب الثاني _ بين افتتاحية السورة وخاتمة ما قبلها

" لما ختمت تلك بأمر الرسول _صلى الله عليه وسلم _ بالحمد عن التنزه عن صفات النقص لكونه أعلم الخلق بذلك ، بدئت هذه بالإخبار باستحقاقه الحمد على صفات الكمال التي منها البراءة عن كل نقص منبها بذلك على وجوب حمده بما شرع من الدين على هذا الوجه الأحكم بهذا الكتاب القيم الذي خضعت لجلاله العلماء الأقدمون ، وعجز عن معارضته الأولون و الآخرون ، الذي هو الدليل على ما ختمت به تلك من العظمة و الكمال ، والتنزه و الجلال ، فقال ملقنا لعباده حمده ، معلما لهم كيف يثنون عليه ، مفقها لهم في اختلاف العبارات باختلاف المقامات : الحمد أي الإحاطة بصفات الكمال لله أي المستحق لذلك لذاته ، ولما أخبر باستحقاقه ذلك لذاته ،أخبر بأنه يستحقه أيضا لصفاته و أفعاله " [1].

الصلة بين خاتمة سورة الإسراء وفاتحة سورة الكهف واضحة حيث اختتمت الإسراء بحمد الله _تعالى_ وتكبيره في قوله تعالى: ﴿ **وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا** ﴾ [2] وبدأت الكهف بالحمد ، في قوله تعالى:﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا**﴾.[2]

وتتجلى المناسبة بين السورتين الكريمتين في ختام الأولى بإثبات تفرده _تعالى_ بالإلوهية والملك ونفي الشريك والولد تنزيهاً له عن مشابهة الخلق، وبياناً لرفعته وعلوا مكانته سبحانه، فليس له ولد، فلا يقال: إن له عاطفةً تؤثر في أحكامه، ولا شريك فيخاصمه في أمر ملكوته، أو أي ما يكون فيشكك في نزاهته وسمو منزلته _عز وجل_ومجيء مقدمة الثانية بالإنذار والوعيد لمن يدعي لله ولدا، في قوله تعالى: ﴿ **وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا**﴾([3])، وهنا تفسير ذلك في سورة الإسراء قال: ﴿**وَقُلِ الْحَمْدُ**

---

(1) نظم الدرر في تناسب الآيات **و السور**. برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي ، (دار الكتب العلمية ،بيروت : لبنان ،2002م) ،696،697/4.
(2) سورة الإسراء ، الآية : 110 .

(3) سورة الكهف من الآية : 4 .

لِلَّـهِ﴾ ،وفي الكهف قال تعالى ﴿الْحَمْدُ لِلَّـه﴾ ،﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّـهِ﴾ الخطاب موجه للرسول، يعني أمره بحمد الله في خواتيم الإسراء فاستجاب في أول الكهف الحمد لله وذكر إنزال الكتاب في ختام الإسراء ﴿ وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَل﴾ [1] ، وفي مستهل سورة الكهف أكّد نزوله من قِبَل الله سبحانه وتعالى قيماً لم يجعل له عوجاً، وفي كلمة ﴿ قَيِّمًا﴾ إشارة لما تقوم به الفطرة البشرية، وتذكير بأن الله تعالى لا يشرع إلا ما يخدم مصلحة البشرية قاطبة .

في خواتيم الإسراء قال: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [2]، وفي سورة الكهف قال تعالى: ﴿ لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [3] من ينذر؟ ومن يبشر؟ بعضهم قال: في سورة الإسراء الرسول _صلى الله عليه وسلم _هو العبد المبشّر وقسم قال : القرآن وكلاهما واحد.

في ختام الإسراء قال : ﴿ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ ، وفي الكهف قال : ﴿ وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّـهُ وَلَدًا﴾ ، في الأولى نزه المولى عز وجل عن اتخاذ الولد، وفي الثانية توعد من قال بذلك الافتراء .

وكما استُهلّت سورة الإسراء بالتنويه على تلك الرحلة العجيبة " رحلة الإسراء "، في قوله تعالى: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ فقد جاء الحديث في سورة الكهف عن رحلاتٍ أخرى عجيبةٍ، منها رحلةُ أصحابِ الكهفِ، ورحلة موسى _عليه السلام_ مع الخضر ، ورحلة ذي القرنين ، فوجه الشبه هو الاتفاق على ذكر أخبار ووقائع وأحداث عجيبة، وأما الفرق فالبين أن سورة الإسراء ذكرت خبراً عجيباً يتعلق بالنبي محمد_ صلى الله عليه وسلم_، ذلك الحدث الذي كذبته قريش وهو خبر الإسراء والمعراج، وأما سورة الكهف فلقد أخبرت بوقائع

---

(1) سورة الإسراء ، من الآية: 105 .

(2)سورة الإسراء ، من الآية : 105 .

(3) سورة الكهف ، الآية : 2 .

عجيبة عن أقوام لم يشهدهم النبي _صلى الله عليه وسلم _دلالة على نبوته وصحة دعوته .

ولئن كان الإسراءُ آيةً عجيبةً ومعجزةً باهرة، فإن إنزال الكتاب هو المعجزة الكبرى التي منَّ الله بها على الإنسانية .

المطلب الثالث _ بين مضمون السورة ومضمون ما قبلها

أشار الشرقاوي إلى أن السورتين الكريمتين (**سورة الإسراء والكهف**) من السور المكية، وفيهما تقرير للعقيدة الإسلامية ، ونقض لدعائم الشرك ، ودحض لشبه الكافرين، وحديث عن سمات القرآن ومقاصده، مع التأصيل الشرعي للقيم الأصيلة، والدعوة إلى التحلي بمكارم الأخلاق ، وتثبيت قلب النبي _صلى الله عليه وسلم _والمؤمنين، كما اشتملتا على سائر أركان الإيمان وأصول العقيدة، فجاء الحديث عن الإيمان بالله، والكتب، والرسل، واليوم الآخر، وعن عالم الملائكة الأبرار، وعالم الجن والشياطين، وعن الإيمان بالقدر[1] .

وتتأكد المناسبة بينهما لمن طالع آياتهما ، فيتبين له أن كلا السورتين تعالجان أمور العقيدة ، فكأنهما تتممان بعضهما، فالآيات تهدف إلى ترسيخ العقيدة في جميع موضوعاتها .

المطلب الرابع _ بين مقاطع السورة ومحورها

تتناسب مقاطع السورة الكريمة مع المحور العام لها فقد تناولت السورة الكريمة أنواع الفتن وسبل العصمة منها بما يتناسب مع محور السورة ومقاصدها[2].

المطلب الخامس _ بين مقاطع السورة

مقاطع السورة تدور في فلك واحد ، وهو الاعتصام من الفتن بمختلف أنواعها، وسوف يتجلى ذلك من خلال البحث والتأمل في هذه

---

(1) ينظر تأملات في قصة أصحاب الكهف . ص8 .
(2) المرجع نفسه . ص8 .

السورة الكريمة حيث تجد بعد كل قصة مجموعة من الآيات تمهد للقصة التي تليها في تناسق معجز ومبهر.

المطلب السادس _ بين مقدمة السورة ومحورها

محور السورة يقوم على بيان الفتن التي قلما تخلوا منها حياة المؤمن، وتبين آياتها ومعانيها كيف يستطيع المرء أن يسلم وينجوا منها، ولما كان كتاب الله هو الوسيلة الأنسب والأكمل للسلامة منها ناسب أن يفتتح السورة بالكلام عن حمده سبحانه على إنزال ما يحقق العصمة المطلقة.

المبحث الخامس: في ظلال السورة وبعض أوجه التشابه والترابط بين قصصها

المطلب الأول _ في ظلال السورة .

المطلب الثاني _ بعض أوجه التشابه والترابط بين قصص السورة .

المطلب الأول _ في ظلال السورة

السـورة الكريمـة تضـمنت آيـات تنوعـت فـي أسـلوبها واتحـدت فـي مغزاهـا وهـدفها وذلـك أنهـا سـيقت لبيـان أصـول العقيـدة ، وبيـان مـدى علاقتهـا وتأثيرها في حياة المجتمع الإنساني .

فقصـة أصـحاب الكهـف تمثلـت فـي الـذين هربـوا بـدينهم إلـى الكهـف لينجـوا مـن بطـش القـوى الكـافرة، فهـي أنمـوذج لإيثـار الإيمـان علـى باطـل الحيـاة الـدنيا وزخرفهـا، والالتجـاء إلـى رحمـة الله تعـالى، هربـاً بالعقيـدة أن تمسّ، ثـم توجهـت الآيـات لخطـاب النبـي _صـلى الله عليـه وسـلم_، وتعليمـه مـا ينبغي له تجاه المؤمنين الذين لم تشغلهم الدنيا عن ذكر الله .

مثـل صـاحب الجنتـين المعتـز بمالـه وبعـدد أولاده مـن دون الله، أمـام فقيـر مـؤمن، تصـور اعتـزاز القلـب المـؤمن بـالله، واستصـغاره لزينـة الـدنيا ومتاعها[1].

ثـم تـأتي الآيـات ؛ لتصـور مشـاهد عديـدة متصـلة مـن مشـاهد يـوم القيامـة، تتوسـطها قصـة آدم وإبلـيس، وتنتهـي ببيـان سـنة الله فـي إهـلاك الظالمين، ورحمة الله، وإمهاله للمؤمنين إلى أجل معلوم [2] .

وقصـة موسـى والرجـل الصـالح، والتـي تقـوم علـى بيـان الفـارق بـين الحكمـة الإنسـانية القريبـة العاجلـة المتمثلـة فـي شـخص سـيدنا موسـى _عليـه السـلام_ والحكمـة الكونيـة البعيـدة الآجلـة المتمثلـة فـي شـخص سـيدنا الخضـر _عليه السلام_ وهذا من فضل الله على عباده.

أمـا قصـة ذي القـرنين، فتحكـي سـيرة الملـك الصـالح، الـذي حـارب الفسـاد وفـق مـنهج الله تعـالى بـالقوة التـي يسـرها لـه ، وتبـين كيـف أنـه نسـب كـل فضـل وخيـر إلـى الله تعـالى إقـرارا بإلوهيتـه وأنـه لا يعـدو كونـه عبـدا مـأمورا، ثـم انتقلـت الآيـات لتحكـى خبـرا جديـدا عـن قـوم يـأجوج و مـأجوج

1 - ينظر تفسير البحر المحيط . محمد بن يوسف الشهير بابي حيان الأندلسي الغرناطي ؛ بعناية الشيخ زهير جعيد ؛(دار الفكر،1992م)، 174/7 ، تفسير صفوة التفاسير. 191/2، 192.
2 - تفسير صفوة التفاسير .194/2 .

وبينـت ضـرورة التحـرز مـنهم بوصـفهم مفسـدون ، وكيـف أن أهـل زمـانهم طلبوا من ذى القرنين أن يبني لهم سدا يحفظهم ويكفيهم شرهم.

بعـد ذلـك اختتمـت السـورة بمـا يتفـق و أولهـا مـن تبشـير المـؤمنين ، وإنـذار الكـافرين، وإثبـات الـوحي، وتنزيـه الله عـن الشـريك، تعـالى الله عـن ذلـك علوا كبيراِ.

المطلب الثاني _ بعض أوجه التشابه والترابط بين قصص السورة

مـن المزايـا التـي تفـرد بهـا القـرآن الكـريم دون غيـره مـن الكتـب السـماوية وارتقـى بهـا معجـزا إلـى مسـتوى مـن البلاغـة لا يأتيـه أي كـان مزيـة التـرابط بـين آياتـه، وللقـارئ أن يستشـعر كيـف أن القـرآن الكـريم وظـف القصـص القرآنـي لبيـان تلـك المزيـة، وكيـف تناسـبت فيمـا بينهـا مـن حيـث اعتبار الآتي:

استـهلال القصـة و طريقـة ختامهـا و التعقيـب عليهـا وأهـم أفكارهـا والزمـان و المكـان فيهـا،و المشـترك فيهـا ، ومـا تتميـز القصـص، مـا تتميّـز به كل قصة .

فعلـى سـبيل المثـال لـو استعرضـنا قضـية المكـان فـي القصـص الثلاثـة، وكيفيـة التعامـل معـه، لوجـدناه فـي القصـة الأولـى (المدينـة والكهـف) ، وفـي الثانيـة (مجمَـع البحـرين، البحـر، الصـخرة، القريـة، المدينـة)، وفـي الثالثة (مغرب الشمس مطلع الشمس ، بين السدين) .

ولـو تأملنـا كيفيـة التعامـل مـع هـذه الأمكنـة، لوجـدنا أن القصـص الثلاثـة (الفتيـة وموسـى، وذو القـرنين) فيهـا انتقـال ظـاهر مـن مكـان إلـى آخـر، و فيها تغيير للمكان.

وبيـان ذلـك كـالآتي: فـي قصـة الفتيـة يظهـر أنهـم انتقلـوا مـن المكـان الـذي لـم يسـتطيعوا أن يقيمـوا فيـه شـرع الله وهـو (المدينـة)، وكـان الموضـع الآخـر هـو (الكهـف) ولـو تأملـت الموضـعين لرأيـت الاخـتلاف الكبيـر بينهمـا، فالمدينـة فيهـا النعـيم والتـرف والاجتمـاع والأنـس بالنـاس ، والكهـف فيـه الانعزال، والانفراد، والوحشة.

" إن هؤلاء الفتية كانوا من مترفي القوم ومن عليتهم ، بدليل طلبهم أزكى الطعام **﴿ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ ﴾**[1] أي: " فليختر لنا أحل وأطيب الطعام " [2] ووجود الورق معهم، وكما إن اهتمام الملك وتتبعه لهم دليل على ذلك، فلو كانوا من بسطاء القوم لما اهتم الملك بأمرهم وتتبعهم، والله أعلم، ولقد جعلهم إصرارهم على مبدأهم وثقتهم بالله يتخلون عن ملذات الدنيا الحسية إلى طلب راحة القلب والنفس فذاك هو النعيم، ولا يكون ذلك إلا بالتوحيد، لأن الشرك يشتت القلب والفكر، ويجعل الروح في حيرة وشك.

لقد انتقلوا من القصور إلى الكهف، وعوضهم الله عن الراحة فيها بالنوم في الكهف لحكمة أرادها سبحانه، فتحقق لهم الصبر والثبات، حتى زالت عن المدينة مظاهر الشرك.

وأما قصة موسى _عليه السلام_ والعبد الصالح؛ فالانتقال فيها ظاهر، وذلك من خلال تتبع ألفاظ تشعر بالانتقال مثل: **﴿ لَا أَبْرَحُ ﴾** أي: أسير **﴿ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾**[3] ثم حصل انتقال آخر من مجمع البحرين من قرب الصخرة إلى موضع آخر يظهر من قوله تعالى: **﴿ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴾** [4]، ثم حصل انتقال ثالث من تذكرهما فقدان الحوت إلى الموضع الذي فقدوه فيه قال تعالى :**﴿ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾** [5] أي : رجعاً من طريقهما الذي جاءا منه يتتبعان أثرهما الأول لئلا يخرجا عن الطريق[6]، وواضح من كل هذا التنقّل و الترحال الذي تبيِّنه ألفاظ مثل : (أمضي، سفرنا، ارتدا) أن تغيير المكان كان أمرًا جوهريًّا في هذه القصة، ولهذا

---

(1) سورة الكهف ، من الآية : 19 .
(2) تفسير صفوة التفاسير. 2 / 186 .
(3) سورة الكهف ، من الآية : 59 .
(4) سورة الكهف ، الآية : 61 .
(5) سورة الكهف ، من الآية : 63 .
(6) تفسير صفوة التفاسير. 2/ 198 .

جاءت الأحداث بعد ذلك مبنية على التحرك والتغيير، يظهر ذلك من تكرار كلمة(فانطلقا) مع كل حدث(السفينة،الفتى،الجدار).

ولو تأمل الباحث هذه الأحداث لوجدها كلها حوادث فيها تغيير للمكان ، ومتابعة للمسير وكأن في هذه التغير تعليم لما هو جديد من خلال الموقف والحدث، لا من خلال الحكاية والمعلومة، وقد يكون في ذلك إرشاد إلى أنّ التعلم يحتاج إلى سفرٍ وتنقُّل دائم، وأن تغيير مكان التعلُّم مهم في تنويع مصادر العلم .

فالسفر له فوائد كثيرة ولا يغفلها أحد، وقد عوض الله موسى _عليه السلام_ عن رحلته ونصبه، وسفره بالعلم الذي لم يكن يعلمه لما فسّر له الخضر هذه الحوادث العجيبة ، التي لم يكن له علم بأسبابها وأسرارها كما سيتم بيانه لاحقا في القصة.

وأما قصة ذي القرنين فيظهر الانتقال من أول أحداثها يقول تعالى:﴿ **فَأَتْبَعَ سَبَبًا * حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا * قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا * وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا * ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا * حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا * كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا * ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا * حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ**﴾ (1) .

الآيات صريحة في انتقال ذي القرنين مرة إلى مغرب الشمس وبعدها إلى مطلع الشمس ما يشير إلى سرعة التنقل، وإلى بعده أيضًا ، وقد نتج عن هذا التنقل وتغيير المكان بسط النفوذ على المساحة الكبيرة من الأرض، كما نتج عنه كثرة الأتباع، واستثمار كل مقدرات هذه المواضع، وتوجيه كل ذلك في وجوه الخير.

(1) سورة الكهف، الآية : 85 – 93 .

فمن يسافر سفراً عادياً ويكون حاضر القلب يجد في كل لحظات سفره ما يدعوه لتجديد الإيمان، ويستشعر عظمة الخالق سبحانه وتعالى ، فكيف برحلةٍ للمشرق والمغرب رحلة عظيمة بأحداثها و تصاريفها ساقها الله تعالى وقدر وقائعها وأحداثها ؛ لتكون سبباً لترسيخ العقيدة الصادقة ، والتي بها تتحقق أهداف القصة خاصةً وعامةً .

وبتأمل هذه القصص الثلاث التي فيها خروج وتغيير وانتقال؛ تجد إنها انتهت بنتائج طيبة، وأن أشخاصها مؤمنين أخيار، وهذا يؤكد مفهوم التوكل على الله القائم على ضرورة الأخذ بالأسباب وترك النتائج والثمار لله تعالى .

ومن ثمار هذه القصص أنها تبين السبيل الذي يجب على الإنسان أن ينتهجه في حياته، والذي يقوم على تحديد الأهداف الواضحة والناجحة ، كما إنها تبرز ضرورة الصبر على ما سيلاقيه في سبيل تحقيقها و لو أدى به إلى السفر والانتقال، ولهذا لا تجد ناجحين مؤثرين لم يكن الانتقال والسفر إحدى صفاتهم الرئيسة ، ويمكن اعتبار أن مفهوم السفر ضمني فالانتقال قد يكون ونحن في المكان نفسه ، ولكن من خلال المواقف والتجارب التي نتعرض لها فتصقل خبراتنا وإن ترتب عليها معاناتنا، فلا يستفيد المرء إلا من لحظات تجاربه ومعاناته، كما يستفيد من تجارب الآخرين إن هو أمعن النظر وتفكر في دلالاتها.

المبحث السادس

البنيـة الفنيـة فـي سورة الكـهف و الأمثال فيـها

المطلب الأول _ البنية الفنية في السورة .

المطلب الثانـي _ الأمثال فـي السورة.

المطلب الأول _ البنية الفنية في السورة

هــذه الســورة ذات الطــابع القصصــي ترتكــز علــى محــورين أساسـيين، مـن أول السـورة إلـى آخرهـا : أحـدهما – وهـو بمثابـة العمـود الفقـري للســورة – هــو الخطــاب القرآنــيّ الموجّــه إلــى الرســول _صــلى الله عليــه وسـلم_، بـاختلاف موضـوع الخطـاب وأسـبابه طـول فتـرة العهـد المكـي أسـوةً بالرسـل والأنبيـاء وصـراعهم مـع أقـوامهم مـن قبـل ، وهـذا هـو مسـوّغ الخـط الثـاني، الـذي يتضـمن القصـص القرآنـي عـن دعـوات أولئـك الأنبيـاء والرسـل، ومـا يسـتتبع ذلـك ويناسـبه مـن قصـص أو أمثلـة، تاريخيـة أو افتراضـية أو مـن مشاهد الطبيعة أو الدار الآخرة .

فعنــد التقــديم لقصــة الكهــف يخاطــب الله عــز وجــل نبيــه الكــريم: **﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾** [1] ، وفـي ختامهـا **﴿وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا * إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾** [2]

.

وعنـدما يتحـدث القـرآن عـن الحيـاة الـدنيا، يخاطـب الرسـول قـائلاً : **﴿ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾** [3] ، وعنـد عرضـه مشـاهد يـوم القيامـة يقـول أيضـا: **﴿فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ﴾**[4]، وفـي تعليقـه علـى موقــف النــاس مــن الرســل، يخاطــب الرســول بقولــه: **﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ﴾**[5]، وفـي بدايـة قصـة ذي القـرنين يقـول تعـالى: **﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾** [6] وفــي ختــام السـورة، حيـث يعـود إلـى بـدايتها بـالترابط، تـرد ثلاثـة مقـاطع كـل منهـا يبـدأ بكلمـة قل خطابـاً للرسـول فـي قولـه تعـالى : **﴿ قُلْ هَلْ**

([1]) سورة الكهف ، الآية : 6 .
([2]) سورة الكهف ، من الآية : 23 ، 24 .
([3]) سورة الكهف ، من الآية : 44 .
([4]) سورة الكهف ، من الآية : 48 .
([5]) سورة الكهف ، من الآية 57 .
([6])سورة الكهف ، من الآية : 82 .

نُنَبِّـئُكُمْ بِالْأَخْسَـرِينَ أَعْمَـالًا﴾ ،و قولـه تعـالى﴿ **قُـلْ لَـوْ كَـانَ الْبَحْـرُ مِـدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي﴾**[1]، وقوله تعالى : ﴿ **قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ** ﴾.

المطلب الثاني _ الأمثال في السورة

يعـد ضـرب المثـل أحـد الأسـاليب التـي اسـتخدمها القـرآن الكـريم؛ لتقريـب المعـاني والحقـائق للأذهـان حرصـا علـى تمـام الفائـدة ، وبيـان عظمـة هذا الكلام المنزل بلغة قوم برعوا في اللغة وعلومها .

يسـتعمل المثـل علـى ثلاثـة أوجـه:" بمعنـى الشـبيه، وبمعنـى نفـس الشـيء وذاتـه وزائـدة، والجمـع "أَمثـال"، ويوصـف بـه المـذكر والمؤنـث والجمـع فيقـال: هـو وهـي وهمـا وهـم وهـن مثلـه." [2] ، والمثـل "شـبه الشـيء فـي المثـال والقدر ونحوه حتى المعنى ويقال ما لهذا مثيل "[3] .

والقـرآن الكـريم صـريح فـي بيـان الغايـة مـن ضـربه للأمثـال يقـول الله تعـالى :﴿ **وَيَضْـرِبُ اللَّـهُ الْأَمْثَـالَ لِلنَّـاسِ لَعَلَّهُـمْ يَتَـذَكَّرُونَ﴾**[4]، و كـذلك قولـه _سبحانه و تعالى_

﴿ **إِنَّ اللَّـهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْـرِبَ مَـثَلًا مَـا بَعُوضَـةً فَمَـا فَوْقَهَـا فَأَمَّـا الَّـذِينَ آمَنُـوا فَيَعْلَمُـونَ أَنَّـهُ الْحَـقُّ مِـنْ رَبِّهِـمْ وَأَمَّـا الَّـذِينَ كَفَـرُوا فَيَقُولُـونَ مَـاذَا أَرَادَ اللَّـهُ بِهَـذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾** [5].

الله _سـبحانه وتعـالى_ حـين ضـرب الأمثـال ربطهـا بموكـب الإيمـان وربطهـا بالهـدى والضـلال فكأنمـا كـل هـذه الأمثـال إنمـا تـرتبط بقضـايا إيمانيـة أراد الله _سـبحانه وتعـالى_ أن يضـعها أمـام المـؤمن ليـزداد إيمانـا، وأراد الله أن يرد بها على الكافرين[6] .

---

[1] سورة الكهف ، من الآية 104 .

[2] المصبـاح المنيـــــر.أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقري؛ يوسف الشيخ محمد ؛(المكتبة العصرية) 1 /290.

[3] كتاب العين .أبي عبد الرحمن الخليل بن احمد الفراهيدي ؛تح :مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي ؛(دار ومكتبة الهلال) 8 /228 .

[4] سورة إبراهيم ، من الآية : 25 .

[5] سورة البقرة ، الآية : 26 .

[6] ينظر المعجزة الخالدة معجزة القران الكريم .2 /504.

فكما اقتضت حكمته _سبحانه وتعالى_ خلق السموات والأرض، وتسخيرها للإنسان اقتضت رحمته _سبحانه وتعالى_ أن يضرب في منهجه الأمثال ؛ ليقرب إلى عقول البشر المحدودة ما هو غيب عنها، ذلك أن هناك أشياء حسية أطلع الله عباده عليها وأشياء أخرى اقتضت حكمته أن تظل غيبا عنهم ولا سبيل لإدراكها بالحواس ،ولكنها تدرك بالإيمان المحض أي الاعتقاد اليقيني الكامل بأن كل ما أخبر به الله حق وإن كانت حواسنا لا تدركه .

ولعلمه _سبحانه وتعالى_ أنه سيأتي مضللون تؤيدهم شياطين الإنس والجن سيحاولون أن يهزوا الإيمان في القلوب وأن يشككوا الناس في عقيدتهم ولا مجال أو منفذ لهم في ذلك إلا استخدام ما هو غيب لا نستطيع أن نراه أو نسمعه ورحمة من الله _سبحانه وتعالى_ للعقل البشرى ورحمة بالمؤمنين ضرب الله لنا هذه الأمثال ؛ ليقرب ما هو غيب عنا بشيء محسوس لنا [1].

الفرع الأول : ضرب المثل في سياق السورة

العلاقة بين مفردات الخط الأول والخط الثاني، تفسرها العلاقة المعهودة في (ضرب المثل) عند العرب وعند الأمم الأخرى .

المثل اصطلاحاً: قول سائر، يشبه به حالُ الثاني بحال الأول، والعلاقة بين الحالين، إن الحالة الأولى هي التي يُضرب بها المثل في الأصل، والحالة الثانية : هي التي يُذكر فيها المثل مرة أخرى، والعلاقة الحاصلة بين الحالتين، هو الشبه الحاصل بين الحالة الأولى، وبين الحالة الثانية [2] .

وهذا يقتضي التذكير بأنواع المثل الثلاثة :

النوع الأول : وهو المثل الموجز السائر، حِكَمِيّاً وغير حِكَمِيّ .

النوع الثاني : المثل التشبيهي أو التمثيلي .

---

(1) المعجزة الخالدة معجزة القرآن الكريم . ص 504 - 505 .
(2) ينظر أمثال القرآن. ابن قيم الجوزية ؛تح د موسى بناي علوان العليلي ؛(مكتبة القدس:ـ1987 م) .

النوع الثالث : وبين الحالة الثانية [1].

ومثال ذلك في مطلع مشاهد الحياة الدنيا في قوله تعالى:

﴿ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ ﴾ [2] نلاحظ النوعيين الأخيرين ،وهما المثل التمثيلي ، والقصصي[3].

وهذا يدفع إلى التمييز بين الأمثال الظاهرة الصريحة التي يتم من خلالها ضرب المثل وهى: ما يتم فيها ذكر المثل صراحة، مثل قوله في مثل الحياة الدنيا في قوله تعالى : **﴿ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾**،وبين الأمثال الكامنة : وهي الأمثال التي لا تكاد تختلف عن الأمثال الظاهرة، في غير افتقارها للفظ (المثل) ، مثل التكبر والغرور في حادثة امتناع إبليس عن السجود لآدم في قوله تعالى : **﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾** [4] ، ويتم استنباطها من خلال سياق الآية وكذلك قصة (ذي القرنين) وقصة (موسى _عليه السلام_ والعبد الصالح) وإن كان ورودها في سياق الآيات كمحاور أساسية، ثم إيراد أمثلة تبعا لها لاكتمال دلالاتها، ومن العلماء من قرر: أن جميع القصص القرآنية، يمكن عدّها أمثالاً قرآنية كامنة [5].

النوع الثاني :الأمثال في سورة الكهف

يعتمد القرآن الكريم في منهجيته على بيان الأهم فالأهم، وللقارئ أن يستشعر هذا الأسلوب عند ضرب القرآن الكريم للمثل والقصة بشكل أخص، حيث إن الله _تعالى_ لم يصرح بأسماء الأشخاص في القصة، واكتفى بالتنبيه على العبرة والعظة في القصة .

وأما عندما يضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح ، وامرأة لوط ، في قوله تعالى:**﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ**

---

(1) **المرجع** نفسه .

(2) سورة الكهف ، من الآية : 45 .

(3) وقد ورد لفظ (المثل) مُراداً به هذا المعنى ، أي (ضرب المثل) اثنتين وثمانين مرة في القرآن ، كما ألّف عنه العلماء الأقدمون كتباً في أمثال القرآن ، ذكر منها محقق (أمثال القرآن – لابن القيم) تسعة مؤلفات ، معظمها **مخطوط** .

(4) سورة الكهف ، من الآية : 50 .

(5) **الأمثال في القرآن** . ص 489 .

كَانَتَـا تَحْـتَ عَبْـدَيْنِ مِـنْ عِبَادِنَـا صَـالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَـا فَلَـمْ يُغْنِيَـا عَنْهُمَـا مِـنَ اللَّـهِ شَـيْئًا﴾ [1] المراد من الآية : أي خانتاهما في الدين فلم يتابعاهما فيه ، وليس المراد : أنهما كانتا على فاحشة _حاشا وكلا ولما_ فإن الله لا يقدر على نبي أن تبغي امرأته [2] ، والحادثة الوحيدة التي لن تتكرر هي قصة مريم، ولذلك قال الله سبحانه وتعالى :

﴿ وَمَـرْيَمَ ابْنَـةَ عِمْـرَانَ الَّتِـي أَحْصَـنَتْ فَرْجَهَـا فَنَفَخْنَـا فِيـهِ مِـنْ رُوحِنَـا وَصَـدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ* ﴾[3].

([1]) سورة التحريم ، من الآية : 10 .

([2]) قصص الأنبياء . للأمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير المتوفى سنة 774هـ ، تح وتع : عصام الدين الصبابطي؛ط1؛ (دار الفجر للتراث،القاهرة :مصر)، ص 158 .

([3]) سورة التحريم ، الآية : 12 .

المبحث السابع

الأزمنة والعوالم في القصة

المطلب الأول _ الأزمنة والعوالم في القصة

المطلب الثاني _ سنن الله في خلقه

المطلب الأول _ الأزمنة والعوالم في القصة

الخط الأول المتعلق بالخطاب الموجه للرسول في سورة الكهف، زمنه هو زمن البعثة النبوية، وفي سياق النص هو زمن (الحاضر) أي في زمن الحوار القائم، أما الخط الثاني في السورة، خط القصص أو الأمثال، فيتضمن عدداً من الأزمنة والعوالم : الماضي والمتمثل في قصة أهل الكهف، ومثلها قصة موسى والرجل الصالح وقصة ذي القرنين، وأما المستقبل فيتمثل في مشاهد القيامة والجنة والنار، فزمنها مستقبل بالنسبة للحياة الدنيا .

هناك (غيب) آخر، غير عالم المستقبل في الدار الآخرة وهو عالم الخلق الأول لأبينا (آدم)، وحكايته مع إبليس، وهو ماض أقدم من ماضي الحياة الدنيا ومن ناحية أخرى هناك زمن افتراضي أي الذي لم يحدث، لكنه ممكن الحدوث بل كثيراً ما يحدث مثيله أو نموذجه، ماضياً وحاضراً ومستقبلاً، ألا وهو كزمن مثل قصة صاحب الجنتين، فحكاية القرآن لمثل صاحب الجنتين بأسلوب خال من الزمن إنما أراد به الإخبار على جواز وقوعه في أي زمن ؛ ليكون أثره أوقع في النفس .

المطلب الثاني _ سنن الله في خلقه

أبرزت السورة حقيقة وسنة من سنن الله في خلقه ، والتي تتمثل في صراع الحق والباطل باختلاف مظاهره وصوره ومراتبه من خلال ما تضمنته من قصص.

ففي قصة أهل الكهف : صراع بين السلطة المشركة وبين المؤمنين فتية أهل الكهف ، وفي قصة صاحب الجنتين : صراع بين الغني المشرك والفقير المؤمن، وفي قصة آدم وإبليس : صراع معلوم منذ بدء الخليقة ، و في قصة ذي القرنين : أكثر من صراع في رحلته؛ بين مَنْ ظَلَمَ ومن لم يَظلم، بين يأجوج ومأجوج المفسدين وبين الآخرين ومن العرض القرآني لتلك القصص أبان الشارع سنة من سنن الخلق ألا وهي انتصار الحق على الباطل مهما طال الأمد،و تعاقبت الأزمان، وعليه فإن

محاربــة الظلــم تعــد مــن أســس الإيمــان الصــحيح ولوازمــه، وإلا عــد صــاحب ذلك الإيمان مدعياً .

المبحث الثامن

الحوار في سورة الكهف

ثمة ظاهرة تستدعي الانتباه؛ وتشحن الهمة لدراستها؛ وبيان أثرها في إثراء المعنى القصصي في سورة (الكهف) ألا وهي وفرة الحوار [1] .

وأشار محمد الحسناوي في مقالته عن المظاهر الفنية في سورة الكهف إلى أن الحوار فيها لا يختص فقط بالقصص الثلاث التي تقوم عليها ، حيث يشغل الحوار في هذه السورة ثلاثة أرباعها تقريباً، فآياتها التي تعد مئة وعشر آية كما سبق بيانه، منها ثلاث وثمانون أية تشمل مخاطبات

الله تعــالى لرســوله محمــد _عليــه الســلام_ ، وهــو المحــور الــذي جــاءت القصــص (ضــرب الأمثــال) كمحــور أخــر ؛ لتعــززه وتكملــه فــي بنــاء الســورة [**] .

قصــة صــاحب الجنتــين ، وقصــة النبــي موســى _عليــه الســلام_ ، والرجل الصالح يغلب عليهما الحوار أكثر من باقي القصص بالفعل .

العــادة أن يبــدأ كــل حــوار بفعــل (قــال) أو أحــد مشــتقاته أو مرادفاتــه مثــل يخبــر أو يعلــم، ومــع ذلــك وردت عبــارات حـــوارية مســتغنية عــن فعــل (قــال) وعــن أي إشــارة صــريحة للقــول، بمعنــى أنهــا جــاءت بشــكل مباشــر، أي إن الخطــاب تحــول إلــى أمــر وهــو يكثــر فــي مخاطبــات الله تعــالى لرســوله الكريم ، كما في قوله تعالى:

﴿ فَلَعَلَّـكَ بَـاخِعٌ نَفْسَـكَ عَلَـى آثَـارِهِمْ إِنْ لَـمْ يُؤْمِنُـوا بِهَـذَا الْحَـدِيثِ أَسَـفًا﴾ [1]، وقولـه تعـالى: **أَفَتَتَّخِذُونَــهُ وَذُرِّيَّتَــهُ أَوْلِيَــاءَ مِــنْ دُونِــي وَهُــمْ لَكُــمْ عَــدُوٌّ بِــئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾** [2] .

أنواع الحـــوار

يمكــن للقــارئ أن يميــز نــوعين مــن الحــوار؛ الأول: الحــوار الســردي (القــص) ووظيفتــه الإخبــار، ويوجــد فــي المحــور الأول مــن بنــاء الســورة ، حيــث يخاطــب الله_ تعــالى _ رســوله محمــداً _عليــه الصــلاة والســلام_ بــألوان مــن الخطــاب، مثــل خطابــات التلقــين والتفهــيم، أو التأييــد مــثلاً، ومثــل التمهيد للقصص أو التعليق عليها .

[**] سبقت الإشارة إلي محاور السورة .

[1] سورة الكهف ، الآية : 6 .

[2] سورة الكهف ، الآية :49 .

فمن خطابات التلقين قوله تعالى : ﴿ **قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا** * ﴾.

أما النوع الثاني من الحوار، فهو الحوار الجدلي (الدرامي)، وهو حوار يبرز فيه الصراع بين المتحاورين بالإضافة إلى الوظائف الأخرى مثل تصوير الشخصيات أو تنمية الحدث أو القص، ونجده يتجلى بوضوح في قصة صاحب الجنتين.

ووظيفة الحوار العامة بث الحيوية في النص، وليس أفضل في معرفة الشخصيات، ودخائل نفوسهم، ووجهات نظرهم المختلفة من سماعهم يتكلمون بأنفسهم، أو يحاجج بعضهم بعضاً .

خطاب الله للملائكة

لم يرد إلا في بعض آية ، و هو في قوله تعالى : ﴿**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا**﴾ .

ومن المعلوم أن الحوار مطلوب فيه الدقة والإيجاز، كما أن من مزايا القصة في القرآن أن" يساق القدر الموفي بالغرض منها"[1]، ولو كان لمحة عابرة، كما ورد في هذه العبارة الحوارية الدالة على قصة عصيان إبليس حين طلب منه الله السجود لأبينا (آدم) عليه السلام.

والدور الفني لهذه العبارة الحوارية يتمثل في تمهيدها للخطاب الموجه من الله للذين يوالون الشيطان في الآية نفسها في قوله تعالى : ﴿**أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا**﴾ [2] وتمهيدا لقصة صاحب الجنتين الذي اغتر بالدنيا والمال وتمكن منه الشيطان.

([1]) ينظر القصص القرآني إقناع و إبداع . السيد عسكر؛ ط1؛ (دار البشير للثقافة والعلوم **طنطا** : **مصر** 2000م) ، ص32 .

([2]) سورة الكهف ، من الآية : 50 .

هكذا تتناسق مع الموضوع العام للسورة الذي هو عقيدة التوحيد أي الولاء لله وحده ، و البراء مما سواه كالشيطان ، وتصحيح العقيدة ، وتصحيح منهج النظر والفكر على ضوء العقيدة [1] .

ومما يلاحظ أن كل الخطابات الموجهة من الله _ تعالى _ لخلقه من ملائكة أو رسل أو بشر، تكون على هيئة خطاب فرد يتكلم، وهو الله _ تعالى _، والطرف الثاني يسمع ولا يجيب، وفي ذلك إيحاء بالهيبة والجلال بشكل عام ، وحتى خطاب البشر إلى الله _ تعالى_ ، كالدعاء، كما سوف يتضح ، يقتصر على كلام طرف واحد أيضاً، لكنه طرف البشر، وهو يعكس ما في نفوس المتكلمين من خشوع وإجلال لله عز وجلَ .

والآيات الكريمة تبرز حقيقة أن أصل الحوار يدور بين اثنين ففي مثل صاحب الجنتين يقول تعالى : ﴿ **فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا * وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا * وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا * قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا * لَكِنَّ هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا * وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا * فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا * أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا** ﴾ [2] حيث يدور الكلام بين مؤمن وكافر، ووصف من ينكر القيامة بأنه كافر، وكذلك في قصة موسى_عليه السلام_، والرجل الصالح قال تعالى : ﴿ **قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا * قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا * قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا * قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا * فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ**

---

(1) ينظر في **ظلال القرآن** . 2257/4 .

(2) سورة الكهف ,الآية : 37-41 .

أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا * قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * قَالَ لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا * فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا * قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا * فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا * قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ (1) ، وعلى الرغم من تشابه آيات المثل والقصة في عدد الشخصيات وبعض الأوجه فإنهما تطرحان قضيتين فكريتين مختلفتين ويظهر فيها طرفان، حيث تدور معركة جدال تنتهي بنتيجة انتصار موقف أحدهما على الآخر.

ففي(قصة صاحب الجنتين) المشهد الأول كان الغني البطر طرفاً أولاً معتداً بماله وولده، ويزعم أن له الغلبة في الدنيا والآخرة على الطرف الآخر، وهو الفقير المؤمن المعتمد على الله حق الاعتماد، ولما أُحيط بالجنتين وثمارهما في الحياة الدنيا، نادى ، وهو ما دل عليه قوله تعالى : **﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾**(2) و ذلك بعد فوات الأوان وانعدام النصير ، وهو ما دل عليه قوله تعالى : **﴿ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا﴾**(3) ومن هذا قوله تعالى:**﴿ فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلا نَاصِرٍ﴾** (4) وعبر عن ندمه قائلاً : **﴿ هُنَالِكَ الْوَلايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾** (5) أي: معاملته خير لصاحبها **﴿ثوابا﴾** وهو الجزاء وخير **﴿عقبا﴾** وهو العاقبة في الدنيا والآخرة (6) .

---

(1) سورة الكهف من الآية : 65-81 .
(2) سورة الكهف ، من الآية :42 .
(3) سورة الكهف ، من الآية :43 .
(4) سورة الطارق ، الآية : 10 .
(5) سورة الكهف ، الآية :44 .
(6) قصص القـــرآن . إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ؛ جمع وترتيب : أحمد بن شعبان بن محمد ،ط1 ؛ (مكتبة الصفا ؛ 2003م)، ص 344 .

وتبين الآيات أن توبته وندمه لم يكونا خالصين لله تعالى ،وإنما كان رد فعل مؤقت لما أصابه في الحياة الدنيا، وهذا المصير يشبه مصير فرعون في قوله تعالى:﴿ **حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ * آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ** ﴾[1] أي صدقت، ولم ينفعه هذا الإيمان ؛ لأنه وقع منه بعد إدراك الغرق له كما تقدم في النساء، ولم يقل اللعين آمنت بالله أو برب العالمين، بل قال ما تقدم ؛ لأنه بقي فيه عرق من دعوى الإلهية **﴿وأنا من المسلمين﴾**أي المستسلمين لأمر الله المنقادين له الذين يوحدونه وينفون ما سواه ،فإن قيل : إنه آمن ثلاث مرات كما في هذه الآية فما السبب في عدم القبول؟ ، قيل : إنه آمن عند نزول العذاب، والإيمان والتوبة عنده غير مقبول، ويدل عليه قوله تعالى: **﴿فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا﴾** وأن الإيمان إنما يتم بالإقرار بالتوحيد والنبوة، وفرعون لم يقر بالنبوة فلم يصح إيمانه، وقيل غير ذلك .[2]

وفي قصة الرجل الصالح النبي موسى_عليه السلام_ الطرف الأول، والرجل الصالح الطرف الثاني، كانت القضية المطروحة محدودية علم البشر أمام علم الله _تعالى_أو الغيب الذي عُلِّمه الرجل الصالح، فالعلم البشري المحدود بظاهر الأمور لم يتقبل (خرق سفينة المساكين، وقتل الغلام بلا ذنب، وبناء جدار بلا مقابل في قرية أهلها بخلاء لئام)؛ لأنه يستند للأدلة والبراهين الملموسة فكانت النتيجة أن أوضح الرجل الصالح ما خفي من سر هذه الوقائع لموسى _ عليه السلام _ واحدة واحدة، تحقيقاً لحكمة الله وعدله وسعة علمه، ولقد تم الكلام عن هذه القصة وحصرها في أربعة مشاهد أشار فيها إلى غياب الفتى عن الأحداث، بعد المشهد الأول، وبين غرابة ما وقع في المشاهد الباقية، وكيف جرى الحوار

---

(1)سورة يونس ، الآية :91 ، 92 .

(2) فتح البيان في مقاصد القرآن .أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي ؛(صيدا ، بيروت :لبنان ،1412ه)بلب6،119/91

بـين موسـى _عليـه السـلام_ والعبـد الصـالح، وأخيـرا سـاق تلـك الأحـداث ؛ ليبـين حقيقـة أراد العبـد الصـالح بيانهـا لموسـى _عليـه السـلام _ وهـي أن العلـم لله ، فمـا كـان مـا كـان إلا بعلـم الله وكيـف أن موسـى _ عليـه السـلام _ كـان مثـالاً للعلـم الشـرعي القـائم علـى ظـواهر الأشـياء والحقـائق ، وأن الخضـر كـان طرفـا قائمـا بـالعلم اللـدني الغيبـي[1]، والثمـرة المسـتفادة هـي أن الله _تعـالى_ لا يُقَـدِّر علـى الإنسـان إلا كـل خيـر، و إنْ لـمْ تُـدرك الحكمـة ممـا قضـى بـه في أوآنه .

وهكـذا تصـب كـل مـن القضـيتين المطـروحتين فـي الموضـوع العـام للسـورة : عقيـدة التوحيـد، وتصـحيح الفكـر، والنظـر علـى ضـوء هـذه العقيـدة رغم اختلافهما في طريقة العر

---

[1] ينظر مباحث في علوم القرآن . صبحي الصالح ؛ط1 ؛ (دار العلم للملايين : 1959 م) ، ص222- 223 .

الفصل الثانـي: قصة أصحاب الكهف

المبحث الأول : رحاب القصة

المبحث الثاني : الإعجاز في القصة

المبحث الثالث : الأثر العقـائدي في القصـة

المبحث الأول

في رحــاب القصة

المطلب الأول _ العرض القرآني للقصة وسببها

المطلب الثاني _ التناسب في القصة

قصة أصحاب الكهف

نموذج عملي للعصمة والنجاة من الفتن

القصص القرآني نهر متدفق بالعطاء والنفحات، وبحرٌ زاخرٌ بالعبر والعظات، وروضٌ حافلٌ بالرياحين والثمرات، نتنسم شذاها، ونقتطف جناها وكواكب نيرات وبدور ساطعاتٍ، نترسم خطاها، ونقتبس ضياءها، وحجج ساطعات وآيات بيِّنات تنطق بصدق هذا الكتاب المبين المنزل من عند رب العالمين، على قلب رسوله الأمي من هذا الروض الباسم والبحر الزاخر هذه القصة العجيبة قال تعالى :﴿ **نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ**﴾ [1]، قصة أولئك الفتية الذين خرجوا فرارًا بدينهم، معتصمين بربهم فآواهم المبيت إلى كهف أجمعوا أمرهم على البقاء فيه حتى تنجلي الفتنةُ الظلماء، وينقشع البلاء، ولم يخطر ببالهم أن نومهم سيطول ليتجاوز ثلاثة قرون وهم في رقادٍ عميق، حتى أشرق عليهم فجر جديد، وهبت عليهم نسائمُ الحرية، بعد أن تعاقبت القرون وتداولت العهود وولَّى عهد الطغاة .

ويتبين من السياق مدى التفصيل الذي اختصت به قصة أصحاب الكهف دون باقي القصص الأخرى.

المطلب الأول _ العرض القرآني للقصة وسببها

أولا : العرض القرآني للقصة

قال تعالى:﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا * إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا * فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا * ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا * نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى * وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا * هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا * وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ

---

[1] سوره الكهف ، من الآية : 13.

رَحْمَتِـهِ وَيُهَيِّـئْ لَكُـمْ مِـنْ أَمْـرِكُمْ مِرْفَقًـا * وَتَـرَى الشَّـمْسَ إِذَا طَلَعَـتْ تَـزَاوَرُ عَـنْ كَهْفِهِـمْ ذَاتَ الْيَمِـينِ وَإِذَا غَرَبَـتْ تَقْرِضُـهُمْ ذَاتَ الشِّـمَالِ وَهُـمْ فِـي فَجْـوَةٍ مِنْـهُ ذَلِـكَ مِـنْ آيَـاتِ اللَّـهِ مَـنْ يَهْـدِ اللَّـهُ فَهُـوَ الْمُهْتَـدِ وَمَـنْ يُضْـلِلْ فَلَـنْ تَجِـدَ لَـهُ وَلِيًّـا مُرْشِـدًا * وَتَحْسَـبُهُمْ أَيْقَاظًـا وَهُـمْ رُقُـودٌ وَنُقَلِّـبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِـينِ وَذَاتَ الشِّـمَالِ وَكَلْـبُهُمْ بَاسِـطٌ ذِرَاعَيْـهِ بِالْوَصِيدِ لَـوِ اطَّلَعْـتَ عَلَـيْهِمْ لَوَلَّيْـتَ مِـنْهُمْ فِـرَارًا وَلَمُلِئْـتَ مِـنْهُمْ رُعْبًـا * وَكَـذَلِكَ بَعَثْنَـاهُمْ لِيَتَسَـاءَلُوا بَيْـنَهُمْ قَـالَ قَائِـلٌ مِـنْهُمْ كَـمْ لَبِثْـتُمْ قَـالُوا لَبِثْنَـا يَوْمًـا أَوْ بَعْـضَ يَـوْمٍ قَـالُوا رَبُّكُـمْ أَعْلَـمُ بِمَـا لَبِثْـتُمْ فَـابْعَثُوا أَحَـدَكُمْ بِـوَرِقِكُمْ هَـذِهِ إِلَـى الْمَدِينَـةِ فَلْيَنْظُـرْ أَيُّهَـا أَزْكَـى طَعَامًـا فَلْيَـأْتِكُمْ بِـرِزْقٍ مِنْـهُ وَلْيَتَلَطَّـفْ وَلَا يُشْـعِرَنَّ بِكُـمْ أَحَـدًا * إِنَّهُـمْ إِنْ يَظْهَـرُوا عَلَـيْكُمْ يَرْجُمُـوكُمْ أَوْ يُعِيـدُوكُمْ فِـي مِلَّـتِهِمْ وَلَـنْ تُفْلِحُـوا إِذًا أَبَـدًا * وَكَـذَلِكَ أَعْثَرْنَـا عَلَـيْهِمْ لِيَعْلَمُـوا أَنَّ وَعْـدَ اللَّـهِ حَـقٌّ وَأَنَّ السَّـاعَةَ لَا رَيْـبَ فِيهَـا إِذْ يَتَنَـازَعُونَ بَيْـنَهُمْ أَمْـرَهُمْ فَقَـالُوا ابْنُـوا عَلَـيْهِمْ بُنْيَانًـا رَبُّهُـمْ أَعْلَـمُ بِهِـمْ قَـالَ الَّـذِينَ غَلَبُـوا عَلَـى أَمْـرِهِمْ لَنَتَّخِـذَنَّ عَلَـيْهِمْ مَسْـجِدًا * سَـيَقُولُونَ ثَلَاثَـةٌ رَابِعُهُـمْ كَلْـبُهُمْ وَيَقُولُـونَ خَمْسَـةٌ سَادِسُـهُمْ كَلْـبُهُمْ رَجْمًـا بِالْغَيْـبِ وَيَقُولُـونَ سَبْعَةٌ وَثَـامِنُهُمْ كَلْـبُهُمْ قُـلْ رَبِّـي أَعْلَـمُ بِعِـدَّتِهِمْ مَـا يَعْلَمُهُـمْ إِلَّا قَلِيـلٌ فَـلَا تُمَـارِ فِـيهِمْ إِلَّا مِـرَاءً ظَـاهِرًا وَلَا تَسْـتَفْتِ فِـيهِمْ مِـنْهُمْ أَحَـدًا * وَلَا تَقُـولَنَّ لِشَـيْءٍ إِنِّـي فَاعِـلٌ ذَلِـكَ غَـدًا * إِلَّا أَنْ يَشَـاءَ اللَّـهُ وَاذْكُـرْ رَبَّـكَ إِذَا نَسِـيتَ وَقُـلْ عَسَـى أَنْ يَهْـدِيَنِ رَبِّـي لِأَقْـرَبَ مِـنْ هَـذَا رَشَـدًا * وَلَبِثُـوا فِـي كَهْفِهِـمْ ثَلَاثَمِائَـةٍ سِـنِينَ وَازْدَادُوا تِسْـعًا * قُـلِ اللَّـهُ أَعْلَـمُ بِمَـا لَبِثُـوا لَـهُ غَيْـبُ السَّـمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِـرْ بِـهِ وَأَسْـمِعْ مَـا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِـي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴾ (1).

ثانيا : سبب هذه القصة

ذكـر ابـن إسـحاق أن قريشـا بعثـوا النضـر بـن الحـارث وعقبـة بـن أبـي معيط إلـي أحبـار يهـود المدينـة وقـالوا لهمـا :سـلوهم عـن محمـد وصـفا لهـم صـفته وأخبـروهم بقولـه فـإنهم أهـل الكتـاب الأول ، وعنـدهم مـا لـيس عنـدنا مـن علـم الأنبيـاء فخرجـا حتـى قـدما المدينـة ، فسـألا أحبـار يهـود عـن رسـول الله _صـلي الله عليـه وسـلم_ ، ووصـفوا لهـم أمـره وأخبـروهم بـبعض قولـه وقـالوا لهـم : إنكـم أهـل التـوراة وقـد جئنـاكم لتخبـروا النـاس عـن صـاحبنا هـذا ، فقالـت لهـم أحبـار يهـود :

(1) سورة الكهف ، من الآية : 9-26 .

سلوه عن ثلاث نأمركم بهن ؟ ، فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل، وإن لم يفعل فالرجل متقول ، فتروا فيه رأيكم، سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول، ما كان أمرهم ، فإنه قد كان لهم حديث عجب، وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها، وما كان نبؤه، وسلوه عن الروح فإن أخبركم بذلك فاتبعوه فإنه نبي، وإن لم يفعل فهو رجل متقول فاصنعوا في أمره ما بدا لكم، فأقبل النضر بن الحارث وعقبه بني أبي معيط حتى قدما مكة علي قريش فقالا: يا معشر قريش، قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد، قد أمرنا أحبار يهود أن نسأله عن أشياء أمرونا بها فإن أخبركم عنها فهو نبي، وإن لهم يفعل فالرجل متقول، فتروا فيه رأيكم، فجاءوا رسول الله فقالوا : يا محمد أخبرنا عن فتية ذهبوا في الدهر الأول، قد كانت لهم قصة عجب، وعن رجل كان طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها، وأخبرنا عن الروح ما هي، فقال لهم رسول الله _صلى الله عليه وسلم _ : ((أخبركم بما سألتم عنه غدا)) ولم يستثن، فانصرفوا عنه، ومكث رسول الله _صلى الله عليه وسلم _ خمس عشرة ليلة لا يحدث الله له في ذلك وحيا ، ولا يأتيه جبريل _عليه السلام_، حتى أرجف أهل مكة وقالوا : وعدنا محمد غدا، واليوم خمس عشرة ليلة، وقد أصبحنا فيها لا يخبرنا بشي عما سألناه عنه، وحتى أحزن رسول الله _صلي الله عليه وسلم_، مكث الوحي عنه، وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة ، ثم جاءه جبريل _عليه السلام_ من عند الله _عز وجل_ بسورة أصحاب الكهف فيها معاتبته إياه علي حزنه عليهم ، وخبر ما سألوه عنه من أمر الفتية والرجل الطواف[1] وزاد في كتاب السيرة، الروح.*

وعلى أية حال الذي يعنينا في هذه القصة عبارة :"سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول"

المطلب الثاني : التناسب في القصة

(1) تفسير ابن كثير . 4 /366 ؛ السيرة النبوية . ابن هشام ؛ تح : مصطفى السقا ؛إبراهيم الابياري ؛ عبد الحفيظ شلبي ؛ (مؤسسة علوم القرآن) 302/1.

(*) ورد ذكر الروح في سورة الإسراء في قوله تعالى: **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا** .

أولا :المناسبة بين آيات القصة وما قبلها

جاءت هذه القصة ؛ لتنبه الرسول _ صلى الله عليه وسلم _ أن يترفق بنفسه، وألا يحزن على قومه الذين جاءهم بالحق المبين، لكنهم آثروا الاستمرار في غيهم وفي ضلالهم، فإنه يؤدي ما عليه من واجب البلاغ وأمانة الرسالة، وليتذكر أن الهداية من الله يختص بها من يشاء ويمنحها من يستحقها ، وأولئك الفتية أنموذج لمن اصطفاهم الله، وملأ قلوبهم بالإيمان ، وهداهم إليه بالفطرة والبرهان .

ثانيا :المناسبة بين القصة والمحور العام للسورة

تقدم الكلام عن المناسبة بين القصة والمحور العام للسورة وإنما أشير إليه هنا استذكارا واستحضارا لما سبق بيانه مراعاة لتمام الفائدة وحضور الذهن .

لما بين الله _ عز وجل _ أن ما على الأرض من زينة وآيات واضحة وجلية لأصحاب العقول والبصائر إنما هو ابتلاء وامتحان يبرز معادن الناس وهمتهم وسعيهم نحو العمل الصالح بدليل قوله تعالى:﴿ **إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا** ﴾ ، وهذا إشارة إلى التزهيد في الدنيا والرغبة عنها ، وتسلية للرسول _صلى الله عليه وسلم_ عن ما تضمنته أيدي المترفين من زينتها إذ مآل ذلك كله إلى الفناء .

لما بين الله سبحانه وتعالى ذلك ضرب أمثلة تكشف عن موقف الناس من زينة الحياة الدنيا، فبدأ بقصة أصحاب الكهف أولئك الفتية الذين لم يغتروا بزينة الشباب وزينة الأهل والعشيرة والسلطان والأبهة فلقد تركوا كل هذه الزينة، وأعرضوا عن جميع الملذات ومتع الحياة الدنيا في سبيل الله _جل في علاه_ ، وكيف أن المولى قدر استفسار اليهود عنها ؛ ليبين تلك القصة للناس ، وليحكي لرسوله خبرا من أخبار ظن اليهود أن لا أحد غيرهم يعلمها؛ تسلية للنبي _صلى الله عليه وسلم_ ، وإبرازا لعظمة هذا الكتاب الكريم ببيان شيء من إعجازه ، وإثباتا لأصل من أصول العقيدة وهو البعث، ويأتي التعقيب مبينا أن القرآن خال من التحريف والتبديل، و في ذلك إشارة إلى التحريف الذي لحق بالتوراة والإنجيل

قال تعالى : ﴿ **وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ** ﴾[1] [2]
وموجها الرسول_صلى الله عليه وسلم_ للصبر والاحتساب مع من قصدوا وجه الله، و ليعرض عن من أعرض عنه فالحق بين والضلال بين ولكل فريق طريق، من شاء آمن ومن شاء كفر ، وفي هذه الآيات بيان لحقيقة كل من الفريقين ، وشتان بينهما يقول الله تعالى :
﴿ **وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا* وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ** ﴾ [3] ، وفي هذا حث على مجالسة أهل الدين والطاعة وإن كانوا فقراء، وتنفير عن الإقبال على أهل الشرك و العصاة وإن كانوا أهل جاه ومفخرة ورفاهية فإنه لا رجاء في إسلامهم فلقد طبع على قلوبهم [4] .

من خلال مثل صاحب الجنتين الذي غره المال ، ولم يحمد الله_ سبحانه وتعالى عليه_ ، بل تمادى وازداد غيا في حين نجح صاحبه في الابتلاء وعرف حقيقة هذه الدنيا الفانية وكان له ناصحا وواعظا ثم يأتي التعقيب على هذه القصة مبينا حقيقة الدنيا الآيلة إلى زوال ([5]) ، وما فيها من زينة تسلب القلوب وتصرف أصحاب النفوس الضعيفة عن غاية وجودها قال تعالى :
﴿ **و ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** ﴾ [6] وإن كان هناك من يغتر بالمال وبالولد والجاه والسلطان فإن هناك من يغتر بالوعود الكاذبة والأماني الباطلة التي يمنى بها إبليس اللعين ضعاف النفوس قال الله تعالى : ﴿ **يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا** ﴾ [7] فكم من معصية زينها، و كم من طاعة صرف الناس عنها، وهناك الكثير من الأدلة التي لا يتسع المقام لذكرها والخوض فيها .

---

(1) سورة الكهف ، من الآية : 27 .
(2) تفسير البحر المحيط . 141/7 .
(3) سورة الكهف الآية : 28،29.
(4) صفوة التفاسير، 2/ 189- 190 .
(5) ينظر نظم الدرر في تناسب الآيات و السور . سورة الكهف ،739/4.
(6) سورة الذاريات ، الآية : 56 .
(7) سورة النساء من الآية : 119 .

لمـا بـين أن الإنسـان تعـرض لـه فـتن عظيمـة متنوعـة فـي حياتـه الـدنيا قـد تصـرفه عـن الغايـة الأسـمى والأمثـل التـي خلـق لأجلهـا كمـا جـاء فـي آيـة سـورة الـذاريات السـابقة، لـزم بيـان مـا يخـدم ويحقـق تلـك الغايـة العظيمـة، لـذا جـاء سياق الآيـات يبـين لنـا الحقـائق السـاطعة والقضـايا العقائديـة حـول الألوهيـة، والوحدانيـة، والرسـالة، واليـوم الآخـر وسـنن الله فـي خلقـه ، والأمـم الماضـية والجاريـة، وبيـان رسـالة الرسـل ودورهـم وحقيقـة أن الهدايـة مـن عنـده سـبحانه وتعـالى، وإنهـم لـم يرسـلوا للبحـث عـن غرائـب التـاريخ وغيرهـا بـل ليـدربوا النـاس بالتـدبر والتفكـر وإعمال العقل.

وعلـى ضـوء الآيـات السـابقة فـإن الـنعم متعـددة متنوعـة ، والشـكر عليهـا ثمـرة تقـوى الله، والتقـوى ثمـرة الثقـة بـالله ، ولا يغفـل عـن الشـكر إلا مـن عـدم تقـواه _سبحانه وتعالى_ ، وهذا هو الجاحد العاصي .

كمـا أن الآيـات السـابق ذكرهـا تبـين للإنسـان العاقـل سـبيل النجـاة والسـلامة فـي الـدنيا، فهـي مـن جانـب تشـير إلـى ضـرورة الثقـة فيمـا يقضـي بـه الله علـى عبـاده ، فإنه لا يقضي إلا بكل خير .

وينبـه المـولى _عـز وجـل_ إلـى أن المـرء قـد يعصـي مـن حيـث لا يعلـم، ولـرب نعمـة امـتن بهـا الله عليـه تجعـل نفسـه تغتـر بهـا فيهلـك دون أن يـدري، و لـك فـي قصـة قـارون خيـر شـاهد، ألـم يـنعم عليـه الله _عـز وجـل_ بـنعم وأمـوال لا تعـد ولا تحصـي؟ قـال تعـالى : **﴿ وَآتَيْنَـاهُ مِـنَ الْكُنُـوزِ مَـا إِنَّ مَفَاتِحَـهُ لَتَنُـوءُ بِالْعُصْـبَةِ أُولِـي الْقُـوَّةِ﴾**[1]، وعلـى قـدر الشـخص وعلـو مكانتـه يعاتـب، فهـذا نبـي الله وكليمـه لمـا وصـف نفسـه بأنـه أعلـم أهـل الأرض عاتبـه ربـه، وأنـزل فـي هـذا آيـات تتلـى تنبيهـا وتـذكيرا بـأن كمـال العلـم لله سـبحانه فقـط فـلا حـد للعلـم قـال الله تعـالى : **﴿وَفَـوْقَ كُـلِّ ذِي عِلْـمٍ عَلِـيمٌ﴾** [2]، ثـم يضـرب الله مـثلا لمـن لـم يغتـر بـالقوة والسـلطان؛ العبـد الصـالح ذي القـرنين الـذي وظـف ملكـه وسـلطانه فـي نشـر الـدين ، ورفـع الظلـم عـن المظلـومين ورد الطغـاة البـاغيين ، وكـان كلمـا جـدد الله لـه نعمـة

---

(1)سورة القصص ، من الآية : 76 .
(2) سورة يوسف ، من الآية : 76 .

جدد لها شكرا وردها إلى المنعم عز وجل ، قال تعالى:﴿ **لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ** ﴾ [1]، و لك أن تقارن بين الملك الظالم في قصة أصحاب الكهف الذي سلب قومه عقولهم واضطرهم إلى الكفر، وبين الملك الغاصب الذي يسرق أموال رعيته التي أؤتمن عليها ، ويغتصب ممتلكاتهم ظلما وتجبرا ، قال تعالى على لسان الخضر: ﴿ **أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ** ﴾[2]، وبين الملك الصالح (ذو القرنين) الذي مكنه الله في الأرض فأقام ميزان العدل والإحسان، وأيضا بين عهدين:عهد ساد فيه الكفر والفساد إلى الحد الذي اضطر المتمسكين بدينهم إلى الفرار، وعهد أشرقت فيه شمس الحق ، و بين صاحب الجنتين الذي اغتر بجنتيه وجحد النعمة وتمادى في الضلال ، وبين صاحبه الذي يذكره بالله، وبين صاحب الجنتين، وبين ذي القرنين الذي يتذكر فضل الله عليه ، و يلهج بحمده على ما أولاه من النعم.

من هنا تتجلى الصلة بين قصة أصحاب الكهف، وبين القصص الأخرى التي تضمنتها هذه السورة الكريمة ؛ لأنها جميعها تدور حول الابتلاء بزينة الدنيا وفتنها، وموقف الناس منها.

ومن أوجه المناسبة بين قصة أصحاب الكهف والمقاصد الرئيسة لسورة الكهف أنها أوضحت بجلاء طرق النجاة من الفتن، حيث تعرض الفتية لفتنةِ عظيمةِ عصمهم الله منها لما خلصت نيتهم، وصفت سريرتهم وصدقوا في توجههم إلى الله _تعالى_، وتمثل الخلاص بالفرار من أرض المعصية والذنوب والظلم إشارة إلى قوله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا**﴾ .[3]

ثالثا _ تأملات في سياق القصة

قصة أصحاب الكهف من أكثر القصص التي وردت مفصلة في سورة الكهف مقارنة بالقصص الأخرى، وحملت الدلالة على مفهوم العقيدة والبعث وكانت دلالاتها واضحة، وبلغ عدد آياتها 18 آية ، وردت القصة مجملة في

([1]) سورة إبراهيم ، من الآية : 9 .

([2]) سورة الكهف ، من الآية : 78 .

([3]) سورة النساء ،من الآية : 97.

بداية السرد القصصي في قوله تعالى: ﴿ **إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا * فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا * ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا** ﴾ وذلك لبيان أنها ليست من أعجب آيات الله_ سبحانه وتعالى_، ثم أعقب الإجمال تفصيل ،وذلك إشارة لنوع من أنواع العرض القرآني "وكأن المقدمة كانت تمهيدا مشوقا لمتابعة أحداث القصة وصولا إلى الغاية " [1].

وتعكس الآيات جانبا من شخص النبي _صلى الله عليه وسلم_ يتمثل في رأفته بقومه وأسفه لأمر موقفهم من دعوته لما دعاهم، وبين له الله سبحانه وتعالى أنه لا يملك لهم من أمرهم شيئا كما في قوله تعالى : ﴿ **فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا** ﴾.

فقصة أصحاب الكهف إثبات لنبوته _صلى الله عليه وسلم_، وبرهان على أنه إنما يبلغ أمر ربه شأن غيره من الأنبياء ، وفي الآية السابقة تنويه بأن المجادلة ؛ لأجل إحقاق الحق لا يكون إلا بالتي هي أحسن .

ومن المعاني الإيمانية بيان القصة بصريح الآية حقيقة أن الهداية من عند الله تعالى : ﴿ **إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى** ﴾ والآية صريحة في زيادة الهدى والإيمان[2].

رابعا _ العرض التحليلي للقصة :

مطلع القصة وبراعة الاستهلال

بدأ السياق بهذا الأسلوب الشيق أسلوب الاستفهام التعجبي في قوله تعالى: ﴿ **أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا** ﴾ **أم** : حرف يدل على الانتقال من غرض إلى آخر ، ولما كان هذا من المقاصد التي أنزلت السورة لبيانها لم يكن هذا الانتقال اقتضابا بل هو كالانتقال من الديباجة

---

(1) القصص القرآني إقناع و إبداع. ص37 .
(2) ينظر أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن . محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي ؛ تح : مكتب البحوث والدراسات؛ (دار الفكر،بيروت : لبنان ، 1995 م) 2 /50 .

والمقدمة إلى المقصود على أن مناسبة الانتقال إليه تتصل بقوله تعالى: **﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾** .

إذ كان مما صرف المشركين عن الإيمان إحالتهم الإحياء بعد الموت فكان ذكر أهل الكهف وبعثهم بعد جمودهم سنين طويلة مثالا لإمكان البعث"[1].

فنحن أمام قصة عجيبة تفوق حدود إدراكنا، ولكن هناك الكثير من الأمور المعجزة، و تعايشنا معها يجعلنا نتقبلها.

فخلق الإنسان والسموات ، والأرض، واختلاف الليل والنهار، وعالم النبات والبحار، فضلا عن عالم الغيب وما فيه من حكم وأسرار، ودقائق وأخبار وغير ذلك، كلها من عجائب صنع الواحد القهار.

" أعلم أن القوم تعجبوا من قصة أصحاب الكهف وسألوا عنها الرسول _صلي الله عليه وسلم _ علي سبيل الامتحان فقال تعالي: **﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾** أنهم كانوا عجبا من آياتنا فقط فلا تحسبن ذلك فإن آياتنا كلها عجب فإنه من كان قادرا على خلق السماوات والأرض وتزيين الأرض بأنواع المعادن والنبات والحيوان ثم بعد ذلك يجعلها صعيدا جزرا خالية من الكل، فكيف يستبعدون عن عظيم قدرته وحفظه ورحمته حفظ طائفة مدة ثلاثمائة سنة وأكثر في النوم، هذا هو الوجه في تقدير النظم ، والله أعلم"[2].

ومن الواضح للمتأمل أن هذه الآية توضح أن هذه القصة من آيات الله وهي كثيرة يقول تعالى: **﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾**[3] وإن كانوا لا يعقلونها فكم تركوا من آيات في السماء والأرض واضحة جلية ، ولم يعقلوها ،فهذه عادتهم ، قال تعالى: **﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾** [4]ويقول سبحانه: **﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً**

---

(1) ينظر تفسير التحرير والتنوير. 15 / 258 .

(2) التفسير الكبير. فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي ؛ (دار الكتب العلمية ، بيروت : لبنان،2000م) ، 21 / 69 .

(3) سورة يوسف ، الآية: 105

(4) سورة محمد، الآية : 24.

لَهَــا﴾[1] وهــذه الزينــة أبــدعها ينظــر إليهــا ويعقلهــا المتفكــرون [2]، وكلهــا نصــوص تدعوا للإيمان بالله .

ومــن هنــا تبــين أن قصــة أصــحاب الكهــف التــي يلــح المجــادلون وأدعيــاء العلــم علــى معرفــة مــا عنــد النبــي_ صــلى الله عليــه وســلم_ مــن خبرهــا ، ليســت بأعجــب فــي ظاهرهــا مــن قصــة نــواة ، أو حبــة فــي التــراب ، ثــم لا تلبــث أن تكــون نبتــة مخضــرة ، تجــرى فيهــا الحيــاة ، ثــم إذا هــي بعــد زمــن قــد علــت واســتوت علــى ســوقها وأينعــت زهــرا وثمــرا ، كمــا فــي قولــه سبحانه وتعــالى: **﴿ ذَلِــكَ مَــثَلُهُمْ فِــي التَّــوْرَاةِ وَمَــثَلُهُمْ فِــي الْإِنْجِيــلِ كَــزَرْعٍ أَخْــرَجَ شَــطْأَهُ فَــآزَرَهُ فَاسْــتَغْلَظَ فَاسْــتَوَى عَلَــى سُــوقِهِ يُعْجِــبُ الــزُّرَّاعَ لِيَغِــيظَ بِهِــمُ الْكُفَّــارَ﴾**[3] وكــل هــذه العجائــب ليســت مقصــودة لــذاتها قال تعالى: **﴿ وما يعقلها إلا العالمون﴾**[4] .

ولبيــان أن قصــة أصــحاب الكهــف ليســت بالغريبــة، ولــيمعن المــؤمن التفكيــر فــي هــذا التحليــل: ألــيس النــاس ينــامون كــل ليلــة، ويســتيقظون، وهــذا نفســه وإن كــان معلومــا أشــبه بــأمر البعــث، وبالتــالي لا فــرق بــين نــوم الآلاف المؤلفــة مــن النــاس كــل ليلــة ، وبــين نــوم ســبعة أنفــس مئــات مــن الســنين إلا أن الغرابــة هنــاك، والكرامــات التــي منحهــا الله لهــم هــي التــي ذهبــت بعقــول النــاس فقــط، وإلا فالبرهــان واحــد، فمتــى ثبــت نــوم وإيقــاظ لحظــات كــان ذلــك كالســنوات ولكــن النــاس لا يخضعوا إلا للغرائب[5] .

ولكــم يغفــل كثيــر مــن النــاس عــن الــنعم الظــاهرة والآيــات البــاهرة لكونهــا مألوفــة لهــم، بــل قــد يغفلــون عــن شــكر الــنعم الظــاهرة ، كنعمــة الســماء والأرض، والشمس والقمر، والليل والنهار.

والكهـــف هـــو: النقـــب المتســـع فـــي الجبـــل وإذا لـــم يكـــن واســـعا فهـــو غـــار وحكـي النقـاش عـن أنـس بـن مالـك أنـه قـال : الكهـف الجبـل ، وهـذا غيـر شـهير فـي

---

(1) سورة الكهف الآية :7 .

(2) ينظر الجواهرى في تفسير القرآن الكريم المشتمل على عجائب بدائع الكون وغرائب الآيات الباهرات . طنطاوي جوهري المصري ؛ ضبطه: محمد عبد السلام شاهين ،187/9.

(3) سورة الفتح ، من الآية : 29 .

(4) سورة العنكبوت ، الآية : 43 .

(5) ينظر الجواهري في تفسير القرآن الكريم . الطنطاوي جوهري ؛9 / 197 .

اللغـة [1] أمـا الـرقيم فقـد اختلـف النـاس فيـه، "قـال : ابـن عبـاس : كـل شـيء فـي القـرآن أعلمــه إلا أربعــة: غســلين، وحنــان، والأواه، والــرقيم "[2]، وسـئل مـرة عـن الـرقيم فقـال : زعـم كعـب إنهـا قريـة خرجـوا منهـا، وقـال مجاهـد: الـرقيم واد، وقـال السـدي : الـرقيم الصخـرة التـي كانـت علـى الكهـف، وقـال ابـن زيـد : الـرقيم كتـاب غـم الله علينـا أمـره ، ولـم يشـرح لنـا قصـته وقالـت فرقـة :الـرقيم كتـاب فـي لـوح مـن نحـاس، وقـال ابـن عبـاس: فـي لـوح مـن رصـاص كتـب فيـه القـوم الكفـار الـذين فـر الفتيـة مـنهم قصـتهم وجعلوهـا تاريخـا لهـا ؛ ذكـروا وقـت فقـدهم وكـم كـانوا وبـين مـن كانوا" [3] .

وقـال ابـن عاشـور: "والـرقيم فعيـل بمعنـى مفعـول مـن الـرقم وهـو الكتابـة، فـالرقيم كتـاب كـان مـع أصـحاب الكهـف فـي كهفهـم ، قيـل كتبـوا فيـه مـا كـانوا يـدينون بـه مـن التوحيـد ، وقيـل : هـو كتـاب ديـنهم، ديـن عيسـى-عليـه السـلام-، وقيـل هـو ديـن عيسـى، وقيـل: كتبـوا فيـه الباعـث الـذي بعـثهم علـى الالتجـاء إلـى الكهف فرارا من كفر قومهم" [4] .

ويتضـح ممـا سـبق أنـه لـم يـرد عـن الرسـول _صـلى الله عليـه وسـلم _ فـي معنـى الـرقيم شـيء ، ثـم إن تعـدد الأقـوال فـي المسـألة يـدل علـى عـدم وجـود نقـل يرجـع إليـه وعليـه يكـون مـن المناسـب الرجـوع إلـى اللغـة ؛ لفهـم معنـى "الـرقيم"، قـال ثعلـب : " الـرقيم اللـوح و بـه فسـر الآيـة " [5]، والمعنـى اللغـوي يؤيـد مـا ذهـب إليـه الجمهـور بـأن الـرقيم بمعنـى المرقـوم ؛ أي المكتـوب، كمـا فـي قولـه تعـالى:﴿ **كِتَـابٌ مَرْقُـومٌ﴾** ([6]) ، ولا فـرق إن كانـت الكتابـة علـى حجـر، أو علـى لـوح مـن رصـاص و قـد يتبـادر سـؤال : هـل أصـحاب الكهـف هـم أنفسـهم أصـحاب الـرقيم ؟ الجمهـور مـن المفسـرين يقولـون : نعـم، وهنـاك مـن يقـول بـل إنّ أصـحاب الكهـف

([1]) ينظر تفسير القرطبي .(دار إحياء التراث العربي ،بيروت : لبنان ، 1966م) . 356/10 .
([2]) **المصدر** نفسه .
([3]) المصدر نفسه .356 ، 357 .
([4]) تفسير التحرير والتنوير . 15 /260 .
([5]) تاج العروس من جواهر القاموس . محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني أبو الفيض الملقب بمرتضى الزبيدي ؛ ؛ تح : مجموعة من المحققين ؛باب ر ق م ؛ (دار الهداية) ،32 / 272 .
([6]) سورة المطففين ، الآية 9.

هـم غيـر أصـحاب الـرقيم[1] وقصـتهم غيـر قصـتهم ، ذكـرهم الله مـع أصـحاب الكهـف ولـم يـذكر لهـم قصـة ؛ لأن أصـحاب الكهـف نـاموا، والـذين كتبـوا وخلـدوا الحدث هم أناس آخرون[2].

وهـذا القـول لا يناسـب ولا يـتلاءم و السـياق ، إذ لـو كـان صـحيحاً لأشـار سـبحانه إلـى قصـتهم وإلـى شـيء مـن خبـرهم فـدل عـدم ذكـر شـيء عـنهم على عدم صحة القول القائل أصحاب الرقيم هم غير أصحاب الكهف .

مكان الكهف وزمان أصحابه

أمـا عـن مكـان الكهـف فقيـل: بالشـام ، وقيـل : بـبلاد الـروم ، وجـاء فـي مجلـة العربـي الكـويتي " إن عـالم الآثـار الرومـاني (رفيـق رضـا الـدجانى) اكتشـف عـام 1963 عنـد منطقـة الرحيـب بـالأردن مغـارة الكهـف التـي اتخـذها أصـحاب الكهف مرقدا لهم حين دخلوها هاربين بأنفسهم "[3] .

وأشـار القرطبـي فـي تفسـيره " وبالشـام علـي مـا سـمعت بـه نـاس [كهـف] فيـه مـوتي ، يـزعم مجـاوروه أنهـم أصـحاب الكهـف وعلـيهم مسـجد وبنـاء يسـمي الـرقيم ومعهـم كلـب رمـه وبالأنـدلس فـي جهـة غرناطـة بقـرب قريـة تسـمي لوشـة كهـف فيـه مـوتي ومعهـم كلـب رمـه، وأكثـرهم قـد تجـرد لحمـه وبعضـهم متماسـك، وقـد

([1]) أصحاب الرقيم هم قوم آخرون غير أصحاب الكهف كانوا يطلبون الكلأ أو نحوه فأخذهم المطر فأووا إلى كهف فانحطت صخرة وسدت عليهم بابه فقال احدهم اذكروا ايكم عمل حسنة لعل الله يرحمنا ببركته فقال واحد استعملت اجراء ذات يوم فجاء رجل منهم وسط النهار وعمل في بقيته مثل عملهم فأعطيته مثل أجرهم فغضب احدهم وترك أجره في جانب البيت فتربى بقر فاشتريت فصيلة والفصيل ولد الناقة ادا انفصل عن أمه فبلغت ما شاء الله فرجع إلى بعد حين شيخا ضعيفا لا اعرفه وقال إن لي عندك حقا وذكره حتى عرفته فرفعتها إليه جميعا اللهم إن كنت فعلت ذلك لوجهك فأفرج عنا فانصدع عنهم الجبل حتى رأوا الضوء وقال أخر كنت في فضل وأصاب الناس شدة فجاءتني امراءة تطلب منى معروفا فقلت والله ما هو دون نفسك فأبت وعادت ثم رجعت ثلاثا ثم ذكرت ذلك لزوجها فقال أجيبي له وأعيني عيالك فأتت وسلمت إلى نفسها فلما كشفتها وهممت بها ارتعدت فقلت لها مالك فقالت أخاف الله تعالى فقلت لها خفتيه في الشدة ولم أخفه في الرخاء فتركتها وأعطيتها ملتمسها لوجه الله إن كنت فعلته لوجهك فافرج عنا فانصدع حتى تعارفوا وقال الثالث كان لي ابوانِ هرمان وكان لي غنم وكنت اطعمهما واسقيهما ثم ارجع إلى غنمي فحبسني ذات يوم غيم فلم ارجع حتى أمسيت فأتيت اهلي واخدت محلبى فحلبت فيه ، ومضيت إليهما فوجدتهما نائمين فشق على أن اوقظهما وقفت حابسا محلبى على يدى حتى ايقظهما الصبح فسقيتهما اللهم إن كنت فعلت ذلك لوجهك الكريم فافرج عنا ففرج الله عنهم فخرجوا ..ينظر تفسير السراج المنير للإمام الشيخ محمد بن احمد الشربينى شمس الدين ؛ رحمه الله ؛ (دار الكتب العلمية،بيروت : لبنان) ،ج2، ص 274.

(2) ينظر الميزان في تفسير القران . محمد حسين الطباطبائي ؛ ط2 ؛ (منشورات الأعلى للمطبوعات،بيروت : لبنان) 13/ 246 .

(3) مجلة العربي . حزيران 1989 ، ص367.

مضت القرون السالفة ولم نجد من علم شأنهم أثاره ، ويزعم ناس أنهم أصحاب الكهف [1]

قال القرطبي : " ما ذكر من رؤيته لهم بالأندلس إنما هم غيرهم ؛ لأن الله تعالي يقول في حق أصحاب الكهف ﴿ **لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا** ﴾[2]، وقد قال ابن عباس لمعاوية لما أراد رؤيتهم : قد منع الله من هو خير منك عن ذلك"[3] .

إن ما استدل به الإمام أبو حيان ليس بدليل فزعم النصارى ليس بحجة فقد يوهمون الناس بأن هذه المغارة أو تلك هي الكهف، حتى يتردد الناس عليها ويزودوها بزيارتهم أصحاب المكان ، ويضفى عليهم قداسة تجعل له قيمة ومنزلة تعود بالدراهم والدنانير على من روج لهذا الادعاء، إضافة إلى أن المتنصرين كانوا يضطهدون في البلاد فيفرون من المدن والقرى إلى الكهوف ويتخذونها مساكن، فإن مات أحدهم دفن هنالك ، وربما كانوا إذا قتلوهم وضعوهم في الكهوف التي كانوا يتعبدون فيها وكانوا كثيراً ما يستصحبون معهم كلباً ليدفع عنهم الوحوش من ذئاب ونحوها .

وما الكهف الذي ذكره ابن عطية إلا واحد من هذه الكهوف[4] وأما استدلاله بكثرة النصارى في تلك البلاد فليس هذا دليلا على أن هذا الكهف هو المذكور في القرآن، فللنصارى وجود في بلاد أخرى عديدة، وأما بالنسبة إلى بعد كهف الأندلس فيجب الأخذ بعين الاعتبار البعد الزمني للقصة فلا عبرة ببعد هذا الكهف عن مهبط الوحي؛ لأن العبرة بالبعد الزمني .

وللإمام القرطبي رد على هذا الزعم حيث قال في تفسيره : "ما ذكر من رؤيته لهم بالأندلس فإنما هم غيرهم؛ لأن الله _تعالى_ يقول في حق أصحاب الكهف ﴿ **لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا** ﴾ وقال ابن عباس لمعاوية لما أراد رؤيتهم : قد منع الله من هو خير منك عن ذلك ".[5]

---

(1) تفسير القرطبي . 10/ 358 .
(2) سورة الكهف ، من الآية : 18 .
(3) ينظر تفسير القرطبي . 10/ 358 .
(4) ينظر تفسير التحرير التنوير . 15/ 264 .
(5) ينظر تفسير القرطبي 358/10 .

وقال ابن عاشور: " إن ما ذكر في سبب نزول السورة من علم اليهود بأهل الكهف، وجعلهم العلم بأمرهم أمارة على نبوءة محمد _صلى الله عليه وسلم_ يبعد أن يكون أهل الكهف هؤلاء من أهل الدين المسيحي؛ فإن اليهود يتجافون عن كل خبر فيه ذكر للمسيحية، فيحتمل أن بعض اليهود أووا إلى بعض الكهوف في الإضطهادات التي أصابت اليهود وكانوا يأوون إلى الكهوف، ويوجد مكان بأرض سكرة قرب المرسى من أحواز تونس فيه كهف حقق لي بعض علماء الآثار من الرهبان النصارى بتونس أنها كانت ملاجئ لليهود يختفون فيه من اضطهاد الرومان لهم ويجوز أن يكون لأهل كلتا اليهودية والنصرانية خبر عن قوم من صالحيهم عرفوا بأهل الكهف ، أو كانوا من جماعه واحدة ادعى أهل كلتا الملتين خبرها لصالح ملته ".[1]

وكما اختلفوا في مكانهم فقد اختلفوا في زمانهم حتى زعم بعضهم أنهم كانوا قبل عيسى عليه السلام، وأغرب بعضهم فزعم أنهم كانوا قبل موسى _عليه السلام_؛ لأن اليهود كانوا على معرفة بهم، والمرجح أنهم كانوا بعد عيسى _عليه السلام _ ، وقبل بعثة نبينا محمد _صلى الله عليه وسلم_ ، ومعرفة اليهود بهم ليست دليلا قاطعا على كونهم قبل موسى أو بعده ؛لأنه لا تلازم بين ما يعرفونه وما يؤمنون به، ومثال ذلك معرفتهم بالمصطفى _صلى الله عليه وسلم_ ومع ذلك لا يقرون برسالته ولا يؤمنون بنبوته ، قال تعالى: ﴿ **الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾ [2].

والأحوط البعد عن هذه التفصيلات التي لم ترد في القرآن الكريم والسنة ، ولو كان لمعرفتها فائدة لورد ذكرها ، وإنما العبرة بما في القصة من دلالات ومعان ودروس.

لقد نهى الله _عز وجل_ عن الجدال في ما لم يرد ذكره في الكتاب والسنة بنص صحيح ، كما نهى عن الرجوع إلى أهل الكتاب ، قال تعالي :

---

(1) التحرير والتنوير. 15 / 264- 265 .
(2) سورة البقرة ، الآية : 145 .

﴿ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ ([1])

إلتفات إلى النبي الكريم، بألا يقف من مقولات القائلين في أصحاب الكهف ، وفى تحديد الزمن الذي عاشوا فيه ،والبلد الذي كانوا من أهله وفى أسمائهم وأسماء ملوكهم إلى غير ذلك – موقف الطالب للحقيقة، وكذلك لا ضرورة للخوض في أقوال المستشرقين الذين ينظرون إلى القرآن الكريم نظرتهم إلى أي عمل بشري فالقرآن عندهم هو من عمل محمد _صلى الله عليه وسلم _ ضمنه ما وقع في خاطره وتأملاته من آراء([2]) .

والذي يفيده السياق إنهم فتية عاشوا في زمن ملك كافر مشرك ظالم يحمل الناس على الكفر ، ويستعين بمن معه من الكهنة الذين يرسخون مفاهيم الكفر في الناس، ويصرفون أنظار الناس إلي الأعياد والطقوس التي تربط الناس بآلهتهم التي عبدوها من دون الله، ولما شرح الله صدور أولئك الفتية واهتدت بصائرهم وتآلفت أرواحهم، ووقر الإيمان في قلوبهم نطقت ألسنتهم بما أنعم الله عليهم من الهداية وابتدأت عندئذ محنتهم مع حاكمهم وقومهم الذين حاولوا ردهم عما هم عليه فألهمهم الله تعالى أن يفروا بدينهم إلى أن يقضي الله أمرا كان مفعولا .

عرض مجز للقصة

الصورة الأولى صورة مجملة مصغرة تختصر فيها الأحداث، فلا تتجاوز الآيات التي ترسم هذه الصورة ثلاث آيات هي:

قوله تعالى :﴿ **إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا * فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا * ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾.**

في قوله تعالي ﴿ **إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا﴾** إذ ظرف مضاف إلي الجملة بعده وهو متعلق بقوله: ﴿**كانوا**﴾ في قوله _تعالى_: ﴿ **أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا** ﴾ ، ويجوز كون الظرف متعلقا

([1]) سورة الكهف ،من الآية :22.

([2]) ينظر التفسير القرآني للقرآن . عبد الكريم الخطيب:(**دار الفكر**، القاهرة : مصر) ،ص 605 – 606 .

بفعل محذوف تقديره : اذكر فتكون مستأنفة استئنافا بيانيا للجملة التي قبلها والمقصود بداية إجمال قصتهم تنبيها على إنها ليست بأعجب آيات الله وأن ما أكرمهم الله به من العناية إنما كان تأييدا لهم لأجل إيمانهم[1] .

﴿ **إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا** ﴾ [2] .

أوى إلي المكان: جعله مسكنا له فالمكان: المأوى كما في قوله تعالى: ﴿ **أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** ﴾[3]، والفاء في ﴿ **فَقَالُوا** ﴾ تدل على أنهم بادروا بالدعاء والابتهال له _سبحانه_ فلا ملجأ لهم سواه [4].

ليمكثوا فيه بعيدا عن أعين الراصدين لهم والباحثين عنهم من قبل الملك الذي أرسل في طلبهم بعد أن هربوا من بطشه وظلمه وتعنته .

جمعوا بين الأخذ بالأسباب والتوجه إلى العزيز الوهاب فقالوا ﴿ **رَبَّنَا** ﴾ وفى التعبير بعنوان الربوبية تأدب مع الله _تعالى_، أي من خلقتنا ورزقتنا وهديتنا إلى سواء السبيل .

﴿ **رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا** ﴾ [5] دعاء خالص من قلوب خالصة ترجو رحمة ربها وتلتمس رشده ، و دعو الله أن يؤتيهم رحمة من لدنه، والله جامع لخير الدنيا والآخرة؛ أي أن يمن عليهم برحمة عظيمة تتناسب وعنايته بإتباع الدين الذي أمر به، وقصدوا الأمن على إيمانهم من الفتنة ولئلا يلاقوا في اغترابهم مشقة وألما، وكان أن عمهم الله بفضله و شملهم برحمته وأحاطهم بعنايته[6] ، وقال الطبطبائي: في قوله تعالى:

﴿ **فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً** ﴾ " تفريغ لدعائهم علي أيهم كأنهم اضطروا لفقد القوة وانقطاع الحيلة إلي المسألة، ويؤيده قوله: ﴿ **مِنْ لَدُنْكَ** ﴾ فلولا أن المذاهب أعيتهم ، والأسباب تقطعت بهم واليأس أحاط بهم ما قيدوا

---

(1) ينظر تفسير التحرير والتنوير. 15 / 264 .
(2) خلاصة قصة أصحاب الكهف .
(3) سورة يونس ، الآية :8 .
(4) ينظر تفسير التحرير والتنوير. 266/15 .
(5) سورة الكهف الآية : 10 .
(6) ينظر تفسير التحرير والتنوير .266/15 .

الرحمة المسؤلة أن تكون من لدنه تعالى، بل قالوا :آتنا رحمة كقول غيرهم : ﴿ **رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً**﴾[1] ، وفي قوله تعالى: ﴿ **رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ**﴾[2]، فالمراد بالرحمة المسؤلة التأييد الإلهي إذ لا مؤيد غيره، ويمكن أن يكون المراد بالرحمة المسؤلة من لدنه بعض المواهب والنعم المختصة به _تعالى_ كالهداية التي يصرح في مواضع من كلامه بأنها منة خاصة ويشعر به التقييد بقوله: ﴿ **مِنْ لَدُنْكَ**﴾ ويؤيده ورود نظيره في دعاء الراسخين في العلم المنقول في قوله: ﴿ **رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا**﴾[3] فما سألوا إلا الهداية" [4] .

وفى هذا درس للدعاة والمصلحين ألا يغفلوا عن الدعاء مع مراعاة الأدب مع الله _سبحانه وتعالى _ وانتقاء العبارات المناسبة فلكل مقام مقال، وفى القرآن الكريم والسنة النبوية أدعية مباركة لها دلالتها وخواصها وآثارها، فأهل الكهف هنا إلتمسوا أمرين مهمين وهما رحمة الله بهم وإرشاده لهم، وفى طلبهم للرحمة مع الرشاد ما يدل على أنهم ماضون في طريق الحق ثابتون عليه مهما كانت التضحيات.

ولدعاء أولئك الفتية مفهوم ودلالة لها من الأهمية ما يجب ألا يغفل عنها الدعاة والمصلحون أثناء عملهم فيما يتعرض لهم من عقبات، وامتحانات وابتلاءات، وهذه الآية صريحة في الفرار بالدين، وهجرة الأهل والبنين والأقرباء والأصدقاء، والأوطان، والأموال، وخوف الفتنة وما يلقاه الإنسان من المحنة حفاظا على الدين وإيثارا لله_ تعالى _ على ما يحبون ويرغبون وقد خرج النبي صلى الله عليه وسلم فارا بدينه، وكذلك أصحابه؛ وجلس في الغار[5] وهجروا أوطانهم وتركوا أرضهم وديارهم وأهاليهم وأولادهم وقرابتهم رجاء السلامة بالدين ، والنجاة من فتنة الكافرين .

وجاء في قوله تعالى: ﴿ **وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ**

---

(1) سورة البقرة ، الآية : 20 .
(2) سورة ال عمران ، الآية : 194 .
(3) سورة آل عمران ، الآية : 8 .
(4) الميزان في تفسير القرآن .الطبطباني .1 / 246 .
(5) ينظر تأملات قصة أصحاب الكهف . ص 23 ،24 .

نِعْمَتَــهُ عَلَــيْكُمْ لَعَلَّكُــمْ تُسْــلِمُونَ﴾[1]، فسكنى الجبال ودخول الغيران؛ والعزلة عن الخلق والانفراد بالخالق وجواز الفرار من الظالم هي سنة الأنبياء _صلوات الله وسلامه عليهم_ والأولياء، وقد فضل رسول الله _صلى الله عليه وسلم _ العزلة؛ وفضلها جماعة من العلماء، ولاسيما عند ظهور الفتن، وفساد الناس وقال العلماء: " الاعتزال من الناس يكون مرة في الجبال والشعاب ومرة في السواحل ومرة في البيوت وقد جعلت طائفة من العلماء العزلة اعتزال الشر وأهله بالقلب والأعمال ، وروى البغوي عن عمر _رضي الله عنه _ عن النبي _صلى الله عليه وسلم_ قال: ((المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أفضل من المؤمن الذي لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم)) ، وقال عقبة ابن عمر لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – : ما النجاة يا رسول الله ؟ فقال: ((يا عقبة أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك علي خطيئتك)) "[2] ، عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ((يوشك أن يكون خير مال المسلم غنما يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن)) .[3]

قوله تعالى :**﴿ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾**

عبارة عن إلقاء الله _تعالى_ النوم عليهم فأنامهم إنامة ثقيلة لا تنبههم فيها الأصوات مع أن السمع : هو الوسيلة الرئيسية في تنبيه النائم، وبخاصة من ينام بمعزل عن الناس ، والنائم لا يسمع في العادة ما حوله من أصوات لمجرد استغراقه في النوم ، وعبر عن إلقاء النوم بالضرب إشارة إلى قوة المباشرة وشدة اللصوق في الأمر المتكلم فيه والإلزام ومنه قوله تعالى: **﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ ﴾**[4]، وحذف مفعول

﴿ فَضَرَبْنَا﴾ ؛ لظهوره وذلك من خلال الإشارة للآذان ، أي : ضربنا على آذانهم غشاوة أو حائلا عن السمع والضرب على الآذان كناية عن الإنامة ؛لأن

---

(1) سورة النحل ، الآية : 80-81 .
(2) تفسير القرطبي .10 /360 .
(3) أخرجه البخاري في صحيحه . كتاب الإيمان ، باب من الدين الفرار من الفتن ،ر.ق 19، 13/1 .
(4)سورة البقرة ، من الآية :60 .

النوم الثقيل يتطلب عدم السمع[1] ، وهذه من فصيحات القرآن التي أقرت العرب بالقصور عن الإتيان بمثله.

قوله :﴿ **سِنِينَ عَدَداً** ﴾:أي سنين معدودة، أو سنين ذوات عدد. فهل يراد بوصف السنين أنها معدودة للتقليل من عددها أم التكثير؟ هناك من العلماء من يقول بالاحتمالين، وهناك من يقول إنه للتكثير، ونظيره قول أم المؤمنين عند بدء نزول الوحي على الرسول _صلى الله عليه وسلم _:((و كان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه الليالي ذوات العدد))[2] تريد الكثرة ، وهناك من يقول إنه للتقليل ونحن هنا لا نستبعد أن يكون المقصود أن السنين ال (309) كانت تعد من قبل الناس سنة سنة، وهم ينتظرون عودة الفتية الذين غابوا في كهفهم المجهول، والله أعلم .

قال تعالى :﴿ **ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا**﴾ قوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ** ﴾، أي" من بعد نومهم، ويقال لمن أحيي أو أقيم من نومه مبعوث؛ لأنه كان ممنوعاً من الانبعاث والتصرف[3]، وحسن هذه الاستعارة هنا أن المقصود إثبات البعث بعد الموت ولتحقيق ذلك الذي في علم الله تعالى عياناً، حيث يصير هذا العلم واقعاً معايناً فيتبين أي الحزبين أحصى أمدهم أي مدة لبثهم في الكهف حيث صارت تلك المدة موضع خلاف بين العلماء.

" والظاهر من الآية أن الحزب الواحد هم الفتية إذ ظنوا لبثهم قليلاً والحزب الثاني أهل المدينة الذين بعث الفتية على عهدهم، حين كان عندهم التاريخ لأمر الفتية، وهذا قول الجمهور من المفسرين، وقالت فرقة : هما حزبان من الكافرين، اختلفا في مدة أصحاب الكهف قيل: هما حزبان من المؤمنين، وقيل: غير ذلك مما لا يرتبط بألفاظ الآية "[4]؛ و بين ابن عاشور في تفسيره أن

([1]) تفسير التحرير والتنوير. 15 /268 .
([2]) أخرجه البخاري في صحيحه . باب كيف كان بدء الوحي،ر.ق 3، 7/1. .
([3]) ينظر تفسير القرطبي . 10 / 363 .
([4]) تفسير القرطبي . 364/10 .

الحزبين فريقان أحدهما مصيب والآخر مخطئ في عد الأمد الذي مضى عليهم كما دل عليه الفعل أحصى[1] ، ورد في بعض كتب التفسير أن الفتية كانوا ينتمون إلى أسر حاكمة لها شأن عظيم في المدينة، وهذا الأمر يجعل الحدث مهما، ومتداولاً بين الناس، ويبقى هذا التفسير مجرد احتمال ولا يقوم على دليل نقلي صحيح ، وأهمية هذا الحدث قد يدفع الناس إلى انتظار عودتهم، وإجراء عد للسنين التي غابوها في مكان مجهول، والله أعلم .

ربما كانت غيبتهم لحكمة أرادها الله، لذا لا يبعد أن تكون هناك نبوءة لنبي كان الفتية من أتباعه، وتقول هذه النبوءة: إنّ الفتية الذين غابوا في مكان مجهول هم نائمون في كهف، وسيبعثهم الله بعد أن يناموا (309) سنين.

ومعلوم أن النبوءات تحتاج أحياناً إلى تأويل صحيح، أو تكون صريحة لا تحتاج إلى تأويل، فقول يوسف عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ **يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ**﴾[2] هي نبوءة تحتاج إلى تأويل، وكذلك رؤيا الملك الذي رأى ﴿ **سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ**﴾[3] تحتاج إلى تأويل؛ إذن لا يبعد أن تكون النبوءة بحاجة إلى تأويل ولذلك وجد من الناس من يقول بأنهم سيلبثون في الكهف 309 سنين ، ووجد من يقول بأقوال أخرى متعددة، وعند بعث الفتية من نومهم تبين أي الفريقين أدق إحصاءً لمدة لبثهم، أي أضبط عداً.

مما يعني أنهم كانوا قد بدأوا العد من بداية اختفاء الفتية ، وهناك احتمال أن تكون النبوءة جاءت بعد اختفاء الفتية بزمن، وجاءت صريحة بأن مدة لبثهم هي 309 سنة، ومن ثم كان الاختلاف في البداية، فلما بُعث الفتية تبين صحة قول الفريق الذي كان قد ضبط زمن الغياب والذي حمل من ذهب إلى التفسير السابق هو ظاهر قوله تعالى :﴿ **ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَداً**﴾ أي : ثم بعثناهم ليتبين أي الحزبين ﴿أحصى﴾ على اعتبار أن ﴿أحصى﴾ هي فعل ماض أو ليتبين أي الحزبين أتقن إحصاءً أي عدا، على اعتبار أن

([1]) ينظر تفسير التحرير والتنوير .15 / 269 .
([2]) سورة يوسف ، الآية : 4 .
([3]) سورة يوسف ، من الآية : 43 .

"أحصــى" اسـم تفضـيل ومـن هنـا لا وجـه لافتـراض أنّ القـولين كانـا بعـد ظهـور أمـرهم وتجلـي خـارقتهم؛ لأن البعـث كـان السـبب للتبيـين ولـيس للاخـتلاف والله أعلـم .[1]

قولــه:﴿ لِــنَعْلَمَ أَيُّ الْحِــزْبَيْنِ ﴾ :يتعلـق العلـم الإلهـي بالأشـياء قبـل وجودهـا وبالأشـياء بعـد وجودهـا، ونسـمي العلـم بالأشـياء قبـل وجودهـا (قضـاءً)، ونسـمي العلـم بالأشياء بعد وجودها (قدراً).

الفتية في رحاب الإيمان

قـال تعـالى :﴿ نَحْـنُ نَقُـصُّ عَلَيْـكَ نَبَـأَهُمْ بِـالْحَقِّ إِنَّهُـمْ فِتْيَـةٌ آمَنُـوا بِـرَبِّهِمْ وَزِدْنَـاهُمْ هُدًى﴾ [2]

تفصـيل بعـد إجمـال وتقريـر بعـد بيـان، واسـتئناف بيـاني لجملـة: **﴿ لِــنَعْلَمَ أَيُّ الْحِـزْبَيْنِ أَحْصَـى ﴾** لمـا حصـل مـن اختلافـات فـي أمـد الفتيـة، عقـب بـالخبر عـن أنــه عـز وجـل يعلـم مـن أمـرهم بـالحق الـذي وقـع، وتقـديم المسـند إليـه (الله جـل جلالــه) فــي جملــة **﴿ نَحْــنُ نَقُــصُّ عَلَيْــكَ ﴾** يفيـد الاختصــاص ، فـالقرآن الكـريم كتـاب الحـق نـزل بـالحق علـى قلـب رسـول الله _صـلى الله عليـه وسـلم_ الـذي لا ينطـق إلا بـالحق ، وصـدق الله إذ يقـول :**﴿ وَمَـا يَنْطِـقُ عَـنِ الْهَـوَى ﴾**[3] ،وقصصـه الحـق وكـل مـا جـاء فيـه مـن حكـم وأحكـام، وعبـر وعظـات ،ووعـد هـو الحـق مـن عنـد الله .

والــذي يقــص نبــأهم هــو العلــيم بحــالهم، والمــدبر لشــؤونهم، وفــي هــذا تشـويق للقـارئ حـين يسـمعها مـن المـولى عـز وجـل[4]، والقـص: الإخبـار بـأمر سـرد والمعنـى: نحـن نخبـرك بـأمر الفتيـة الـذي اختلـف فيـه الحزبـان إخبـارا بحـق كمـا وقـع لتخبر السائلين ،والسائلون : هم قريش الذين أمرهم بنو إسرائيل بالسؤال .

ويخبـر القرطبـي أن السـر فـي التعبيـر عـن أصحـاب الكهـف بالفتيـة إنمـا هـو لبيـان حداثـة سنــهم وقـوة إرادتهـم ، وقـال أهـل اللسـان: رأس الفتـوة الإيمـان،

---

[1] ينظر تفسير التحرير والتنوير. 15 / 270 .

[2] سورة الكهف ،الآية :13.

[3] سورة النجم ، الآية : 3 .

[4] ينظر تفسير القرطبي .363/9 ؛ تأملات في قصة أصحاب الكهف . ص22 .

وقال الجنيد: الفتوة بدل الندى وكف الأذى وترك الشكوى وقيل: الفتوة اجتناب المحارم واستعجال المكارم وهذا القول حسن، لأنه يتم بالمعنى جميع ما قيل في الفتوة "[1].

وذكره تعالى أنهم فتية فيه تنويه بأنهم أقبل للحق وأهدى للسبيل من الشيوخ الذين قد عثوا وانغمسوا في دين الباطل، ولهذا كان أكثر المستجيبين لله _تعالى_ ولرسوله _صلى الله عليه وسلم _شباباً، وأما المشايخ من قريش فعامتهم بقوا على دينهم ولم يسلم منهم إلا القليل.

هكذا أخبر تعالى عن أصحاب الكهف أنهم كانوا فتية شباباً وقال مجاهد: بلغني أنه كان في آذان بعضهم القرطة يعنى الحلق، فألهمهم الله رشدهم وآتاهم تقواهم، فآمنوا بربهم أي اعترفوا له بالوحدانية وشهدوا أن لا اله إلا هو[2] .

واختلف العلماء في سبب إيمانهم وقيل : أنهم امنوا عن طريق حواري المسيح عليه السلام ، ونقل المفسرون رواية مردها إلى الإسرائيليات قال محمد بن إسحاق بن يسار : مرج أهل الإنجيل ، وعظمت فيهم الخطايا وطغت فيه الملوك حتى عبدوا الأصنام وذبحوا للطواغيت ، وفيهم بقايا على دين المسيح متمسكين بعبادة الله وتوحيده ، فكان ممن فعل ذلك من ملوكهم ملك من الروم يقال له:(دقيانوس) عبد الأصنام وذبح للطواغيت ، وقتل من خالفه ، وكان ينزل قرى الروم ، ولا يترك في قرية نزلها أحداً إلا فتنة حتى يعبد الأصنام ويذبح للطواغيت أو قتله ، حتى نزل مدينة أصحاب الكهف ، وهي (أفسوس) فلما نزلها كبر على أهل الإيمان، فاستخفوا منه، وهربوا في كل وجه، وكان (دقيانوس) حين قدمها أمر أن يتبع أهل الإيمان فيجمعوا له، واتخذ شرطاً من الكفار من أهلها، يتبعون أهل الإيمان في أماكنهم فيخرجونهم إلى (دقيانوس) فيخيرهم بين القتل وبين عبادة الأوثان والذبح للطواغيت ، فمنهم من يرغب في الحياة، ومنهم من يأبى أن يعبد غير الله فيقتل، فلما رأى ذلك أهل الشدة في

([1]) ينظر تفسير القرطبي .9 / 364 .
([2]) تفسير ابن كثير .4 / 369 - 370 .

الإيمان بالله جعلوا يسلمون أنفسهم للعذاب والقتل، فيقتلون ويقطعون ثم يربط ما قطع من أجسامهم على سور المدينة من نواحيها وعلى كل باب من أبوابها حتى عظمت الفتنة ، فلما رأى ذلك الفتية حزنوا حزناً شديداً ، فقاموا واشتغلوا بالصلاة والصيام والصدقة والتسبيح والدعاء ، وكانوا من أشراف الروم ، وكانوا ثمانية نفر بكوا وتضرعوا إلى الله وجعلوا يقولون: ﴿ **ربنا رب السموات والأرض ، لن ندعو من دونه إلهاً ، لقد قلنا إذاً شططاً** ﴾ [1] إن عبدنا غيره ، اكشف عن عبادك المؤمنين هذه الفتنة، وارفع عنهم هذا البلاء حتى يعلنوا عبادتك فبينما هم على مثل ذلك، وقد دخلوا في مصلى لهم أدركهم الشرط فوجدوهم وهم سجود على وجوههم، يبكون ويتضرعون إلى الله ، فقالوا لهم : ما خلفكم عن أمر الملك ؟ انطلقوا إليه، ثم خرجوا فرفعوا أمرهم إلى (دقيانوس) فقالوا: تجمع الناس للذبح لآلهتك وهؤلاء الفتية من أهل بيتك يستهزؤون بك ويعصون أمرك! فلما سمع بذلك بعث إليهم ، فأتى بهم تفيض أعينهم من الدمع معفرة وجوههم بالتراب ، فقال لهم : ما منعكم أن تشهدوا الذبح لآلهتنا التي تعبد في الأرض وتجعلوا أنفسكم أسوة لسادات من أهل مدينتكم؟ اختاروا : إما أ تذبحوا لآلهتنا، وإما أن أقتلكم . فقال مكسلمينا ، وهو أكبرهم : إن لنا إلهاً ملأ السموات والأرض عظمة ، لن ندعو من دونه إلهاً أبداً ، له الحمد والتكبير والتسبيح من أنفسنا خالصاً أبداً ، إياه نعبد وإياه نسأل النجاة والخير فأما الطواغيت فلن نعبدها أبداً، فاصنع بنا ما بدا لك، وقال أصحاب مكسلمينا لدقيانوس مثل ما قال مكسلمينا، فلما قالوا ذلك أمر فنزع عنهم لبوساً كان عليهم من لبوس عظمائهم ثم قال : سأفرغ لكم فأنجز لكم ما أوعدتكم من العقوبة ، وما يمنعني أن أعجل ذلك لكم إلا أني أراكم شباناً حديثة أسنانكم فلا أحب أن أهلككم حتى أجعل لكم أجلاً تذكرون فيه وتراجعون عقولكم ، ثم أمر بحلية كانت عليهم من ذهب وفضة فنزعت عنهم ، ثم أمر بهم فأخرجوا من عنده . وانطلق دقيانوس إلى مدينة سوى مدينتهم قريباً منهم لبعض أموره ، فلما رأى الفتية خروجه بادروا قدومه، وخافوا إذا قدم مدينتهم أن يذكرهم [وأن يعذبهم] فأتمروا بينهم أن يأخذ

([1]) سورة الكهف من الآية : 14.

كـل رجـل مـنهم نفقـة مـن بيـت أبيـه فيتصـدقوا منهـا ،ويتـزودوا بمـا بقـي ، ثـم ينطلقـوا إلـى كهـف قريـب مـن المدينـة فـي جبـل يقـال لـه بخلـوس ، فيمكثـون فيـه ويعبـدون الله حتـى إذا جـاء دقيـانوس أتـوه فقـاموا بـين يديـه فيصـنع بهـم مـا شـاء ، فلمـا قـال ذلـك بعضـهم لـبعض عمـد كـل فتـى مـنهم إلـى بيـت أبيـه فأخـذ نفقـة فتصـدق منهـا ، ثـم انطلقـوا بمـا بقـي معهـم واتـبعهم كلـب كـان لهـم حتـى أتـوا ذلـك الكهـف ، فلبثـوا فيـه . قـال كعـب الأحبـار : مـروا بكلـب فتـبعهم فطـردوه ففعـل ذلـك مـراراً فقـال لهـم الكلـب : يـا قـوم مـا تريـدون منـي ؟ لا تخشـون جـانبي، أنـا أحـب أحبـاب الله ، فنـاموا حتـى أحرسـكم . وقـال ابـن عبـاس : هربـوا لـيلاً مـن دقيـانوس ، وكـانوا سـبعة فمـروا بـراع معـه كلـب فتـبعهم علـى ديـنهم ، وتبعـه كلبـه ، فخرجـوا مـن البلـد إلـى الكهـف وهـو قريـب مـن البلـد . قـال ابـن إسـحاق : فلبثـوا فيـه لـيس لهـم عمـل إلا الصـلاة والصـيام والتسـبيح والتكبيـر والتحميـد ابتغـاء وجـه الله ، وجعلـوا نفقـتهم إلـى فتـى مـنهم يقـال لـه : يمليخـا فكـان يبتـاع لهـم أرزاقهـم مـن المدينـة سـراً ، وكـان مـن أحملهـم وأجلـدهم ، وكـان إذا دخـل المدينـة يضـع ثيابـاً كانـت عليـه حسـاناً ويأخـذ ثيابـاً كثيـاب المسـاكين الـذين يسـتطعمون فيهـا ، ثـم يأخـذ ورقـة فينطلـق إلـى المدينـة فيشـتري لهـم طعامـاً وشـراباً ، ويتجسـس لهـم الخبـر هـل ذكـر هـو وأصـحابه بشـيء ، ثـم يرجـع إلـى أصـحابه فلبثـوا بـذلك مـا لبثـوا ، ثـم قـدم دقيـانوس المدينـة فـأمر عظمـاء أهلهـا فـذبحوا للطواغيـت، ففـزع مـن ذلـك أهـل الإيمـان ، وكـان يمليخـا بالمدينـة يشـتري لأصـحابه طعـامهم فرجـع إلـى أصـحابه وهـو يبكـي ومعـه طعـام قليـل ،وأخبـرهم أن الجبـار قـد دخـل المدينـة، وأنهـم قـد ذكـروا والتمسـوا مـع عظمـاء المدينـة ، ففزعـوا ووقعـوا سـجوداً يـدعون الله ويتضـرعون إليـه ويتعـوذون مـن الفتنـة ، ثـم إن يمليخـا قـال لهـم : يـا أخوتـاه ارفعـوا رؤوسـكم واطعمـوا وتوكلـوا علـى ربكـم ، فرفعـوا رؤوسـهم وأعيـنهم تفـيض مـن الـدمع فطعمـوا ، وذلـك غـروب الشـمس ، ثـم جلسـوا يتحـدثون ويتدارسـون ويـذكر بعضـهم بعضـاً ، فبينمـا هـم علـى ذلـك ضـرب الله علـى آذانهـم النـوم فـي الكهـف وكلـبهم باسـط ذراعيـه ببـاب الكهـف ، فأصـابه مـا أصـابهم ، وهـم مؤمنـون موقنـون ونفقـتهم عنـد رؤوسـهم . فلمـا كـان مـن الغـد فقـدهم دقيـانوس فالتمسـهم فلـم يجـدهم ، فقـال لبعضـهم : لقـد سـاءني شـأن هـؤلاء الفتيـة الـذين ذهبـوا

، لقد كانوا ظنوا أن بي غضباً عليهم لجهلهم ما جهلوا من أمري ،ما كنت لأحمل عليهم إن هم تابوا وعبدوا آلهتي، فقال عظما ء المدينة : ما أنت بحقيق أن ترحم قوماً فجرة مردة عصاة قد كنت أجلت لهم أجلاً ولو شاءوا لرجعوا في ذلك الأجل ،ولكنهم لم يتوبوا ،فلما قالوا ذلك غضب غضباً شديداً ، ثم أرسل إلى آبائهم فأتى بهم فسألهم عنهم،فقال : أخبروني عن أبنائكم المردة الذين عصوني ، [ووعدهم بالقتل] ، فقالوا له : أما نحن فلم نعصك ، فلم تقتلنا بقوم مردة قد ذهبوا بأموالنا ، فأهلكوها في أسواق المدينة ، ثم انطلقوا وارتقوا إلى جبل يدعى بخلوس ؟ فلما قالوا له ذلك خلى سبيلهم ، وجعل لا يدري ما يصنع بالفتية ، فألقى الله في نفسه أن يأمر بالكهف فيسد عليهم وأراد الله أن يكرمهم ويجعلهم آية لأمة تستخلف من بعدهم ، وأن يبين لهم أن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور ،فأمر دقيانوس بالكهف أن يسد عليهم ، وقال : دعوهم كماهم في الكهف يموتون جوعاً وعطشاً ويكون كهفهم الذي اختاروا قبراً لهم ، وهو يظن أنهم أيقاظ يعلمون ما يصنع بهم ، وقد توفى الله أرواحهم وفاة النوم ، وكلبهم باسط ذراعيه بباب الكهف قد غشيهم ما غشيهم ، يتقلبون ذات اليمين وذات الشمال . ثم إن رجلين مؤمنين في بيت الملك دقيانوس يكتمان إيمانهما اسم أحدهما (ينـدروس) واسم آخر (روناس) ائتمرا أن يكتبا شأن الفتية وأنسابهم وأسماءهم وخبرهم في لوح من رصاص ويجعلاهما في تابوت من نحاس ، ويجعلا التابوت في البنيان ، وقالا : لعل الله أن يظهر على هؤلاء الفتية قوماً مؤمنين قبل يوم القيامة ، فيعلم من فتح عنهم حين يقرأ هذا الكتاب [خبرهم] ، ففعلا وبنيا عليه فبقي (دقيانوس) ما بقي، ثم مات هو وقومه وقرون بعده كثيرة وخلفت الملوك بعد الملوك [1] ، وقيل : إنما استجابوا لنداء الفطرة فاهتدوا بفطرتهم السليمة وعقولهم الغضة، وفي قوله تعالى: ﴿ **إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى** ﴾ إشارة إلى حداثة سنهم وفتوتهم وطاعتهم لربهم في هذه المرحلة المهمة في حياة الإنسان، مرحلة الشباب وهي مرحلة البدل والعطاء ولقد عني الإسلام عناية بالغة بإعداد الشباب

([1]) ينظر تفسير ابن كثير. 370/4 .

وتوجيهم فهم عماد الأمة وأساس بناءها ، ومبعث عزها وصناع أمجادها وانتصاراتها .

إن مرحلة الشباب من أهم المراحل في حياة الإنسان ولها أهميتها و خطورتها فحين ينشأ الشاب في رحاب القرآن الكريم، ويتأدب بخلق القرآن فإنه سوف ينعم برضا الله وغفرانه في الدنيا والآخرة، وسيظله الرحمن بظله عن أبي هريرة أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ بِعِبَادَةِ اللهِ، ورجل قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ يَمِينُهُ مَا تُنْفِقُ شِمَالُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ))[1].

ونحن الآن في عصر شاعت فيه الفتن والشبهات ، وانتشر الفساد والانحلال فطوبى لمن يحفظ شبابه في خضم هذا التيه، ويصارع أمواج الفتن ويجابه أعاصير المحن، ويعبر هذه المرحلة من عمره سالماً، وروى عن النبي _ صلى الله عليه و سلم _ حديثه : ((إن الله ليعجب للشاب لا صبوة له))[2] .

قوله تعالى:**﴿ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾** أي : بصرناهم بمقتضيات الإيمان وأركانه وبراهينه و يسرناهم للعمل الصالح من الانقطاع لله _ تعالى _ ومباعدة الناس، والزهد في الدنيا وهذه زيادة على الإيمان، وقال السدي: زادهم هدى بكلب الراعي حين طردوه ورجموه مخافة أن ينبح عليهم وينبهه بهم، فرفع الكلب يديه إلى السماء كالداعي فأنطقه الله فقال: يا قوم لم تطردونني، لم ترجمونني، لم تضربونني فو الله لقد عرفت الله قبل أن تعرفوه بأربعين سنة، فزادهم الله بذلك هدى [3] .

واستدل بهذه الآية وأمثالها على زيادة الأيمان وتفاضله ، وأنه يزيد وينقص ولهذا قال تعالى :**﴿ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾** كما قال سبحانه : **﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى**

---

(1) أخرجه مسلم في صحيحه .كتاب الزكاة ،باب فضل اخفاء الصدقة ر.ق1031 ، 715/2.

(2) ظلال الجنة في تخريج السنة .ابن أبي عاصم محمد ناصر الدين الألباني ؛ط3 ؛ (**المكتب الإسلامي** ، بيروت : **لبنان** ،1993م) ،1/ 307 .

(3) تفسير القرطبي .10 /365 .

وَآتَـاهُمْ تَقْـوَاهُمْ﴾[1] أي : إيمانـا ، وقـال: ﴿ **لِيَـزْدَادُوا إِيمَانًـا مَـعَ إِيمَـانِهِمْ**﴾[2] فكمـا أن الإيمـان يزيـد وينقص ، فكذلك الهدايـة ، وقـال: ﴿ **وَزِدْنَـاهُمْ هُـدًى**﴾ بـأن تبثنـاهم على الدين وأظهرنا لهم مكنونات محاسنه[3].

والـذي يتأمـل حـديثهم الممتـع وعرضـهم الرائـع لأصـول الإيمـان وإدراكهـم لمـا عليـه قـومهم مـن كفـر وضـلال، ودقـة بـراهينهم وعمـق تحليلاتهم،وتبصـرهم بـأمر دعـوتهم وتحلـيهم بمكـارم الأخـلاق فـي مجتمـع سـاد فيـه الفسـاد والانحـلال وعمـه الكفـر والضـلال، المتأمـل فـي ذلـك كلـه يـدرك أنهـم كـانوا علـى بينـة مـن أمـرهم وعلـم نـافع وبصـيرة نافـدة نابعـة مـن أصـول شـرعية كانـت ثمـرة لـدعوة وتربيـة مـن أحـد المـؤمنين بالـدين الحـق الـذي جـاء بـه نبـي الله عيسـى _عليـه السـلام_، فضـلا عـن فطرتهم السليمة وعقولهم الراجحة التي كانت سبب لهدايتهم [4].

قـال تعـالى : ﴿ وَرَبَطْنَـا عَلَـى قُلُـوبِهِمْ إِذْ قَـامُوا فَقَـالُوا رَبُّنَـا رَبُّ السَّـمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾ .

قولـه تعـالى: ﴿ **وَرَبَطْنَـا عَلَـى قُلُـوبِهِمْ** ﴾ كنايـة عـن شـدة عـزم وقـوة وصـبر، أعطـاهم الله إياهـا ليواجهـوا ريـاح الفتنـة وأعاصـير المحنـة ويجـابهوا موجـات الكفـر وتياراتـه الجارفـة التـي تـولى كبرهـا وحمـل لواءهـا الملـك الظـالم وبطانتـه ودعـاة الكفـر، فـألهم الله _عـز وجـل_ أولئـك الفتيـه الصـبر والثبـات فـي مجـابهتهم لتحـالف الشـر، وذكـر أنهـم كـانوا مـن أبنـاء ملـوك الـروم وسـادتهم وأنـه كـان لهـم ملـك جبـار عنيـد يقـال لـه : دقيـانوس؛ وكـان يـأمر النـاس بعبـادة الأصـنام والطواغيـت فـي مجتمـع السـنة؛ فلمـا خـرج النـاس لمجـتمعهم ذلـك، وخـرج هـؤلاء الفتيـة مـع آبـائهم وقـومهم ، ونظـروا إلـى مـا يصـنع قـومهم بعـين بصـيرتهم أدركـوا أن مـا يصـنعه قـومهم مـن السـجود لأصـنامهم لا ينبغـي إلا لله الـذي خلـق السـماوات والأرض فجعـل كـل واحـد مـنهم يـتخلص مـن قومـه وينحـاز مـنهم فكـان أول مـن جلس مـنهم وحـده تحـت ظـل شـجرة ،فجـاء الآخـر فجلـس إليهـا عنـده ، وجـاء الآخـر

---

(1) سورة محمد ، الآية : 17 .
(2) سورة الفتح ،من الآية : 4.
(3) تفسير أبي السعود .210/3 .
(4) تأملات في قصة أصحاب الكهف . ص23 .

فجلس إليهما وجاء الآخر فجلس إليهم، وجاء الآخر ولا يعرف أحد منهم الآخر، وإنما جمعهم هناك الذي جمع قلوبهم على الإيمان .[1]

قال تعالى : ﴿ **وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ** ﴾ أي: قويناهم حتى اقتحموا مضايق الصبر على هجرة الأهل والأوطان والنعيم والأخوان و اجترأوا على الصدع بالحق من غير خوف ولا حذر، والرد على الحاكم الظالم ، وفي الحديث :

((أي الجهاد أفضل قال :كلمة حق عند سلطان جائر)) [2] ، وجاء عن عائشة_ رضي الله _ عنها قالت: قال رسول الله _صلى الله عليه وسلم_ : ((الأرواح جنود مجندة ، فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف))[3] وأخرجه مسلم في صحيحه من حديث سهيل عن أبي هريرة عن رسول الله صلى عليه وسلم [4] .

تقرير العقيدة الصحيحة

يقول تعالى :﴿ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي : قاموا بين يدي الملك الجبار أو قاموا بمعنى اجتمعوا ،أو انبعثوا أو عزموا علي المضني قدما في طريق الحق .

قال الإمام القرطبي_ رحمه الله _ في قوله تعالى :﴿ **إِذْ قَامُوا فَقَالُوا** ﴾ "يحتمل ثلاثة معاني:أحدها أن يكون هذا الوصف مقامهم بين يدي الملك الكافر كما تقدم وهو مقام يحتاج إلي الربط علي القلب حيث خالفوا دينه، ورفضوا في ذات الله وهيبته، والمعني الثاني فيما قيل : أنهم أولاد عظماء تلك المدينة، فخرجوا واجتمعوا وراء تلك المدينة من غير ميعاد، فقال أسنهم :إني أجد في نفسي أن ربي رب السموات والأرض لن ندعوا من دونه إلها لقد قلنا إذا شططا، أي لئن دعونا إلها غيره فقد قلنا إذا جورا ومحالا، والمعني الثالث – أن يعبر

([1]) ينظر تفسير ابن كثير .370/4 .

([2]) أخرجه النسائي في سننه **أبو عبد الرحمن** أحمد بن شعيب بن علي **الخراساني، النسائي (المتوفى:** 303هـ، **تح: حسن عبد المنعم شلبي ط**1،(مؤسسة الرسالة،بيروت : لبنان ،1421ه)،كتاب البيعة،باب **فضل من تكلم بالحق عند إمام جائر، رقم**7786، 193/7 .

([3]) أخرجه مسلم في المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.**مسلم بن** الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري ت261هـ، **تح: محمد فؤاد عبد الباقي** ،(دار إحياء التراث العربي،بيروت : لبنان)، **كتاب البر والصلة والآداب ، باب الأرواح جنود مجندة ، رقم**4،2031/2638..

([4]) ينظر تفسير ابن كثير . 4 /370 -371 .

بالقيـام، عـن انبعـاثهم بـالعزم إلـي الهـروب إلـي الله تعـالي ومنابـذة النـاس، كمـا تقـول : قـام فـلان إلــي أمـر كـذا إذا عـزم عليـه بغايــة الجـد" [1] والـرأي أن جميــع هـذه المعــاني متلازمــة ومتوافقــة ولا تعــارض بينهــا فــلا مــانع مــن حمــل القيــام عليهــا وتضـمينه معنــي العـزم والثبـات علـي الحـق والقيـام بـه ، واجتمـاع الفتيـة علـي غيـر موعد صمودهم أمام الملك الظالم .

قـال تعـالى : ﴿ **إِذْ قَـامُوا فَقَـالُوا رَبُّنَـا رَبُّ السَّـمَوَاتِ وَالْأَرْضِ** ﴾ لقـد اجتمعـت كلمـتهم، وتوحـدت دعـوتهم فقـاموا جميعـاً بـين يـدي الملـك الكـافر الجبـار مـن غيـر مبــالاة فقــالوا جميعــاً بألســنتهم وقلــوبهم ﴿ **رَبُّنَــا رَبُّ السَّــمَوَاتِ وَالْأَرْضِ** ﴾خــالق السـموات والأرض لا مـا تـدعونا إليـه مـن عبـادة الأوثـان والأصـنام ، والعجيـب إن المشـركين بـالله تعـالى يقـرون لـه بالربوبيـة ومـع ذلـك يشـركون بـه آلهـة أخـرى ، قـال أبـو السـعود رحمــه الله: "وضـمنوا دعـوهم مـا يحقـق فحـواهم ويقضــى بمقتضـاها فـإن ربوبيته _عز وجل _ لهم تقتضى ربوبيته لما فيهما " [2].

قوله تعالى:﴿ **لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا** ﴾ .

أي: لـن نعبـد معبـودا آخـر غيـر الله لا اشـتراكا ولا اسـتقلالا لقـد قلنـا إذا شــططا أي: قــولا ذا شــطط، أو قــولا هــو نفــس الشــطط لقصــد المبالغــة بالوصــف بالمصــدر والــلام هــي الموطئــة للقسـم، والشــطط: الغلــو ومجــاوزة الحـد [3]، ولــيس بجديـد وقـوف الحـق أمـام قـوى الباطـل، فـالقرآن يعـرض لهـذا كثيـر أخبـار فهـذا موسـى_ عليـه السـلام_ يقـف موقفـا مـن فرعـون الظـالم المتألـه ويجهـر أمامـه بتأييـد مـن ربـه بصـريح دعوتـه الـذي ينـاقض مـا يـدعوا إليـه هـذا الأخيـر مـن الباطـل، الـذي لا يقره عقل ولا فطرة سوية فتأمل.

بيان بطلان عقائد الشرك:

لا يـزال القـرآن الكـريم قويـا فـي حجتـه بليغـا فـي أسـلوبه ، ويتجلـى هـذا فـي كـلام الفتيـة _أهـل الكهـف_ لمـا حـاجوا قـومهم بـأن طـالبوهم بـأن يقيمـوا الحجـة والبرهـان

([1]) تفسير القرطبي . 365/10 - 366 .

(2) ينظر تفسير أبي السعود . 5 /210 .

(3) تفسيرفتح القدير. محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني ،ت1250هـ،ط1،(سوريا،دمشق:1414ه)،باب سورة الكهف18 ،322/3.

علـى صـدق وصـحة مـا يعتقدونـه مـن دون الله ، وتكمـن البراعـة فـي كـون عجـز قومهم دليل صدق دعوى الفتية .

قال تعالى : ﴿ **هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا** ﴾.

قال ابن عاشور في تفسيره: " فلم يكن طريق لتعريفهم الإله الحق إلا طريق الإضافة وقريب منه ما حكاه الله عن قول موسى لفرعون بقوله تعالى :﴿ **قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ * قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ** ﴾ [(1)]، هذا إن كان القول مسوقا إلى قومهم المشركين قصدوا به إعلان إيمانهم بين قومهم وإظهار عدم الاكتراث بتهديد الملك وقومه فيكون موقفهم هذا كموقف بني إسرائيل حين قالوا لفرعون: ﴿ **لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ** ﴾[(2)] أو قصدوا به موعظة قومهم بدون مواجهة خطابهم استنزالا لطائرهم على طريق التعريض"[(3)] .

فبعد أن أعلنوا عقيدة التوحيد أعلنوا البراءة من عقائد الشرك فأنكروا ما كان عليه قومهم من ضلال، حيث ادعو لله شركاء ﴿ **لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ** ﴾ .

هذه دعوة من الفتية لقومهم بأن يأتوا ببراهينهم على صحة ما هم عليه ليتبين القول الفصل بينهم، وما أشبه هذا بمناظرة موسى لفرعون في سورة الشعراء وكيف صور الله الخطاب بينهم بأبلغ الكلمات لينقل الواقعة مليئة بكل أحداثها وانفعالاتها وكيف أن فرعون لما أعجزه منطق موسى لصدق قوله توعد موسى فقال:﴿ **لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ** ﴾[(4)]وهذا حال كل من قامت عليه الحجة من أهل الضلال إن كانوا أصحاب سلطة وقوة .

([1]) سورة الشعراء، الآية : 22-23 .

([2])سورة للشعراء ، من الآية : 50 .

([3]) ينظر تفسير التحرير و التنوير .273/15 .

([4]) سورة الشعراء الآية : 28 .

وإلى هنا يبدو موقف الفتية واضحا صريحا حاسما ، إنهم فتية أشداء في استنكار ما كان عليه قومهم من ظلال ، ولابد من الفرار بالعقيدة.

فهم شباب تبين لهم الهدى في وسط ظالم كافر، ولا حياة لهم في هذا الوسط إن هم أعلنوا عقيدتهم وجاهروا بها، وهم لا يطيقون كذلك أن يداروا القوم ويعبدوا ما يعبدون من الآلهة على سبيل التقية ويخفوا عبادتهم الله.

والأرجح أن أمرهم قد كشف، فلا سبيل لهم إلا أن يفروا بدينهم إلى الله وأن يختاروا الكهف على زينة الحياة، وقد أجمعوا أمرهم فهم يتناجون بينهم ثم يأوون إلى الكهف الضيق المظلم يستروحون فيه رحمة الله، فإذا الكهف فسيح تنتشر فيه الرحمة وتمتد ظلالها فتشملهم بالرفق والرخاء واللين.

قال الرازي:" فثبت أن الاستدلال بعدم الدليل على عدم المدلول طريقة قوية"[1] ، وجاءت هذه الجملة مؤكدة للجملة التي قبلها وهو قوله تعالى :﴿ **فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا**﴾ .

أي : ليس هناك أظلم ممن تجرأ وافترى على الله _عز وجل_ خلقه ورزقه ،قال ابن كثير في تفسيره: " يقولون: بل هم ظالمون كاذبون في قولهم ذلك فيقال:إن ملكهم لما دعوه إلى الإيمان بالله أبي عليهم وتهددهم وتوعدهم، وأمر بنزع لباسهم عنهم الذي كان عليهم من زينة قومهم، وأجلهم لينظروا في أمرهم لعلهم يرجعون عن دينهم الذي كانوا عليه، وكان هذا من لطف الله بهم فإنهم في تلك النظرة توصلوا إلى الهرب منه ، والفرار بدينهم من الفتنة، وهذا هو المشروع عند وقوع الفتن في الناس أن يفر العبد منهم خوفاً على دينه "[2] .

طريقة النجاة

قال تعالى :﴿ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا﴾ .

بعد تقريرهم لعقيدة التوحيد وإبطالهم لعقيدة الشرك وبراءتهم من الكفر وأهله بينوا واجبهم الذي يتحتم عليهم فعله ولا يملكون سواه.

---

(1) التفسير الكبير.21 /84 .
(2) تفسير ابن كثير.4 /371 .

ويتعين أن يكون هذا من كلام بعضهم على سبيل النصح والمشورة الصائبة، وليس يلزم في حكاية أقوال القائلين أن تكون المحكيات كأنها صادرة في وقت واحد فيجوز أن يكونوا قد قال بعضهم لبعض ذلك بعد اليأس من قومهم، ويجوز أن يكون ذلك في نفس المقام الذي خاطبوا فيه قومهم بأن غيروا الخطاب من مواجهة قومهم إلى مواجهة بعضهم البعض، وهو ضرب من الإلتفات فعلى الوجه الأول يكون فعل " اعتزلتموهم" مستعملا في إرادة الفعل [1]مثل ﴿ **إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ** ﴾ [2]، وعلى الوجه الثاني يكون الاعتزال قد حصل فيما بين مقام خطابهم قومهم وبين مخاطبة بعضهم بعضاً، واقتصر القرآن على المقصد وهو الدلالة على ثباتهم وثقتهم في الله سبحانه وتعالى .

والاعتزال: التقاعد والانفراد، فمعنى اعتزال القوم ترك مخاطبتهم ومعنى اعتزال ما يعبدون: التباعد عن عبادة الأصنام والاستثناء في قوله" إلا الله" منقطع لأن الله تعالى لم يكن يعبده القوم قال ابن عطية: وهذا على تقدير إن الذين فر أهل الكهف منهم لا يعرفون الله ولا علم لهم به، وإنما يعتقدون الأصنام في ألوهيتهم فقط وإن فرضنا أنهم يعرفون الله كما كانت العرب تفعل لكنهم يشركون أصنامهم معه في العبادة فالاستثناء متصل؛ لأن الاعتزال وقع في كل ما يعبد الكفار إلا في جهة الله ، وفي مصحف عبد الله مسعود﴿ **وما يعبدون من دون الله**﴾" قال قتادة هذا تفسيرها [3].

وعقب القرطبي" ويدل على هذا ما ذكر أبو نعيم الحافظ عن عطاء الخراساني في قوله تعالى:﴿ **وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ** ﴾ قال: كان فتية من قوم يعبدون الله ويعبدون معه آلهة فاعتزلت الفتية عبادة تلك الآلهة ولم تعتزل عبادة الله" [4] .

قوله :﴿ **فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ** ﴾ فأي : امكثوا فيه مدة واجعلوه مأوى لكم إلى أن يقضى الله أمرا، والتعريف في الكهف يجوز أن يكون تعريف العهد الذهني

---

(1) ينظر التحرير والتنوير .15/ 276 .
(2) سورة المائدة ، من الآية: 6 .
(3) ينظر تفسير القرطبي . 10 / 367 .
(4) ينظر المصدر نفسه.

أي : الكهف الذي يتبادر إلى أذهانهم ، وكان معروفاً عندهم إما لشهرته وفي هذا إشارة منهم إلى سنة النصارى ، أو عادة المضطهدين من اليهود ، أو لأنهم مروا به في تريضهم وسياحتهم والله أعلم.

قوله :﴿ **يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ** ﴾ أي : يبسط لكم ويفيض عليكم من رحمته التي تستنزلونها بطاعتكم لربكم وخروجكم في سبيله وابتغاء مرضاته، ومثل ذلك ما حدث في قصة نبي الله موسى _ عليه السلام _ حينما تبعه فرعون بجنوده حتى قال أتباعه : ﴿ **إِنَّا لَمُدْرَكُونَ** ﴾[1]، فالبحر من أمامهم والعدو من خلفهم، فقال لهم موسى قولة الواثق من نصر الله : ﴿ **كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ** ﴾ [2] فجاءه الفرج من ربه في التو واللحظة فأوحى إليه الله :

﴿ **اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ** ﴾[3] ﴿ **وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا** ﴾ أي : ما فيه من منافع لكم فترتفقون به قال ابن عباس: " يسهل عليكم ما تخافون من الملك وظلمه، ويأتكم باليسر وبالرفق واللطف " [4]، وفي هذا دليل على حسن ظنهم وتوكلهم على الله سبحان وتعالى.

في كنف الرحمن وحفظه

يقول تعالى :﴿ **وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا * وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا** ﴾ .

قوله :﴿ **وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ** ﴾

انطلق الفتية نحو الكهف واتخذوه ملاذا ومأوى إلى أن يقضي الله أمرا وقد لاحت الكرامات حين اتخذوا مضاجعهم في هذا الكهف الموحش وخلدوا في نوم عميق فهيأ الله لهم أسباب البقاء ووسائل السلامة؛ ليجتازوا بنومهم حواجز

---

(1) سورة الشعراء ، الآية :61

(2) سورة الشعراء، الآية : 62 .

(3) سورة الشعراء، الآية : 63 .

(4) زاد المسير في علم التفسير.عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ؛ط3 ؛(المكتب الإسلامي ،بيروت : لبنان ، 1404هـ) .117/5. تأملات في قصة أصحاب الكهف . ص 26.

السنين، وتتعاقب القرون، وتتساقط ممالك، وتتبدل أجيال وهم في سبات رهيب لن ينهضوا منه إلا بعد مئات السنين وقد حجب الله عنهم ضوء الشمس فلا تصيبهم فتراها وقد مالت عنهم عند طلوعها وتجاوزتهم عند غروبها بقدرة من أجراها وسخرها [1].

قال الزمخشري : " المعنى أنهم في ظل نهارهم كله لا تصيبهم الشمس في طلوعها ولا غروبها مع إنهم في مكان واسع منفتح معرض للشمس لولا أن الله يحجبها عنهم" [2].

وكلمة **﴿تزاور﴾** أي : " تنتحي وتميل من الازورار والزور الميل والازورار في العين المائل النظر إلى ناحية" [3] ، وقيل : إن باب الكهف كان من ناحية الشمال ؛ لأنه تعالى أخبر أن الشمس إذا دخلته عند طلوعها تزاور عنه **﴿ ذات اليمن ﴾** أي : يتقلص الفيء يمنة ؛كما قال ابن عباس ،وسعيد بن جبير، وقتادة **﴿ تزاور﴾** أي: تميل ؛ وذلك أنها كلما ارتفعت في الأفق تقلص شعاعها بارتفاعها حتى لا يبقى منه شيء عند الزوال في مثل ذلك المكان ولهذا قال تعالى :**﴿ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ﴾** أي : تدخل إلى غارهم من شمال بابه وهو من ناحية المشرق[4] فدل على صحة ما قلناه .

قوله تعالى :**﴿ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ﴾** أي في : متسع من داخل الكهف بحيث لم يكونوا قريبين من فم الكهف، وقيل كان يصيبهم شيء قليل وقدر ضئيل من أشعة الشمس بقدر ما تنتفع به أجسادهم أورد ذلك الرأي أبو حيان ، وعزاه إلى أبى على الفارسي فقال: " قال أبوعلي: معنى**﴿ تقرضهم﴾** تعطيهم من ضوئها شيئا ثم تزول سريعا كالقرض يسترد والمعنى أن الشمس تميل بالغدوة ، وتصيبه بالعشي إصابة خفيفة ...قيل : ولو كانت الشمس لا تصيب مكانهم أصلا لكان الهواء يفسد ، ويتعفن ما في الكهف فيهلكوا والمعنى أن الله

---

(1) ينظر تأملات قصة أصحاب الكهف. ص26.
(2) تفسير الكشاف . أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري؛ رتبه : محمد عبد السلام شاهين؛ ط3 ؛(دار الكتب العلمية، بيروت : لبنان ، 2003م). 708/3 .
(3) تفسير القرطبي .10 / 368 .
(4) تفسير ابن كثير . 4 /372.

تعالى دبر أمرهم فأسكنهم مسكنا لا يكثر سقوط الشمس فيه فيحمى ولا تغيب عنه غيبوبة دائمة فيعفن " [1].

قوله تعالى :﴿ **ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا** ﴾ أي: ما حدث لهم من لطائف ربانية ومنن ألهية من آياته عز وجل الدالة على عنايته بأوليائه والشاهدة بكمال قدرته وفضائل نعمه التي لا تعد ولا تحصى.

فالهداية من الله يمن بها على من يشاء فمن شاء الله هدايته سخر له أسباب الهداية ومن هداه فهو المهتدى فلا هادي إلا الله ولا هداية إلا منه ومن كتب الله له الشقاء فلا هادى له ولو اجتمعت الأمة بأسرها عليه لهدايته ،وفي حال الفتية إشارة إلى تحقق الهداية لمن تأمل وتفكر في ملكوت الله فمن طلب الهداية نالها.

قوله تعالى : ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ .

"عطف على بقية القصة وما بينهما اعتراض، والخطاب فيه كالخطاب في قوله:﴿ **وَتَرَى الشَّمْسَ** ﴾ حيث تنتقل الآيات لتبرز جانبا أخر من لوازم القصة فتصف أمرا يجسد معنى الإرادة الإلهية ، والذي يتمثل في حركة الشمس مما يجعل المرء يرى بعينيه عظيم قدرة الله تعالى ويستشعر تلك الكرامة التي خصهم الله بها، وهذا انتقال إلى ما في حالهم من العبرة لمن رآهم من الناس مدمج فيه بأن كرامتهم وعظيم قدرة الله في شأنهم وهو تعجيب من حالهم لمن لو رآه من الناسز"[2]

ومعنى قوله : **﴿وتحسبهم أيقاظا﴾**: أنهم في حالة تشبه حالة اليقظة وتخالف حال النوم ، والأيقاظ :جمع يقظ، وهو المنتبه، رقود جمع راقد وهو النائم وفي

---

(1) تفسير البحر المحيط .7 / 152 .
(2) تفسير التحرير والتنوير . 15/ 280.

الكلام إشارة إلى أنهم كانوا مفتوحي الأعين حال نومهم كاليقظان والحكمة في ذلك حفظ أبصارهم أن تتجمد في المآقي وتلتصق الأجفان بطول المدة [1] .

قوله تعالى :﴿ **وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ**﴾ و ذلك " لئلا تأكل الأرض لحومهم ، قال أبو هريرة : كان لهم في كل عام تقليبتان: وقيل: في كل سنة مرة ، وقال مجاهد : في كل سبع سنين مرة وقالت فرقة: إنما قلبوا في التسع الأواخر، وأما في الثلاثمائة فلا، وظاهر كلام المفسرين أن التقليب كان من فعل الله ويجوز أن يكون من ملك بأمر الله ينضاف إلى الله تعالى " [2] ، وفي قوله تعالى: ﴿ **وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ**﴾ هذا يدل أن تقليبهم لليمين وللشمال كرامة لهم بمنحهم حالة الأحياء وعناية بهم ولذلك لم يذكر التقليب لكلبهم بل استمر في مكانه باسط ذراعيه شأن جلسة الكلب وعدم تقليب الكليب عن يمينه وشماله يدل على أن تقليبهم ليس من أسباب سلامتهم من البلى وإلا كان كلبهم مثلهم فيه بل هو كرامة لهم، وقد يقال: إنهم لم يفنوا وأما كلبهم ففنا وصار رمة مبسوطة عظام ذراعيه، سار الفتية في طريقهم نحو الكهف فتبعهم كلب لعله كان لأحدهم ولازمهم ولقد تكرر ذكر هذا الكلب في ثنايا القصة أربع مرات ، وفي هذا ما يدل على شرف صحبة الصالحين.

قال تعالى:﴿ **وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ**﴾ أي: بفناء الكهف أو الباب، وقد شملت بركتهم كلبهم "[3] ، وفي رواية عن أنس بن مالك قال :

((بينما أنا ورسول الله _صلى الله عليه وآله وسلم _ خارجين من المسجد فلقينا رجل عند سدّة المسجد فقال : يا رسول اللّه متى الساعة ؟ قال رسول اللّه _ صلّى اللّه عليه وسلّم _ : ما أعددت لها ؟ قال : فكأن الرجل استكان ثم قال : يا رسول اللّه ، ما أعددت لها كبير صلاة ولا صيام ولا صدقة ولكني أحب اللّه ورسوله، قال : فأنت مع من أحببت)) [4].

([1]) ينظر تأملات في سورة الكهف . ص 28.
([2]) تفسير القرطبي . 10/ 370 .
([3]) تفسير محاسن التأويل . محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: 1332هـ).تح: محمد باسل عيون السود،ط1،(دار الكتب العلمية، بيروت : لبنان ،1418ه)،13/7.
([4]) أخرجه مسلم في صحيحه ، باب المرء مع من أحب ،رقم 6883 ،8/ 42 ؛ وبلفظ ((ما أعددت لها كثير)) في التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج . وهبة بن مصطفى الزحيلي ؛ (دار الفكر المعاصر، دمشق : لبنان ،1418ق) 15 / 246 .

وكلنـا تعلقـت أطماعنـا بهـذا ولـو كنـا مقصـرين ، فـنحن عندنـا عقـد الإيمـان وكلمـة الإسـلام ،وحـب النبـي _صـلي الله عليـه و سـلم_ كمـا فـي قـوله _تعـالى_: ﴿ **وَلَقَـدْ كَرَّمْنَـا بَنِـي آدَمَ وَحَمَلْنَـاهُمْ فِـي الْبَـرِّ وَالْبَحْـرِ وَرَزَقْنَـاهُمْ مِـنَ الطَّيِّبَـاتِ وَفَضَّـلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا** ﴾[1].

" وقـال ابـن عطيـة: فسـمي باسـم الحيـوان المـلازم لـذلك الموضـع أمـا إن هـذا القـول يضـعفه ذكـر بسـط الـذراعين فهـي مـن صـفة الكلـب ومنـه قـول النبـي صـلى الله عليه وسلم" اعتدلوا في السجود و لا يبسط أحدكم ذراعيه انبساط الكلب"[2]

قال تعالى : ﴿ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴾ .

أي :" إنـه تعـالى ألقـى علـيهم المهابـة بحيـث لا يقـع نظـر أحـد علـيهم إلا هـابهم لمـا ألبسـوا مـن المهابـة والـذعر، لـئلا يـدنو مـنهم أحـد ،ولا تمسـهم يـد لامـس، حتـى يبلـغ الكتـاب أجلـه، وتنقضـي رقـدتهم التـي شـاء تبـارك الله وتعـالى فيـه ، لحكمـة أرادهـا سـبحانه"[3] ، وقيـل : لمـا حفهـم الله _تعـالى_ مـن الرعـب واكتـنفهم مـن الهـم، وقيـل: لوحشـة مكـانهم، وكـأنهم آواهـم الله إلـى هـذا المكـان الـوحش فـي الظـاهر؛ لينفـر النـاس عـنهم، وقيـل: كـان النـاس محجـوبين عـنهم بالرعـب، لا يجسـر أحـد مـنهم علـى الـدنو إلـيهم، وقيـل : " الفـرار مـنهم لطـول شـعورهم وأظفـارهم، وهـذا بعيـد ؛ لأنهـم لمـا اسـتيقظوا قـال بعضـهم لـبعض: لبثنـا يومـاً أو بعـض يـوم قـال ابـن عطيـة: "والصـحيح فـي أمـرهم أن الله عـز وجـل حفـظ لهـم الحالـة التـي نـاموا عليهـا، لتكـون لهـم ولغيـرهم فـيهم آيـة، فلـم يبـل لهـم ثـوب ولـم تغير صفة "[4] ، وسيأتي بيانه في الآية الآتية:

قولـه : ﴿ **وَلَمُلِئْـتَ** ﴾ قـرأ نـافع وابـن كثيـر ﴿ **ولمُلِّئـت** ﴾مـنهم بالتشـديد وقـرأ البـاقون بـالتخفيف وهمـا لغتـان يقـال ملـئ فـلان رعبـا فهـو مملـوء و ملـئ فهـو

([1]) سورة الإسراء الآية: 70 .

([2]) ينظر تفسير ابن عطية .504/3 .؛ والحديث أخرجه مسلم في صحيحه .**كتاب الصلاة ، باب الاعتدال في السجود، رقم**233،355/1 .

([3]) ينظر تفسير ابن كثير . 4 /374 .

([4])تفسير المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز.أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية **الأندلسي المحاربي ، تح :عبد السلام عبد الشافي محمد ؛ط**1 (دار الكتب العلمية، بيروت : لبنان ،1422هـ)،**باب** سورة الكهف (18) ،الايات19،20 505/3..

ممـلأ[1]، وعـن سـر تقـديم الفـرار علـى الرعـب يقـول أبـو السـعود:" ولعـل تـأخير هـذا عـن ذكـر التوليـة للإيـذان باسـتقلال كـل منهـا فـي الترتيـب علـى الإطـلاع إذ لـو روعـي ترتيـب الوجـود لتبـادر إلـى الفهـم ترتـب المجمـوع مـن حيـث هـو عليـه وللإشـعار بعـدم زوال الرعـب بـالفرار كمـا هـو المعتـاد" [2]، ثـم يمضـي السـياق يكمـل المشـهد العجيـب، وهـم يقلبـون مـن جنـب إلـى جنـب فـي نـومتهم الطويلـة فيحسبهم الرائـي أيقاظـا وهم رقـود وكلـبهم – علـى عـادة الكـلاب – باسـط ذراعيـه بالفنـاء قريبـا مـن بـاب الكهـف كأنـه يحرسـهم، وهـم فـي هيئـتهم هـذه يثيـرون الرعـب فـي قلـب مـن يطلـع علـيهم؛ إذ يـراهم الرائـي نيامـا كالأيقـاظ يتقلبـون ولا يستيقظـون، وذلـك مـن تـدبير الله كـي لا يعبـث بهـم عابـث، حتـى يحـين الوقـت المعلوم.

يقول تعالى :

﴿ وَكَـذَلِكَ بَعَثْنَـاهُمْ لِيَتَسَـاءَلُوا بَيْـنَهُمْ قَـالَ قَائِـلٌ مِـنْهُمْ كَـمْ لَبِثْـتُمْ قَـالُوا لَبِثْنَـا يَوْمًـا أَوْ بَعْـضَ يَـوْمٍ قَـالُوا رَبُّكُـمْ أَعْلَـمُ بِمَـا لَبِثْـتُمْ فَـابْعَثُوا أَحَـدَكُمْ بِـوَرِقِكُمْ هَـذِهِ إِلَـى الْمَدِينَـةِ فَلْيَنْظُـرْ أَيُّهَـا أَزْكَـى طَعَامًـا فَلْيَـأْتِكُمْ بِـرِزْقٍ مِنْـهُ وَلْيَتَلَطَّـفْ وَلَا يُشْـعِرَنَّ بِكُـمْ أَحَـدًا * إِنَّهُـمْ إِنْ يَظْهَـرُوا عَلَـيْكُمْ يَرْجُمُـوكُمْ أَوْ يُعِيـدُوكُمْ فِـي مِلَّـتِهِمْ وَلَـنْ تُفْلِحُـوا إِذًا أَبَدًا ﴾ [3]

لمـا بـين القـرآن الكـريم حـال الفتيـة ووصـفهم حـال نـومتهم تلـك ، ونـوه بالحكمـة الإلهيـة ناسـب أن يخبـر القـرآن بحـال الفتيـة لمـا بعـثهم إذ هـم يتنـاجون فيمـا بيـنهم حـذرين خـائفين، لا يـدرون أن الأعـوام قـد كـرت وأن عجلـة الـزمن قـد دارت ، وأن أجيـالا قـد تعاقبـت، وأن مـدينتهم التـي يعرفونهـا قـد تغيـرت معالمهـا، وأن المتسـلطين الـذين يخشـونهم علـى عقيـدتهم قـد دالـت دولـتهم، وأن قصـة الفتيـة الـذين فـروا بـدينهم فـي عهـد الملـك الظـالم قـد تناقلهـا الخلـف عـن السـلف؛ وأن

---

(1) حجة القراءات . عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة أبو زرعة تح:سعيد الأفغاني ،ط2،(مؤسسة الرسالة،بيروت : لبنان ،1402).باب فابعثوا ،1/ 413 .قراءة التشديد للمبالغة، وهى لابن كثير ونافع وابن عباس وأهل مكة والمدنية ،وقرأ الباقون" لملئت" بالتخفيف، والتخفيف أشهر في اللغة ، ينظر القرطبي . 10 /374 .

(2) تفسير أبي السعود . 3 /371 .

(3) سورة الكهف ،الآية: 20،19.

الأقاويل حولهم متعارضة حول عقيدتهم، وحول الفترة التي مضت منذ اختفائهم .

وللمؤمن أن يتصور ضخامة المفاجأة التي اعترت الفتية – بعد أن أيقن زميلهم أن المدينة قد مضى عليها العهد الطويل منذ أن فارقوها؛ وأن الدنيا قد تبدلت من حولهم فلم يعد لشيء مما ينكرونه ولا لشيء مما يعرفونه وجود وأنهم من جيل قديم مضت عليه القرون ،وأنهم أعجوبة في نظر الناس وحسهم، فلا يمكن أن يعاملوهم كبشر عاديين فهم أشبه بالذكرى الحية منهم بالأشخاص الواقعيين فيرحمهم الله من هذا كله فيتوفاهم.

وهذا دليل على حقيقة البعث بعد الموت، وبرهان على أن البعث للحساب ليس بأمر غريب أو مستحيل [1] .

يقظة وحيرة وهدوء وحيطة

قال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ : كما أرقدناهم بعثناهم صحيحة أبدانهم وأشعارهم وأشياءهم، ولم يفقدوا من أحوالهم وهيأتهم شيئا وذلك بعد ثلاثمائة وتسع سنين ولهذا تساءلوا[2].

واللام في قوله : **﴿ لِيَتَسَاءَلُوا﴾** لام الصيرورة، وهي لام العاقبة، كقوله تعالى: **﴿ لهم عدوا وحزنا ﴾** فبعثهم لم يكن لأجل تساؤلهم[3].

كان أول تساؤل لهم حين قاموا من نومهم : **﴿ كَمْ لَبِثْتُمْ﴾** وذلك تساؤل طبعي منهم بعد دخولهم الكهف ونومهم واستيقاظهم فأجاب آخرون لبثنا يوما أو بعض يوما وغاب عنهم أنهم ناموا مئات السنين ، وحصل لهم نوع تردد في كثرة نومهم.

كما أن ظاهر الآية في قوله تعالى: **﴿ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾** يوحي بعدم وجود متغيرات في أجسامهم وملامحهم، إلا أن النص قد يشير إلى خلاف ذلك ؛ لأنه حصل تساؤل بينهم، وهذا التساؤل بدأ بملاحظةٍ من أحدهم لشيء

---

(1) سورة الكهف ، من الآية : 19 .
(2) تفسير ابن كثير. 4 / 375 .
(3) تفسير القرطبي . 10 / 374.

ما دفعه ذلك إلى أن يسألهم :﴿ كَمْ لَبِثْتُمْ ﴾ وكان الجواب السريع وقبل التحقق ﴿ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ ولا ننسى أنهم في داخل كهف، وهذا يعني أن الإضاءة قد تكون خافتة لا تسمح بالرؤية الكاملة، ولكن الجوع الشديد، وأموراً أخرى لا بد أنهم لاحظوها بعد التساؤل وتدقيق النظر، جعلهم في حيرة وبلبلة تعجز عن تفسير هذه الأمور التي لاحظوها ولذلك قالوا :

﴿قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ ﴾، وأشار ابن كثير فقال : "فالله أعلم، ثم عدلوا إلي الأهم في أمرهم، وهو احتياجهم إلي الطعام والشراب فقالوا: ﴿ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا﴾ [1] ، وقيل : هو الحلال الطيب ، لقوله تعالي: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾[2] ،وقوله تعالى:﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾[3] ،ومنه الزكاة التي تطيب المال وتطهره، وقيل : أكثر طعاما، ومنه زكا الزرع إذا كثر والصحيح الأول؛ لأن مقصودهم إنما هو الطيب الحلال سواء كان كثيراً أو قليلاً "[4] ، وفي هذا دليل علي أنهم لم ينووا طول البقاء في الكهف وإلا تزودوا بما يكفيهم من الطعام والشراب مدة لبثهم فيه، وفيه أيضاً حث على وجوب تفويض العلم إلي الله _عز وجل_ وعدم القطع في المسائل بدون أدله قطيعة، وفيه مراعاة لأدب الصحبة : إسداء النصح وتقبله وحسن الحوار وترك الاختلاف والجدال ومراعاة الحذر والحيطة، وأن التوكل علي الله عز وجل واليقين به لا يتنافي مع الأخذ بالأسباب وفيه جواز الوكالة في البيع والشراء والشراكة في المطعم والمشرب، وفيه أيضاً جواز التمتع بالطيبات كالماء البارد واللحم والفاكهة، مع الاعتدال وهذا لا يتنافى والزهد والورع قال سبحانه وتعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا

---

(1) سورة الكهف ، من الآية :19.

(2) سورة النور ، الآية : 21 .

(3) سورة الأعلى ، الآية : 14.

(4) تفسير ابن كثير. 4 / 375 .

وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ *﴾[1].

وفي حملهم النقود مع صدق توكلهم علي الله رد الله علي من يتواكل بحجة التوكل فهم قد اخذوا بالأسباب وتوكلوا علي الله ، " وفي هذا دليل علي أن حمل النفقة وما يصلح للمسافر هو رأي المتوكلين علي الله دون المتوكلين علي الإنفاقات وعلي ما فيه أوعية الناس وقال بعض العلماء :مالهذا السفر يعني سفر الحج ألا شيئان شد الهيمان و التوكل على الرحمن "[2].

قوله تعالى :﴿ **فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَداً** ﴾ أي : فليبالغ في الحيطة والحذر، والتخفي ويتلطف في دخول المدينة وشراء الطعام فلا يتعنت مع البائع أو يبخسه حقه وليتكلف اللطف فيما يباشره من أمر المبايعة حتى لا يغبن أو في أمر التخفي حتى لا يعرف[3] ،.

قوله تعالى : ﴿ **إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذاً أَبَداً**﴾ أي : إنهم لو عرفوا مكانكم وتمكنوا منكم فلن تسلموا منهم ، وهذا يدل على إنهم كانوا مهددين مطاردين بعد أن أمهلهم الملك بالعودة إلى دينه، ففروا بدينهم إلى الكهف .

قوله تعالى :﴿ **يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ** ﴾ أي :" بالحجارة وهو أخبث القتل، وقيل : يرموكم بالسبب والشتم، الأول أصح ؛ لأنه كأنه عازما على قتلهم كما تقدم في قصصهم، والرجم فيما سلف هي كانت على ما ذكر قبله (عقوبة) مخالفة دين الناس" [4] .

قوله تعالى :﴿ **وَلَن تُفْلِحُوا إِذاً أَبَداً** ﴾ أي :" إذا عدتم فيها مطمئنين بها لن تفلحوا ؛ لأنكم وإن أكرهتم ربما استدرجكم الشيطان بذلك إلى الإجابة حقيقة، وقال الرازي رحمه الله " فإن قيل أليس إنهم لو أكرهوا علي الكفر لم يكن عليهم مضرة فكيف قالوا: ﴿ **وَلَن تُفْلِحُوا إِذاً أَبَداً**﴾ قلنا : محتمل أن يكون المراد إنهم

([1]) سورة الأعراف ،الآية : 31 .
([2]) تفسير البحر المحيط . 7 / 156 .
([3]) ينظر التحرير والتنوير . 15 /286 .
([4]) تفسير القرطبي . 10 / 375 .

لـو ردوا هـؤلاء المسـلمين إلـي الكفـر علـي سـبيل الإكـراه بقـوة مظهـر بـين لهـذا الكفـر مـدة فإنــه يميــل قلــبهم إلــي ذلــك الكفــر ويصــيرون كــافرين فــي الحقيقــة، فهــذا الاحتمال قائم فكان خوفهم منه والله أعلم"[1].

الجانب البلاغي في القصة

تضمنت الآيات الكريمة أوجها عديدة من أوجه البلاغة والبيان وهي :

" **الطبـاق:** فـي قولـه تعـالى: **﴿وَتَـرَى الشَّـمْسَ إِذَا طَلَعَـت تَّـزَاوَرُ عَـن كَهْفِهِـمْ ذَاتَ الْيَمِـينِ وَإِذَا غَرَبَـت تَّقْرِضُـهُمْ ذَاتَ الشِّـمَالِ وَهُـمْ فِـي فَجْـوَةٍ مِّنْـهُ ذَلِـكَ مِـنْ آيَـاتِ اللَّـهِ مَـن يَهْـدِ اللَّـهُ فَهُـوَ الْمُهْتَـدِ وَمَـن يُضْـلِلْ فَلَـن تَجِـدَ لَـهُ وَلِيـاً مُّرْشِـداً﴾** بين يهـد ويضـل، **و فـى قولــه تعـالى :﴿ وَتَحْسَـبُهُمْ أَيْقَاظـاً وَهُـمْ رُقُـودٌ ﴾** بـين أيقاظـا ورقـودا، **وفــى قولــه تعــالى: ﴿ نُقَلِّــبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِــينِ وَذَاتَ الشِّــمَالِ﴾ و الطبــاق المعنــوي بــين : ﴿ فَضَــرَبْنَا عَلَــى آذَانِهِـمْ فِـي الْكَهْـفِ سِـنِينَ عَـدَداً* ثُـمَّ بَعَثْنَـاهُمْ﴾**[2]، لأن معنـى الأول أنمنـاهم فـي **الكهـف** ، والثاني أيقظناهم .

-**الإطنـاب: بـذكر الخـاص بعـد العـام** فـي قولـه تعـالى: **﴿ لِّيُنـذِرَ بَأْسـاً شَـدِيداً مِـن لَّدُنْـهُ﴾**[3] وقولـه تعـالى : **﴿ وَيُنــذِرَ الَّــذِينَ قَــالُوا اتَّخَــذَ اللَّــهُ وَلَــداً ﴾** لشـناعة دعـوى الولـد لله وفيـه مـن بـديع الحـذف وجليـل الفصـاحة حـذف المفعـول بـه الأول أي لينـذر الكـافرين بأسـا شـديدا، ثـم ذكـر المفعـول الأول وحـذف الثـاني فـي قولـه: **﴿ وَيُنــذِرَ الَّــذِينَ قَــالُوا اتَّخَــذَ اللَّــهُ وَلَــداً ﴾ عــذابا شــديدا فحــذف العــذاب لدلالــة الأول عليــه وحــذف مــن الأول المنذرين لدلالة الثاني عليه .**

- **الاســتعارة التمثيليــة: ﴿ بَــاخِعٌ نَّفْسَــكَ عَلَــى آثَــارِهِمْ ﴾** شـبه حالـه عليـه السـلام مـع المشركين بحال من هم بقتل نفسه وكاد يهلك نفسه حزنا ووجدا على أحبته .

- **صـيغة التعجـب:** فـي قولـه تعـالى ":**﴿ أَبْصِـرْ بِــهِ وَأَسْـمِعْ ﴾**[4] وكـذلك صـيغة الاسـتفهام في قوله : **﴿ أَمْ حَسِبْتَ ﴾** .

([1]) التفسير الكبير . 88/21 .
(2) سورة الكهف ، الآية : 11 .
(3) سورة الكهف ، الآية : 2 .
(4) سورة الكهف ، الآية : 26 .

- **الاستعارة التبعية:** في قوله تعالى: ﴿ **فضربنا على اذانهم في الكهف سنين عددا** ﴾ عَدَداً شبهت الإنامة الطويلة بضرب الحجاب على الآذان كما تضرب الخيمة على السكان .

وكذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ** ﴾ ؛لأن الربط هو الشد ، والمراد الشد على قلوبهم ؛ لتمكينهم من مواجهة المصاعب التي ستعترضهم ."(4)

(4) صفوة التفاسير.188/2 .

المبحـــث الثانـــي

الإعجـــاز فـــي القصـــة

المطلب الأول _الإعجاز العلمي

المطلب الثاني _أوجه الإعجاز في الآية 18

مما لاشك فيه أن القرآن الكريم معجز من جميع نواحيه ، وبجميع اعتباراته، ومن فضل الله على عباده انزله كتابه الكريم على قلب نبيه محمد _صلى الله عليه وسلم_ معجزة قائمة إلى يوم الدين .

ومن لطيف قضاء الله أن قدر لهذه القصة أحوالا و ظروفا فرح لها الكافرون وظنوا بها الغلبة على نبي الله _تعالى_ ، ولكن الله العالم بصروف الدهر ونكبات الزمن أراد أن تكون حجتهم حجة عليهم فبدل أن يكون سؤالهم عن قصة أصحاب الكهف دليلا على صحة ما يفترونه في حق محمد ورسالته

قدر لها الله أن تكون برهانا على صدق ما يدعوا إليه محمدا ودليلا بينا على نبوته وكذب كفار قريش وأحبار يهود .

ولقد ساق الله من أخبار أصحاب الكهف قدرا معجزا يبين عظيم قدرة الله وأن سنن الكون وما ألفته النفوس في حياتها من أحوال وعادات لا حكم لها على مراد الله _تعالى_ وأن حقيقة فناء الدنيا والقيام للحساب أمر قطعي لا بد منه.

المطلب الأول_ الإعجاز العلمي

هذه الآيات الكريمة تبرز الجانب الإعجازي للقرآن الكريم ، والذي يتجلى في قوله تعالى : ﴿**وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظاً وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبهم ذَات اليمِينِ وذَات الشِمالِ وكلْبهم باسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِراراً وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبا**﴾ .

أولا _ آراء المفسرين

وهذا بيان للتفصيل الذي نالته هذه الآية

1- قوله: ﴿ **وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ** ﴾ أي :" يصيبهم يسير منها من قراضة الذهب والفضة ، أي : تعطيهم الشمس اليسير من شعاعها؛ إصلاحا لأجسادهم فالآية في ذلك بأن الله تعالى آواهم إلى كهف هذه صفته لا إلى كهف آخر يتأذون فيه بانبساط الشمس عليهم في معظم النهار والمقصود بيان حفظهم عن تطرق البلاء وتغير الأبدان والألوان إليهم والتأذي بحر أو برد " [1] .

2- قولهم في مسألة أن يحسبهم المطلع عليهم مستيقظين بينما هم نيام : ذكر فريق من المفسرين أن سبب ذلك هو بقاء عيونهم مفتحة وأن تعرضها للهواء هكذا أبقى لها ذهب إلى ذلك ابن كثير و الجلالين وغيرهم.

كما ذكر فريق آخر من المفسرين أن سبب ذلك هو انفتاح العيون أثناء النوم إضافة إلى كثرة تقلبهم أثناء نومهم أو أحد هذين العاملين ، ذهب إلى ذلك البقاعي والزمخشري والبيضاوي والشوكاني .

([1]) تفسير القرطبي . 10 /369 .

وأخيرا ذهب فريق إلى أن سبب أن يحسبهم المطلع عليهم أيقاظا بينما هم نائمون ؛ هو كثرة تقلبهم فقط ، مثل تفسير " في ظلال القرآن " رحم الله صاحبه.

3- قولهم في مسألة تقلب أصحاب الكهف وسبب ذلك: ذكر أغلب المفسرين أن سبب ذلك هو ألا تأكل الأرض أجسامهم، ذكروا ذلك نقلا عن ابن عباس.

4- قولهم في مسألة الكلب وحاله: أسهب الكثير من قدامى المفسرين في وصف الكلب، لونه واسمه وأنه أنطقه الله بعد أن طردوه أول مرة، وأنه كان أسداً وسمي الأسد كلبا، كما روى البيضاوي والقرطبي وابن كثير، وهي روايات لم يذكروا لها أية أحاديث نبوية، وبالطبع لم يذكرها النص القرآني.

أما تفسير التحرير والتنوير فقد قال في ذلك كلاما يعتد به " لم يذكر التقلب لكلبهم بل استمر في مكانه باسطا ذراعيه وعدم تقليب الكلب عن يمينه وشماله يدل على أن تقليبهم ليس من أسباب سلامتهم من البلى وإلا لكان كلبهم مثلهم فيه بل هو كرامة لهم، وقد يقال : مبسوطة إنهم لم يفنوا وأما كلبهم ففني وصار رمة عظام ذراعيه " [1] (الحق أنه لو كان قد بلى للاحظوا ذلك عند استيقاظهم).

5- قولهم في مسألة ﴿ **لـوِ اطّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلّيْتَ مِنْهُمْ فِرَاراً وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْباً** ﴾ :ذكر أن سبب ذلك هو المهابة التي ألبسها الله إياهم، منها، أما البيضاوي فقد أضاف إلى الهيبة انفتاح عيونهم ووحشة المكان ومن المفسرين من عزا ذلك إلى طول شعورهم وأظفارهم ، وهو ما حكاه القرطبي عن الزجاج والنحاس والقشيرى.

أما سيد قطب فقال في " الظلال " كلاما متفردا شديد الإقناع: " ثم يمضى السياق يكمل المشهد العجيب، وهم يقلبون من جنب إلى جنب في نومتهم الطويلة. فيحسبهم الرائي إيقاظا وهم رقود، وكلبهم – على عادة الكلاب- باسط ذراعيه بالفناء قريبا من باب الكهف كأنه يحرسهم ، وهم في هيئتهم هذه يثيرون الرعب في قلب من يطلع عليهم .

([1]) تفسير التحرير والتنوير. 281/15.

إذ يـراهم نيامـا كالأيقـاظ ، يتقلبـون ولا يسـتيقظون، وذلـك مـن تـدبير الله كـي لا يعبث بهم عابث، حتى يحين الوقت المعلوم " [1].

ثانيا_ رأي العلم الحديث

1- تعـرض أجسـادهم وفنـاء الكهـف لضيـاء الشـمس بصـورة متوازنـة ومعتدلـة فـي أول النهـار وآخرة للمحافظـة عليها منعاً من حصـول الرطوبـة والتعفن داخـل الكهـف فـي حالـة كونـه معتمـا وذلـك فـي قولـه تعـالى:﴿ **وَتَـرَى الشَّـمس إذا طَلَعـتْ تَـزاورُ عـن كهْفِهـمَ ذاتَ الْيَمـين وإذا غرَبـتْ تَقرِضُـهُمْ ذاتَ الشِّمـال**﴾والشـمس ضـرورية كمـا هـو معلـوم طبيـا للتطهيـر أولا ولتقويـة عظـام الإنسـان وأنسـجته بتكوين فيتـامين د(vitamin d) عـن طريـق الجلـد ثانيـا وغيرهـا مـن الفوائد .

2- بالنسـبة لمـا ذهـب إليـه بعـض المفسـرين فـي تفسـيرهم لقولـه تعـالى: ﴿ وَتَحْسَـبُهُمْ أَيْقَاظـاً وَهُـمْ رُقُـودٌ ﴾ بـأن ذلـك حـدث لبقـاء عيـونهم مفتحـة وأن ذلـك أبقـي للعـين، لا يؤيـده العلـم الحـديث أبـدا، كمـا أن الـنص لـم يـذكره، فـالعين علـى العكـس مـن الأنـف والأذن تغلـق عنـدما ننـام. ويـرى العلـم الحـديث**- أن ذلـك يجـدد خلايـا العـين وأن بقـاء العـين مفتوحـة فتـرات طويلـة يعرضـها للجفـاف، ولذلك ترمش عيوننا، ناهيك عن تقرح القرنية [**] .

وأصـحاب الكهـف كـانوا فـي موقـع جبلـي تكثـر فيـه الأتربـة، فـإذا كـان الله قـد ضـرب علـى آذانهـم المفتحـة أصـلا، فمـن بـاب أولـى أن تغلـق عيـونهم علـى الأقـل لأغلـب الفتـرات، وهـذا مـن بـاب الكرامـة لهـم ولكـن العلـم أحيانـا يعجـز عـن الوقوف على بعض أسرار آيات القرآن الكريم .

3- مسـألة تقلـب أصـحاب الكهـف: ذكـر بعـض المفسـرين – بغيـر سـند مـن نـص قرآنـي أو حـديث شـريف – أن أصـحاب الكهـف كـانوا يتقلبـون فـي العـام مـرة أو مرتين.

---

[1] تفسير في ظلال القرآن ، 4 / 2263 .

[**] وكلنا يعلم أن الفراعنة في تحنيطهم لمومياواتهم كانوا ينتزعون العين لأنها أول الأعضاء المعرضة للتلف

والعلـم الحـديث يقـول العكـس تمامـا إذ يقـول أسـتاذ علـم الـنفس السويسـري "ألكسـندر بـور بلـى :" والنـوم يكـون عميقـا فـي البدايـة، ولكنـه يصـبح سـطحيا بدرجـة أكبـر كلمـا انقضـت السـاعات، وهـذه الظـاهرة نفسـها تـنعكس فـي حقيقـة نشـاهدها وهـى أن النـائم يغيـر أوضـاعه بمعـدل تكـرار أكبـر كلمـا زادت الفتـرة التـي قضـاها في النوم طولا"[1].

إن مـن نامـوا ثلاثمائـة سـنة لابـد أن يكـون معـدل التقليـب عنـدهم مرتفعـا جـدا مـع اليقـين بقدرتـه سـبحانه وتعـالى أن يجعلهـا تقليبتـان فـي العـام، أو أي عـدد يشـاء سـبحانه وقـد يكـون سـبب الرعـب و الخـوف هـو طـول شـعرهم وأظـافرهم ، وهذا فيه اختلاف والله أعلم .

المطلب الثاني _ أوجه الإعجاز في الآية 18

مـن أهـم أوجـه إعجـاز القـرآن أنـه يفسـر بعضـه بعضـا، وهـذه الآيـة **﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوْ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾** تشـتمل على أربعة مراحل تنتج كل مرحلة نتيجة للتي تليها.

فكأنمـا تقـول الآيـة: وتحسـبهم أيقاظـا وهـم رقـود "نتيجـة " تقلـبهم ذات اليمـين وذات الشـمال (تقلبـا شـديدا وهـذا فيـه اخـتلاف)، وقـد شـكل هـذا العامـل – التقلـب الشـديد (مـن وجهـة العلـم)– مـع عامـل آخـر هـو كـون كلـبهم باسـط ذراعيـه بالوصـيد كأنما يحرسهم من الدخلاء.

تسـبب هـذين العاملين(التقلـب ، الكلـب) فـي أنـه لـو أطلعـت علـيهم لوليـت مـنهم فـرارا ولملئـت مـنهم رعبـا، وترسـم الآيـات بمعانيهـا صـورة أشـبه مـا تكـون بـالواقع فلـك أن تتخيـل دخـيلا صـعد إلـى كهفهـم فـي هـذا المكـان المقفـر فوجـد أول مـا وجـد كلبـا يفاجئـه عنـد المـدخل لـيس نائمـا علـى جنبـه أو متقلبـا بـل متحفـزا باسـطاً

---

(1) كتاب Secrets Of Sleep " أسرار النوم " "ألكسندر بور بلى" MD،Alexander A. Borbély (1) ، ص 251

ذراعيه[1] فإذا لم يخيفه منظر الكلب ومد ببصره إلى الداخل لوجد منظرا عجيبا، سبعة آدميين (أو أكثر، سبحان من أحاط بعلمهم) ظاهرهم أنهم نائمون؛ لكنهم يتقلبون في نومهم تقلبا ليس كتقلب النائم كما يعرف الناس إذ لو سكن هذا تقلب هذا وأعينهم مفتوحة، فيراهم " نياما كالأيقاظ، يتقلبون ولا يستيقظون "[2]، وهذه هيئة تثير الرعب في قلب المطلع عليهم .

([1]) هذا ما أثبته العلم الحديث وذكرناه آنفا كما يؤكد ذلك الإتيان بالفعل المضارع " نقلبهم " مما يفيد استمرار الحدث، وهذا ما رآه صاحب تفسير التحرير والتنوير

([2]) تفسير في ظلال القرآن، 4 / 2263 .

المبحـــث الثالث

الأثـــر العقائدي

المطلب الأول _ ملامح العقيدة في قصة أصحاب الكهف

جـاء فـي القـاموس الفقهـي قولـه : "العقـدة :موضـع العقـد ، وهـو مـا غقـد عليـه ، وعقـد مـا يمسـك الشـيء ، ويوثقـه و فـي التنزيـل العزيـز واحلـل عقـدة مـن لسـاني و عقـدة اللسـان مـا لـم ينطـق بحـرف أو كانـت فيـه مسكة مـن تمتمـة أو فأفـأه

،العقيدة : الحكم الذي لا يقبل الشك لذى معتقده ،جمعها عقائد ،وفي الدين ما يقصد به الاعتقاد دون العمل ".[1]

القرآن معجزة رسول هذه الأمة؛ ولأجل بلاغتها وبيان منطقها وأسلوبها كان مما قدره البارئ أن ينزل على أعلى مستويات البلاغة وأرقاها ، فلا يأتي بمثله أحد على مر الأزمان والعصور حتى قيام الساعة ؛ إقرارا بإعجازه البلاغي، ولبيان دقة الألفاظ التي تخدم المعنى وتعجز من طالعها وبحث فيها، جاءت ألفاظ هذه القصة ؛ لتحقق العقيدة في صياغة محكمة مبدعة تعكس الجمال القرآني ، وتحكي المعاني الخفية لمن تأمل وتدبر؛ لتبذر بذور العقيدة الصحيحة التي ترضى الله وتسعد المرء .

قبل الخوض في غمار هذه الآيات لابد من بيان أن الله _سبحانه وتعالى _ عندما كلفنا بعبادته كما في قوله : **﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾** [2]أعطانا مؤهلات هذه العبادة ومقومات هذا التكليف ، ولعل من أبرز هذه المقومات هذا الكون وما فيه من بديع صنعه الذي ينطق بوجوده ووحدانيته سبحانه يقول تعالى : **﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾** [3].

لقد منح الله عباده نعمة العقل ؛ ليتفكروا ، ويستدلوا بآياته على وجوده وليحكموا أفعالهم وتصرفاتهم فلا تسيطر عليهم رغباتهم أو أهواؤهم، وخير مثال لذلك قصة أصحاب الكهف الذين آثروا الفرار بدينهم وهجروا ملذات الدنيا فيها من متع إلى كهف مظلم، وما من سبب إلا يقينهم وصدق إيمانهم بالله _تعالى_ وهو من ثمار العقيدة وحسن الاعتقاد به سبحانه .

يقول البارئ _عز وجل_ بيانا لحال إيمانهم ، ووصفا بليغا لدرجة اعتقادهم في قوله تعالى: **﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾** فقوله

---

1) القاموس الفقهي **لغة واصطلاحا** . د سعدي أبو حبيب؛(**دار الفكر**،دمشق :سوريا ،1408)،256/1.

(2) سورة الذاريات ،الآية :56.

(3) سورة الأنبياء ، الآية : 22 .

:﴿ **إِنَّهُمْ** ﴾ جملة اسمية زيادة في التأكيد أي بلفظ أن في أولها تأكيد للمعنى الذي يليها ألا وهو الإيمان بربهم وكونهم فتية لفظ يشعر بحماسة الشباب وإصرارهم على ما صرحوا به مما خالج نفوسهم وتوطن في قلوبهم، ﴿ **آمَنُوا بِرَبِّهِمْ** ﴾، فأي إيمان قصد البارئ ؟ بل كيف تأتى لهم الإيمان؟ إنما تأتى لهم الإيمان بمقتضى هذه الآية، وما جاء في الخبر عنهم إنهم نظروا في حال قومهم فرأوا ببصيرة العقل ضلالا وباطلا فرغبوا في الحق فهداهم الحق لما أرادوه ، وزادهم هدى إلى هدى فقال تعالى : ﴿ **وَزِدْنَاهُمْ هُدًى** ﴾ وما كان ليكون ما كان إلا بإعمالهم لعقولهم وتأملهم في الآيات الكون وبراهين ألوهيته ووحدانيته سبحانه .

فلما وقر الإيمان في قلوبهم وطابت به نفوسهم ، وتأكد لهم رضا المولى ونصرته لهم صغرت الدنيا في أعينهم ، ولم يعبأوا بملوك الدنيا ولا جبابرتها لما ثبت لهم من التأييد الإلهي، فجهروا بالذي طالعته قلوبهم وأقرته عقولهم جبابرة قومهم وسلاطينهم ، وإنما جهروا بأمر لا شك فيه هو الربوبية " فقالوا : ﴿ **رَبَّنَا** ﴾ في قوله تعالى: ﴿ **رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً** ﴾ _ وحسبك باللفظة من دلالة على الرحمة والرأفة ؛ فهي دعوة للانتهال من ينابيع الرحمة التي أهدت لكل عاقل متدبر متفكر بعبادة الرحمن الرحيم، وعرفوا بربهم تعريفا محكما موجزا جامعا مهيمنا من هو الرب الذي لا يعارض وجوده أحد ، إنه رب السموات والأرض، أعظم ما خلق في هذا الكون ، هو رب قد بني السماء فلا فتور ولا شقاق ، وقد زينها وجعل فيها أفلاكها وما شاء قال تعالى : ﴿ **تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا** ﴾ [1]، ولقد حث المولى _سبحانه وتعالى_ على النظر والتدبر في ملكوته ﴿ **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ* الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ** ﴾[2]، ولولا علمه _سبحانه_ جل

([1]) سورة الفرقان ، الآية : 63 .
([2])سورة آل عمران ، الآية : 191 ،192 .

وعـلا_ فـي نفـس مـن نظـر إليهـا وتفكـر فيهـا مـن إيمـان ويقـين مـا رغـب ولا حـث عليه .

وفـي قولـه تعـالى : ﴿ لَـنْ نَـدْعُوَ مِـنْ دُونِـهِ إِلَهًـا لَقَـدْ قُلْنَـا إِذًا شَـطَطًا﴾ تصـريح بعقيـدتهم الجديـدة التـى تجلـت أمـامهم لمـا طـالعوا الكـون بمـا فيـه مـن آيـات وبـراهين، ولا يخفـى مـا فـي مـوقفهم مـن قـوة وإصـرار و تحـد وطمأنينـة فالتحـدي يبرز من قولهم **﴿لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهاً﴾** .

هـذه الآيـة تنفـي الألوهيـة عـن غيـر إلههـم، وتبـرز شـدة اعتقـادهم بخـالقهم وخـالق الكـون أجمـع ، كمـا أنهـا تبـين أن قـوة العقيـدة الصـحيحة تجعـل المـؤمن بهـا يطمـئن ويصـر علـى موقفـه وهـذا شـأن كـل مـن اطمـئن قلبـه لله _تعـالى_ شـأن حـال أم موسى لما أمرها الله _تعالى_ بإلقاء ابنها في اليم قال تعالى :

﴿ وَأَوْحَيْنَـا إِلَـى أُمِّ مُوسَـى أَنْ أَرْضِـعِيهِ فَـإِذَا خِفْـتِ عَلَيْـهِ فَأَلْقِيـهِ فِـي الْـيَمِّ وَلا تَخَـافِي وَلا تَحْزَنِـي إِنَّـا رَادُّوهُ إِلَيْـكِ وَجَـاعِلُوهُ مِـنَ الْمُرْسَـلِينَ ﴾[1] ، نفـس الطمأنينـة التي جعلت موسى يصارع فرعونا بدعوته ،كما في قوله تعالى

:**﴿ قَـالَ فِرْعَـوْنُ وَمَـا رَبُّ الْعَـالَمِينَ * قَـالَ رَبُّ السَّـمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَـا بَيْنَهُمَـا إِنْ كُنْـتُمْ مُـوقِنِينَ * قَـالَ لِمَـنْ حَوْلَـهُ أَلا تَسْـتَمِعُونَ * قَـالَ رَبُّكُـمْ وَرَبُّ آبَـائِكُمُ الأَوَّلِـينَ * قَـالَ إِنَّ رَسُـولَكُمُ الَّـذِي أُرْسِـلَ إِلَـيْكُمْ لَمَجْنُـونٌ * قَـالَ رَبُّ الْمَشْـرِقِ وَالْمَغْـرِبِ وَمَـا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾** [2].

مواقـف تنوعـت صـورها لكـن جوهرهـا واحـد: طـرف اعتقـد بـدنياه وغفـل عـن حقيقـة قدرتـه _سـبحانه_ ، ويوصـف بالعنيـد المتعـامي، وطـرف يعتقـد بـأن هـذا الكـون الفسـيح البـديع لـه إلـه أبدعـه وصـنعه وأتقنـه اتقانـا ينطـق بـأن لا ألوهيـة ولا ربوبية إلا له فهو الجدير بأن يعبد .

ثـم صـرحت الآيـات بحقيقـة أخـرى لتبـين مـدى عظمـة مـن سـاقها فـي هـذا التـرابط المبـدع المعجـز المتكامـل، فلـم يقـف الأمـر عنـد حـد التوجـه والتصـريح بفسـاد الأول بـالإعلان عـن صـحة الثـاني، بـل تأكـد بطلـب الحجـة فالآيـات تعـرض

---

[1] سورة القصص ، الآية : 7 .

[2] سورة الشعراء ، الآية :23- 28 .

دعـوتين متناقضـتين إحـداهما الـدعوة لعبوديـة خـالق الكـون وبيـان عظمتـه بعظمـة آياتـه، تلـك دعـوة يقرهـا العقـل والمنطـق ،وتشـهد بهـا الفطـرة السـليمة، والأخـرى دعـوة لا حجـة لهـا ولا برهـان؛ صـراع أزلـي بـين عقيـدتين عقيـدة الحـق وعقيـدة الباطـل، يقـول سبحــانه وتعـالى: ﴿ **هَـؤُلَاء قَوْمُنَـا اتَّخَـذُوا مِـن دُونِــهِ آلِهَــةً** ﴾ لقـد جعلـوا لأنفســهم إلهـا غيـر الله، فهـل يـأتون علـى آلهـتهم ببـراهين وحجـج فنـوازن بينهمـا ونتبع الصحيح والصواب .

المطلب الثاني : الأثر العقائدي

الآيـات فـي سـور القـرآن الكـريم متصـلة ببعضـها الـبعض، وهـي تمثـل جانبـا مـن جوانـب الإعجـاز فـي القـرآن الكـريم ؛لإنشـاء التصـور الصـحيح لحقائق هذا الوجود في ضمير المسلم وفي إدراكه.

الأمر الذي لا بد منه للإقبال على الحياة بعد ذلك إقبالا بصيرا ، منبثقا من الرؤية الصحيحة الواضحة ، وقائما على اليقين الثابت المطمئن. فنظام الحياة ومنهج السلوك وقواعد الأخلاق والآداب ليست بمعزل عن التصور لاعتقادي، بل هي قائمة عليه مستمدة منه . وما يمكن أن تثبت وتستقيم ويكون لها ميزان مستقر إلا إن ارتبطت بالعقيدة ، وبالتصور الشامل لحقيقة هذا الوجود وارتباطه بخالقه الذي وهبه الوجود، ومن ثم هذا التركيز القوي على إيضاح قواعد التصور ألاعتقادي الذي استغرق القرآن المكي كله ؛ وكذلك القرآن المدني بمناسبة المشرع في شؤون الحياة جميعا [1].

وقد يشكل على أصحاب القلوب الضعيفة أن بعث أصحاب الكهف لم يكن من موت بل كان من نوم ، ومن هنا تكون دلالته على مفهوم البعث ضعيفة.

إن الإيمان بالله الخالق وصفاته الكاملة يجعلنا نسلم بداهة بقدرته على البعث والنشور ، وهذا من شروط صدق العقيدة، إلا أن بعض العقول البشرية يذهلها واقع المحسوسات عن إدراك هذه الحقيقة، بل تجعل من قوانين الطبيعة

([1]) ينظر تفسير في ظلال القرآن ، 1 / 297 .

(*) سبق الإشارة إلى مدة مكث الفتية في الكهف .

آلهة، ولا تتصور خرق هذه القوانين بصورة من الصور، ومثل هذه العقول قد تحتاج إلى صدمة حتى تتعلم أن المألوفات هي مجرد مخلوقات طارئة. ولا شك أن نوم مجموعة من الناس مدة (309) سنوات[*] هو خرق للعادة؛ لأن المحافظة على الحياة في مستوياتها الدنيا لمدة متطاولة هو خروج عن قانون الحياة ، ولا شك أن عودة الحياة كاملة بعد هذه المقاربة للموت لهو البعث في أجلى صوره.

فالدخول في حالة الرقود هو معجزة، والخروج منها هو معجزة أخرى، ومقتضى الإيمان باليوم الآخر يعني الإيمان ببعث الناس بعد موتهم .

إن قانون ما بعد البعث يختلف عن قانون ما قبل الموت ، فالفناء من قوانين الدنيا ، يقابله الخلود والذي هو من قوانين الآخرة ، وقصة أهل الكهف تجلت فيها حقيقة البعث ومخالفة القانون الدنيوي. أن بعثهم بعد حالة الرقود المشابهة للموت هو دليل ملموس ينفي كل ريب في حقيقة أن الله يبعث الناس بعد موتهم ليكون الحساب .

المطلب الثالث : منهج القرآن في الاستدلال على البعث

يعتمد القرآن الكريم في طريقة استدلاله على قضاياه ومسائله مهما تنوعت على مبدأ الإقناع والإفحام أي خطاب العقل.

أولاً_ الاستدلال بمن أماتهم الله ثم أحياهم

كما أخبر الله _تعالى_عن ذلك في كثير من الشواهد منها قوله تعالى : ﴿ **وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ * ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴾[1] .

وهذه أدلة مادية حسية وقعت لتدل على إحياء الموتى بعد مماتهم وهذا برهان قطعي على القدرة الإلهية وقد أخبر الله ورسله عن وقوع البعث والحشر فوجب القطع بذلك ؛ لأن من أخبر به ثبت صدقه وهو الرسول عمن ثبتت قدرته سبحانه وتعالى .

ثانياً _ الاستدلال بالنشأة الأولى

([1])سورة البقرة ، الآية : 55،56 .

كما في قوله تعالى:

﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [1].

بهذا المنطق الصحيح والبرهان القاطع يرد القرآن الكريم على كل من أنكر البعث وجحده ، ويجادله في أسلوب هادئ محكم فيلزمه الحجة الواضحة ، فمن أوجد الخلق لن يعجزه إبادته وإرجاع نشأته الأولى قال تعالى

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [2].

ثالثاً _ الاستدلال بخلق الأكوان: مثل خلق السموات والأرض فإن خلقها أعظم من خلق الإنسان وما فيهما، ومن الآيات الدالة عليه قوله تعالى:

﴿ وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا * قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا (50) أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا (51) يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [3].

وفى ذلك أكبر برهان على قدرة الله المطلقة التي لا تقيد بقيود ولا تنتهي عند حدود، فإن تلك الآيات الكونية مما هو معروف ببداهة العقول أن خلقها أعظم من إعادة خلق الإنسان.

وقوله تعالى : **﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾** [4].

---

(1) سورة الروم ، الآية: 27.
(2) سوره فاطر، من الاية :44 .
(3) سوره الإسراء ، من الآية : 49-52.
(4) سوره الأعراف ، الآية : 57.

وفي الآيات السابقة استدلال بالمحسوس الملموس المنظور؛ ليصل إلى الغيب المجهول أي إيمان بالبعث والنشور، ففي الآية السابقة استدلال بتبدل أحوال النباتات من حياة إلى موت فحياة ، وسلب خاصية النشوء والنماء في بعض النباتات فتهمد وتتفتت ثم تسقى بالماء فتعود إليها تلك الخاصية ، فلو كان مستحيلا إعادة الحياة إلى الإنسان مرة أخرى لما عادت الحياة إلى النباتات المختلفة بعد موتها ؛ لأن المشابهة واضحة في القدرة الإلهية في إعادة الحياتين سيرتهما الأولى ، ولهذا لفت القرآن الكريم أنظار المنكرين إلى التبصر في الموجودات الحسية واستنتاج العظات والعبر منها ؛ ليعود للنفس إيمانها فتسعد بالطمأنينة والاستقرار ، وقد تقدمت المشابهة بين إعادة الحياة إلى النبات بالمطر وإعادة بناء الأجساد وإنباتها بالمطر الذي يجعله الله عند البعث ؛ وهو مطر كمني الرجال فتنبت منه الأجساد، وفي قوله تعالى :

﴿ وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ ﴾[1] إشارة إلى أن العجب يكون من إنكارهم لا من البعث ومعناه : إن كان لك عجب من شيء فمن إنكارهم البعث فأعجب؛ لأن العجب مما نذر وجوده وخفي سببه، وليس البعث مما نذر، وهم يشاهدون إحياء الأرض بعد موتها،واكتساء الأشجار بعد عريها، وعود النهار بعد زواله، والليل بعد ذهابه، وإخراج الحي من الميت والميت من الحي، ولا مما خفي سببه فإن الله سبحانه هو الفاعل لذلك والقادر عليه وحكمته إظهار ما استتر عن خلقه من تدبيره، وما النشأة الثانية بأعجب من الأولى .

رابعاً _ الاستدلال بحصول أحد المتضادين

كما في قوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ ، الآية صريحة بأن قدرة الله

---

(1) سورة الرعد ، من الآية : 5 .

لا حد لها والشواهد على ذلك قد تتأتى لمن تأمل ونظر في هذا الكون كما في قوله تعالى:﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا﴾ الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** [1]، بينت الآية كيف أن الله تعالى قد أحيا الأرض الميتة بعد موتها بإنزال الماء عليها ، فإن الإحياء بعد الموت لا يستنكر من حيث أنه يحصل الضد بعد حصول الضد، إلا أن ذلك غير مستنكر في قدرة الله تعالى ؛ لأنه لما جاز حصول الحياة مرة أخرى بعد الموت فإن حكم الضدين واحد قال تعالى مقررا لهذا المعنى : ﴿**نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ**﴾[2]

خامساً_ حكمة الله وعدله يقتضيان البعث والجزاء:

فإن الله تعالى لم يخلق الناس عبثا ، ولن يتركهم سدى ، قال تعالى :

﴿**أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى**﴾ [3].

وقال تعالى: ﴿ **أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ**﴾ [4]

فعدل الله وحكمته وإحقاقه الحق وإبطاله الباطل وإعطاؤه كل ذي حق حقه وتميزه بين الخبيث والطيب والمحسن والمسيء كل ذلك يأبى إلا أن يكون هناك يوم آخر بعد نهاية الدنيا ينال فيه كل إنسان جزاؤه وما يستحقه من الثواب والعقاب على ما قدم من خير أو شر، وللعاقل أن يتصور الحجة بما يأتي : إن كان الله قد كتب على نفسه العدل والرحمة ، وجعل الإنسان خليفته في الأرض؛ ليحكم بالعدل ، والإنسان يسفك الدماء ويفسد في الأرض ، عليه فلابد من يوم يرجع فيه الحق إلى أهله وينصف فيه المظلومين من بعضهم البعض .

سادساً _ الاستدلال بحصول اليقظة بعد النوم ، فان النوم أخو الموت واليقظة شبيهة بالحياة بعد الموت ، كما في قوله تعالى: ﴿**اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ**

---

(1) سوره فصلت ، الآية : 38 .
(2) سورة الواقعة ، الآية : 60.
(3) سورة القيامة ، الآية : 35 .
(4) سورة المؤمنون ، الآية : 115 .

لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[1]وكما حدث في قصة أصحاب الكهف لما أنامهم الله نومة خالف بها سنن الكون فكانت خير شاهد على قدرة الله التي لا يعجزها شيء .

البعث ودلالته:

قصة إحياء أصحاب الكهف هي محل الشاهد ، فهي محل سرور وغبطة لذوى الإيمان إذ أن الإله يقص علينا خبرا يبرز مدى عظمته وتأييده لمن اعتنق دينه واعتقد به اعتقادا جازما ، قصة الإحياء – البعث في قوله تعالى﴿ **ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ** ﴾قصة خالفت سنن الكون في أحداثها ووقائعها ، أمر غريب يخرج العقل من دائرة المألوف والمعتاد.

غير أنه عند نسبتها لله _عز وجل_ تتلاشى الحيرة و التساؤل ، ويحل محلهما شعور السعادة والبشارة بالفوز والسلام ؛ ولأن القرآن الكريم حقيق بمن طالعه ورافقه أن يكون بمثابة الحال المرتحل الذي لا يلبث أن يضع رحاله إلا وشده مزمعا الترحال مرة أخرى، الأمر الذي يجعلك تقف على مدى عظمة هذا الكتاب دقة وبلاغة وسلاسة في اختيار المفردات ، وروعة وجمال في إبراز معانيه باستعماله لها في سياق يبين ذلك .

فقصة البعث التي حكاها المولى _عز وجل_ في سورة البقرة صريحة في الإحياء بعد الممات ، وأتي بها في السياق ؛ لبيان كيفية الإحياء بعد الإماته لا بقصد الإجابة عن استفهام بل من باب حب معاينة قدرة الله وطلبا للخصوصية والكرامة والمنة من الله _تعالى _ فقال تعالى : ﴿ **ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ** ﴾ [2] وتلك كرامة يخص بها الله من شاء .، ولقد عرض الله _تعالى _تفاصيل قضية البعث في سورة البقرة قال تعالى: ﴿ **أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ**

([1]) سورة الزمر ،الآية : 42.

([2]) سورة التكاثر، الآية : 7 .

عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[1].

تحكى الآيات عن تساؤل العزيز لا بقصد الإنكار وإنما استدرارا لجانب الشفقة والكرامة والخصوصية ، ولقد جيء به بأن أماته الله مائة عام بعد ذلك أحياه وأعاد له روحه وحياته ﴿ **كَمْ لَبِثْتَ** ﴾ فلما عاين حقيقة الموت والحياة قال : ﴿ **أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ وما كان لله ليعجزه من شيء وتوالت الآيات تحكى قول إبراهيم عليه السلام: ﴿**رَبِّ**﴾ لفظة أتت في محل طلب الرأفة والرحمة والمنة والكرامة أي: بمعنى أرني بعين الحقيقة كيف تحي الموتى ، يقول تعالى: ﴿ **أَوَلَمْ تُؤْمِنْ**﴾ أهو تسأول من خلا قلبه أم ماذا ؟ إنما أتى بالسؤال بيانا وإيضاحا لغرض السؤال الأول الصادر عن إبراهيم ، وحسب من يتلو هذه الآيات أن يلاحظ أن الحوار حكاية عن الله _تعالى_ ، ونبيه إبراهيم ، ويأتى الجواب بقوله : ﴿ **بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي**﴾ ويرينا الله مظاهر قدرته ، فقال تعالى : ﴿**فخذ أربعة**﴾ وختم بقوله تعالى : ﴿ **أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾ فمن كان ذا حكمة لا يغلب على أمر أراده بل ينجز ما شاء فكيف إذا كان صاحب الحكمة المطلقة الله عز وجل .

وأما البعث في قصة أصحاب الكهف فأتى بمفهوم مختلف في قوله تعالى: ﴿ **وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم**﴾، هنا القصة تبرز عجيب قدرة الله تعالى وقدره بأن يخالف سنن الكون، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ **لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ** ﴾[2]، فالقرآن يصفهم بالرقود أي : بالصفة البادية عليهم وبالإيقاظ ؛ لتصرفاتهم تصرف الحي النائم أي : التقلب في النوم، وبعد مضى ما اقتضت حكمته تعالى من أمد النوم للفتية بعثهم، ونحسب أنهم كانوا في علم الأموات بالنسبة لملكهم وكفار قومهم [*] .

---

[1] سورة البقرة ، الآية :259-260 .
[2] سورة الأنبياء ، الآية :23 .
[*] ينظر قصة أصحاب الكهف في الإسرائيليات .

فالقصتان سيقتا في نظام مبدع رائع ، والغاية إثبات القدرة المطلقة والتي تسوقها حكمة نافدة ؛ لبيان اعتبارات تبرزها الآيات كل ذلك غرسا للجانب العقائدي في قلب المؤمن .

قصة العزيز وقصة أصحاب الكهف

اللافت للنظر أن هذه القصة هي الوحيدة في القرآن الكريم التي تشبه قصة أصحاب الكهف، ويرى الباحث أنه من الأهمية بمكان أن يتم التعرض ولو باختصار إلى تفسير هذه الآية ، كما ورد ذكرها في القرآن الكريم ، ومن ثم بيان أوجه الاتفاق والاختلاف بين القصتين .

قال تعالى:﴿ **أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ .

تفسير هذه الآية:

قوله تعالى:﴿ **أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا** ﴾ مثل الذي مر على قرية وقد سقطت جدرانها على سقوفها ﴿ **قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا** ﴾أي قال ذلك الرجل الصالح واسمه عزير على الرأي الأشهر[1] وكان راكبا حماره : كيف يحي الله هذه البلدة بعد خرابها استعظاما لقدرته تعالى:﴿ **فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ**﴾ أي أمات الله ذلك السائل لمدة مائة عام ثم أحياه ليريه كمال قدرته ولم يقل له كيف، إنما أراه في عالم الواقع ذلك مجسدا بالتجربة الشخصية الذاتية المباشرة التي يمتلئ بها الحس، ويطمئن بها القلب ، دون كلام ﴿ **قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ** ﴾ أي قال له ربه بواسطة الملك:كم مكثت في هذه الحال ؟ قال : يوما ثم نظر حوله فرأى الشمس باقية

([1]) بإجماع المفسرين .عن ابن عباس أن عزير بن سروخا هو الذي قال فيه﴿ **أو كالذي مر** ﴾ ، **انظر الدر المنثور .عبد الرحمن بن الكمل** جلال الدين السيوطي ؛(دار الفكر ،بيروت : **لبنان**، 1993) ، 2 / 26 .

لـم تغـب فقـال : يـوم أو بعـض، فخاطبـه ربـه بقولـه: **﴿ قَـالَ بَـلْ لَبِثْـتَ مِائَـةَ عَـامٍ﴾** أي مكثت مائة سنة كاملة

﴿فَـانظُرْ إِلَـى طَعَامِـكَ وَشَـرَابِكَ لَـمْ يَتَسَـنَّهْ ﴾ إن شـككت فـانظر إلـى طعامـك لـم يتغير بمرور الزمن **﴿ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ ﴾** فرآه ميتا وعظامه بيض تلوح

﴿ وَلِنَجْعَلَـكَ آيَـةً لِلنَّـاسِ ﴾أي : دلالـة علـى البعـث، **﴿وَانظُـرْ إِلَـى الْعِظَـامِ كَيْـفَ نُنشِـزُهَا ثُـمَّ نَكْسُـوهَا لَحْمًـا ﴾** أي : تأمـل فـي عظـام حمـارك النخـرة كيـف نكـب بعضـها فـوق بعـض وأنـت تنظـر ُثـم نكسـوها لحمـا بقدرتنـا وأنـت لـم يمسـك البلـى ولـم يصب طعامك ولا شرابك التعفن .

ليكـون هـذا التبـاين فـي المصـائر والجميـع فـي مكـان واحـد، معرضـون لمـؤثرات جويـة وبيئيـة واحـدة، آيـة أخـرى علـى القـدرة التـي لا يعجزهـا شـيء والتـي تتصرف مطلقة من كل قيد؛ وليدرك الرجل كيف يحيي هذه الله بعد موتها.

﴿ فَلَمَّـا تَبَـيَّنَ لَـهُ قَـالَ أَعْلَـمُ أَنَّ اللَّـهَ عَلَـى كُـلِّ شَـيْءٍ قَـدِيرٌ﴾ أي : فلمـا رأى آيات الله الباهرات قال أيقنت وعلمت علم مشاهدة إن الله على كل شيء قدير.

أوجه الاتفاق والاختلاف بين القصتين

فـي قصـة العزيـز فـي قولـه تعـالى **﴿أَوْ كَالَّـذِي مَـرَّ عَلَـى قَرْيَـةٍ وَهِـيَ خَاوِيَـةٌ عَلَـى عُرُوشِـهَا﴾**مـن هـو الـذي مـر علـى قريـة، ومـا هـذه القريـة التـي مـر عليهـا وهـي خاويـة علـى عروشـها إن القـرآن لـم يفصـح عنهمـا شـيئا ، ولـو شـاء الله لأفصـح ، ولو كانت حكمة النص لا تتحقق إلا بهذا الإفصاح ما أهمله القرآن[1].

وذكـر البغـوي فـي تفسـيره " أن عزيـراً مـر علـى مدينـة وكانـت خرابـاً فتسـاءل تعجبـاً لا شـكاً كيـف يحـي الله هـذه المدينـة وهـي خـراب؟ ، فكـان مـن حكمـة الله أن أماتـه ثـم أحيـاه وهـو يبصـر ، ثـم أحيـا حمـاره أمامـه وهـو يـرى ، ثـم ألتفـت فـرأى طعامـه لـم يتغيـر وكـذلك شـرابه "[2] ، ولقـد حكـي القـرآن الكـريم هـذه القصـة بـأبلغ الكلمات التي تحكي حقيقة ما حدث .

---

(1) **في ظلال القرآن** ، 1 / 299 .

(2) ينظر معالم التنزيل . أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي؛ تح : محمد عبد الله النمر ، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش ؛ط 4 ؛ (دار طيبة ،1997م)،319/1.

إن الحكمة الجلية من هذه القصة إثبات القدرة المطلقة لله تعالى ، فهو الذي أوجد سنن الكون ونواميسه فلا يعجزه شيء .

فهو الذي يحي ويميت كما يشاء ، وهذا يعلم العباد حقيقة من حقائق الإيمان ألا وهي أن الله قادر على أن يفعل ما يشاء بدليل ما حصل في قصة العزير فلقد أجرى السنين عليه وعلى حماره ، ولم يجرها على طعامه والكل في محل واحد فتأمل .

هذا نفس ما جاء في قصة أصحاب الكهف فلقد خالف الله فيهم ما ألفه الناس من أثر الزمان فلم يجر آثاره عليهم ، وأجراها على أهل عصرهم ومدينتهم .

لم يفصح القرآن عن الأسماء والأعداد في كلا القصتين ؛ لأن العبرة بما في القصة من مدلولات ، وكذلك لتنبيهه _صلى الله عليه وسلم_ إلى عدم الاستطراد في سؤال أهل الكتاب .(*)

في قصة أصحاب الكهف كان نوم في قوله تعالى:﴿**وتحسبهم أيقاظا وهم رقود** ﴾ أما في قصة العزيز فكان موت في قوله **تعالى: ﴿فأماته اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾**، أي أحياه بعد موته .(*)

في قصة العزيز يلاحظ أن الزمن قد أثر في العزيز وفي جسد الحمار وجرى عليهما قانون التحول والتحلل ، أي أن الزمن فعل فعله فيهما، ولكن الزمن لم يفعل فعله في الطعام والشراب في قوله تعالى :**﴿ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾** أي لم يؤثر فيه مرور السنين، فلم يتغير، وهذا يعني أن الزمن قد توقف في حق الطعام والشراب وجرى في حق الحمار، أما في قصة أصحاب الكهف فإن الزمن كان قد توقف في حقهم إلى درجة أن التغيرات التي جرت على أجسادهم لم تكد تلحظ لأول وهلة، ثم لوحظت عند التدقيق بدليل قولهم **﴿ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ ﴾** وفى هذا اختلاف كما سبق التنويه.

في قصة العزيز يبدو أنّ السؤال كان من مَلَك :**﴿ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ﴾**وكانت الإجابة من العزيز عليه السلام : **﴿ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾** أما في قصة

أصحاب الكهف فقد كان السؤال من أحدهم :﴿ **قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ**﴾ ، وكانت الإجابة منهم :﴿ **لبثنا يوماً أو بعض يوم** ﴾ ، وكلا الإجابتين متطابقتين لحكمة لا يعلمها إلا الله .

في قصة العزيز _عليه السّلام_ تم إحياء الحمار والعزيز ينظر، أما الطعام فلم يتغير، فعدم تغير الطعام يدل على عدم مرور زمن، فهو فعلاً ﴿**يوماً أو بعض يوم**﴾ أما عظام الحمار فتقول إنه زمن طويل، وماذا يبقى من حيرته _عليه السلام_ عندما يرى عظام الحمار تدب فيها الحياة فيعود الحمار كما كان ﴿**وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ ننشرها ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير**﴾[1].

و ذلك ؛ لأن العزيز تساءل عن البعث ﴿ **أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى** ﴾ وأراه الله برهان ذلك وهذا مثل لمن أراد الله هدايته[2] ولكن الفتية في قصة أصحاب الكهف كانوا فارين بدينهم من بطش الملك الظالم ، وجعلهم الله برهانا للمختلفين على أمر البعث وثم الخوض في ماهيتهم ؛ ومن هم ؛ وفي ذلك اختلاف كما سبقت الإشارة .

في قصة العزيز تم بعثه بعد أن مات قال تعالى : ﴿ **فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ** ﴾ ويلاحظ أنه عاد إلى هيئته الأولى بما فيها ذاكرته، و أما بالنسبة لقصة أصحاب الكهف أنهم كانوا على ما يبدو في حالةٍ من الحياة (من خلال عدة عوامل منها تقلبهم المستمر وميل الشمس عنهم في الكهف مما يحفظ أجسامهم وما حظوا به من العناية الإلهية) ، فكانت عودتهم إلى الحياة الكاملة أيضاً بعثاً لهم قال تعالى: ﴿ **ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ** ﴾،وقال تعالى : ﴿ **كَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءلُوا بَيْنَهُمْ** ﴾ فلا عجب أن يعودوا إلى هيئتهم وبذاكرة حية لم يغيرها الزمن.

من المعجز في القصتين أن ينال البلى شيئا ويترك شيئا في مكان واحد وفي ظروف واحدة ، ففي قصة أصحاب الكهف لم تصدأ نقودهم في حين أن

---

(1)سورة البقرة ، من الآية :258 .

(2) صفوة التفاسير . محمد على الصابوني ،1 / 165 .

كلبهم لم نتبين مصيره ، وفى قصة العزيز لم يتغير طعامه ولا شرابه في حين أن البلى أصاب حماره .

وأهم ما يجب التذكير به هو مطلق القدرة الإلهية التي لا يحدها قانون ولا يضبطها ضابط معين، ولقد سيقت الأحداث في كلا القصتين لتقرر أصلاً من أصول العقيدة ألا وهو حقيقة البعث وضرورة الإيمان به .

الفصل الثالث: قصة موسى عليه السلام و العبد الصالح

المبحث الأول _ في رحاب القصة

المبحث الثاني _الإعجاز في القصة

المبحث الثالث _الأثر العقائدي في القصة

المبحث الأول

في رحاب القصة

المطلب الأول _ العرض القرآني للقصة و سبب النزول

المطلب الثاني _ مناسبة القصة

المطلب الثالث _ تأملات في سياق القصة

المطلب الرابع _ العرض التحليلي

في رحاب القصة

حقيقة إن القرآن الكريم نزل رحمة وهداية للبشر والخلق جمعا لا تزال تتأكد لكل من تدبر وقرأ ونظر وتأمل، فهو كلام الله الذي يعني بشؤون العباد في الدنيا والآخرة .

لقد نبه الله _عز وجل_ إلى فضل العلم وحث عليه في أوائل ما نزل من الآيات ﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ* خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ* اقْرَأْ وربك الأكرم* الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ* عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ** ﴾ ، وجاء في قوله تعالى :

﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾[1] بأن العلم والإيمان أمران متلازمان ، وكلاهما جعله الله تعالى بصريح الآية سبيلا لرفعة المسلم وعلو قدره ، وخير علم ما جاء في حديثه عليه الصلاة و السلام : ((خيركم من تعلم القرآن وعلمه))[2] ، وقوله :((إن أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه)) [3] يقول تعالى : **﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾** [4] نوه الشيخ محمد علي الصابوني على علة خشية العلماء لله أكثر من غيرهم ترجع لما يرونه من دقيق صنعة الله وإبداعه لذا كان النبي صلى الله عليه وسلم الأكثر خشية لله ((أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له))[5] قال الصابوني :" إنما يعظم الله و يجله و يخشاه حق الخشية العلماء العارفون بعظمته وجلاله"[6].

والأمر الذي تبسطه هذه القصة يقوم على العلم فموسى عليه السلام مثال العلم الشرعي الذي يعني بشؤون الخلق في زمنه والخضر مثال العلم اللدني الإلهي **﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾** ذلك العلم القائم والمتصل بمراد الله تعالى .

وللمؤمن أن يتبصر ويتفكر كيف إن الله جعل لبيان فتنة الغرور قصة تدور أحداثها بين شخصيتين لكلاهما مكانة ودرجة ليست كسائر البشر، بل كيف هيئ الظروف لوقائعها وكيف ساق لبيان مراده تعالى مفردات وألفاظ بعينها دون غيرها فسبحان الله المتفرد بصفات الكمال.

أولاً _ العرض القرآني لقصة موسى عليه السلام والعبد الصالح

قال تعالى:- ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا * فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا * فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا

(1) سورة المجادلة ، من الآية 11 .
(2) أخرجه البخاري في صحيحه ؛ط3،(دار ابن كثير،بيروت :لبنان، 1407هـ)، كتاب فضائل القرآن ،باب خيركم من تعلم القرآن و علمه ، رقم 4739، 1919/4.
(3) المرجع نفسه . رقم4،4740/ 1919. .
(4) سورة فاطر، من الآية 28 .
(5) أخرجه البخاري في صحيحه .كتاب النكاح ،باب الترغيب في النكاح رقم 4776 ،1949/5.
(6) التفسير الواضح. محمد علي الصابوني ؛ ط11، (المكتبة العصرية ،صيدا :بيروت ،2010م) ، ص 1088.

نَصَبًا * قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا * قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا * فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا * قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا * قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا * قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا * قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا * فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا * قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا * فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا * قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا * فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا * قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا * أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا * وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا * فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا * وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا *﴾ [1]
.

تناولت الآيات الكريمة القصة على مرحلتين كل مرحلة بمثابة المفتاح للتي تليها ،الأولى رحلة موسى وفتاه، والثانية رحلة موسى _عليه السلام _ والعبد الصالح التي ساقتها الآيات على مرحلتين ، وهذه المراحل كالأتي :

المرحلة الأولى :

(1) سورة الكهف ، الآية : 60-82.

رحلة موسى والفتى (يوشع بن نون) ،وهي بعنوان طاعة وشوق.

والتي بينت شوق موسى للعلم و عزمه واجتهاده للالتقاء بالعبد الصالح المتميز بعلمه يقول تعالى : ﴿ **وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا * فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا * فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا * قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا * قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا *** ﴾ .

وما تضمنته هذه المرحلة من العجائب والمشقة تمهيدا لما هو أعجب ، وأكثر مشقة وجهدا.

المرحلة الثانية :

الالتقاء بالعبد الصالح .وهي بعنوان تساؤل وبيان

هذه المرحلة أتت على مرحلتين لا يمكن الفصل بينهما وفي هاتين المرحلتين كان دور العبد الصالح وموسى مثال الأستاذ المربي والتلميذ.

المرحلة الأولى تبين انفعال النفس البشرية واستعجالها وتصور عواقب الاستعجال و عدم التريث قال تعالى :

﴿ **خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ**﴾ (1) ، وتتمثل في موقف موسى _عليه السلام_ من تصرفات العبد الصالح وتساؤله اللحوح يقول تعالى :﴿ **فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا * قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا * قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا * قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا * قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا * فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا * قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي**

---

(1)سورة الأنبياء ، من الآية : 37 .

بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا * فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا * قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا * فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا * ﴾ .

بيان الحقيقة:

وهي اللحظة التي تتوق لها النفس ، مرحلة الوقوف على الحقيقة وبيان خفايا المعاني والمقاصد.

وما أبدع البارئ_ سبحانه وتعالى _لما صور وقائع تلك الرحلة ووصف حال من قام بها فبين مدى شوق موسى _عليه السلام _ وعزمه على معرفة ما ليس له به علم من أحداث تلك الرحلة .

ولما قدر للبيان بأن يأتي ، يسوق لنا القرآن الكريم كيف تكلم الخضر كلاما متناسقا مترابطا ذا غاية في محل الجواب عن تلك التساؤلات قال تعالى : **﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا * أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا * وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا * فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا * وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تستطع عَلَيْهِ صَبْرًا *﴾**

ثانيا _ سبب النزول

حدثنا ابن أبي كعب عن النبي _ صلى الله عليه و سلم _ ((قام موسى النبي خطيبا في بني إسرائيل فسئل أي الناس أعلم ؟ فقال :أنا أعلم فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه ،فأوحى الله إليه إن عبدا من عبادي بمجمع البحرين هو أعلم منك ، قال: يا رب وكيف به ؟ فقيل له احمل حوتا في مكتل

فـإذا فقدتـه فهو ثـم فـانطلق وانطلـق بفتـاه يوشـع بـن نـون وحمـل حوتـا فـي مكتـل حتـى كانـا عنـد الصـخرة وضـعا رؤوسـهما ونامـا ،فانسـل الحـوت مـن المكتـل **فاتَّخَـذَ سَـبِيلَهُ فِـي الْبَحْـرِ عَجَبًـا** وكـان لموسـى وفتـاه عجبـا فانطلقـا بقيـة ليلتهمـا ويومهمـا فلمـا أصـبح قـال موسـى لفتـاه **آتِنَـا غَـدَاءَنَا لَقَـدْ لَقِينَـا مِـنْ سَـفَرِنَا هَـذَا نَصَـبًا** ، ولـم يجـد موسـى مسـا مـن النصـب حتـى جـاوز المكـان الـذي أمـر بـه قـال لـه فتـاه **أَرَأَيْـتَ إِذْ أَوَيْنَـا إِلَـى الصَّـخْرَةِ فَـإِنِّي نَسِيتُ الْحُـوتَ** قـال موسـى: **ذَلِـكَ مَـا كُنَّـا نَبْـغِ فَارْتَـدَّا عَلَـى آثَارِهِمَـا قَصَصًـا** فلمـا انتهيـا إلـى الصـخرة إذا رجـل مسـجى بثـوب أو قـال تسـجى بثوبـه فسلم موسـى فقـال الخضـر: وأنـى بأرضـك السـلام ؟ فقـال :أنـا موسـى ،فقـال: موسـى بنـي إسـرائيل ؟ قـال :نعـم ،قـال: **هَـلْ أَتَّبِعُـكَ عَلَـى أَنْ تُعَلِّمَـنِ مِمَّـا عُلِّمْـتَ رُشْـدًا * قَـالَ إِنَّـكَ لَـنْ تَسْـتَطِيعَ مَعِـيَ صَـبْرًا** يـا موسـى إنـي علـى علـم مـن علـم الله علمنيـه لا تعلمـه أنـت وأنـت علـى علـم علمكـه لا أعلمـه قـال : **سَـتَجِدُنِي إِنْ شَـاءَ اللَّـهُ صَـابِرًا وَلَا أَعْصِـي لَـكَ أَمْـرًا** فانطلقـا يمشـيان علـى سـاحل البحـر لـيس لهمـا سـفينة فمـرت بهمـا سـفينة فكلمـوهم أن يحملوهمـا فعـرف الخضـر فحملوهمـا بغيـر نـول فجـاء عصـفور فوقـع علـى حـرف السـفينة فنقـر نقـرة أو نقـرتين فـي البحـر، فقـال الخضـر: يـا موسـى مـا نقـص علمـي وعلمـك مـن علـم الله إلا كنقـرة هـذا العصـفور فـي البحـر ،فعمـد الخضـر إلـى لـوح مـن ألـواح السـفينة فنزعـه، فقـال موسـى :قـوم حملونـا بغيـر نـول عمـدت إلـى سـفينتهم فخرقتهـا لتغـرق أهلهـا ؟ **قَـالَ أَلَـمْ أَقُـلْ إِنَّـكَ لَـنْ تَسْـتَطِيعَ مَعِـيَ صَـبْرًا* قَـالَ لَا تُؤَاخِـذْنِي بِمَـا نَسِـيتُ** – فكانـت الأولـى مـن موسـى نسـيانا – فانطلقـا فـإذا غـلام يلعـب مـع الغلمـان فأخـذ الخضـر برأسـه مـن أعـلاه فـاقتلع رأسـه بيده فقـال موسـى: **أَقَتَلْـتَ نَفْسًـا زَكِيَّـةً بِغَيْـرِ نَفْـسٍ ؟ قَـالَ أَلَـمْ أَقُـلْ لَـكَ إِنَّـكَ لَـنْ تَسْـتَطِيعَ مَعِـيَ صَـبْرًا ؟** – قـال ابـن عيينـة وهـذا أؤكـد – **فَانْطَلَقَـا حَتَّـى إِذَا أَتَيَـا أَهْـلَ قَرْيَـةٍ اسْـتَطْعَمَا أَهْلَهَـا فَـأَبَوْا أَنْ يُضَـيِّفُوهُمَا فَوَجَـدَا فِيهَـا جِـدَارًا يُرِيـدُ أَنْ يَـنْقَضَّ فَأَقَامَـهُ** قـال الخضـر بيده فأقامـه فقـال لـه موسـى : **لـو شـئت لاتخـذت عليـه أجـرا قـال هـذا فـراق بينـي وبينـك)** . قـال النبـي_ صـلى الله عليـه و سـلم _ : ((يرحم الله موسى لوددنا لو صبر حتى يقص علينا من أمرهما)) "[1] .

([1]) أخرجه البخاري في صحيحه .كتاب العلم ، باب ما يستحب للعالم،ر.ق122 ،56/1.

ومما يستفاد من هذه الرواية ضرورة الصبر على أمر الله، واليقين بأن ما كان عند الله هو الخير ولا خير في سواه .

المطلب الثاني _ مناسبة القصة :

لما كان القرآن الكريم هو المعجزة الباقية على مر العصور والأجيال ناسب أن تكون مواطن آياته من سوره محل إعجاز بين على صدق نسبته لله وصحة ما فيه .

وقصة موسى والعبد الصالح هي أحد الشواهد الصريحة على هذا الإعجاز الذي يتجلى بالوقوف على وجه مناسبتها.

فهي قصة تناسبت والسياق العام القائم على عرض الفتن ، وبيان كيفية العصمة منها من جهة، والطابع القصصي الغالب على السورة الذي تميز بغرابة الأحداث والوقائع من جهة أخرى .

ولقد ساق ابن عطية في تفسيره كلاما يبرز ذلك الجانب الإعجازي الموضوعي للقرآن الكريم فبين كيف أن إبليس و العياذ بالله منه كان سلطنا في الأرض و السماء و كيف أن الظالمين جعلوا له الولاية عليهم بدلا من ولاية الله لهم ﴿ **بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا**﴾ فليس أحد اظلم ممن اتخذ وليا غير الله تعالى هذا من جانب و من جانب آخر بين كيف يجب للولي ان يكون و ذلك بذكر قصة ذي القرنين ."[1]

فهي بمثابة مثل ما سبق من الآيات في جانب الضد ، فهي تمثل جانب الفضائل والكمال التي تمثل جانب المؤمنين ، وأما ما سبقها فهي تبين صورة التمرد والعصيان والتفاخر بالأجناس كمثل تفاخر إبليس بجنسه قال تعالى : ﴿ **أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ**﴾[2] جهلا وعنادا وتكبرا ، وعلى هذا فهي تبين جانب أهل الضلال والطغيان أهل الكفر والمشركين.

([1]) ينظر المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: 542هـ) ،عبد السلام عبد الشافي محمدط1 (دار الكتب العلمية ، بيروت:لبنان ، 1422 ه)3 /532 .

(2)سورة ص ، الآية :75 .

وأما من جانب آخر ففي ذكرها في هذه السورة تعريض بأهل الكتاب لكي يتواضعوا ويرضوا بأن يعلموا الناس أخبار أنبيائهم ويحثوهم على السفر لطلب العلم والحكمة لا لأجل بسط الملك والسلطان[1] ، ولعل المراد بتذكيره عقيب بيان أن لكل أمة موعدا تذكير بما في القصة من موعد الملاقاة مع ما فيهما من سائر المنافع الجليلة" [2].

وأما في ما يتعلق بمناسبتها للمحور العام للسورة القائم على ذكر الفتن وبيان كيفية العصمة ، و تحقق السلامة منها ، فلقد تعرضت هذه القصة لبيان فتنة ملازمة لشخص الإنسان لا يسلم منها إلا من رحم ربي ، ألا وهي فتنة الغرور والغفلة عن حقائق الأمور ، والتي تجلت في نسبة موسى _عليه السلام_ العلم لنفسه لما سأله السائل : ((هل تعلم أحدا أعلم منك؟ قال: لا)) ، ثم سيقت الآيات لتصف العلاج القرآني لهذه الفتنة ، وتبين كيف أن التواضع ﴿ **وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي** ﴾ هو ما يعصم من الوقوع فيها ، والرجوع إلى الحق هو العلاج منها.

المطلب الثالث _ العرض التحليلي

موسى _عليه السلام _ نبي من الأنبياء الذين تصرف ذكر قصتهم مع فرعون في أكثر من سورة ، ولكن الأمر في سورة الكهف فريد من نوعه فلقد أوردت فيها قصة موسى _عليه السلام_ مع العبد الصالح ؛ لتتناسب و باقي القصص التي لم يأت ذكرها إلا في هذه السورة من حيث الغرابة والتميز بالأحداث والمشاهد الغريبة.

استهلت السورة مطلع القصة بالإشارة إلى أبرز عناصرها والذي يبرز في كل أحداث القصة ووقائعها ، والذي يتمثل في العزم والحرص على الاستمرار إلى أن يحصل المقصود ، وهو اللقاء بالعالم المعلم ، أو إلى أن يقضي الله أمره ﴿ **لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا** ﴾ .

---

(1) ينظر تفسير التحرير والتنوير. 15 /358 .
(2) تفسير أبي السعود . 3 / 391 .

كما إن القصة تشير إلى أن العلم يتضمن فرعين علم شرعي يقوم على ظواهر الأمور والذي يمثله موسى _عليه السلام_، وعلم لدني يقوم على الحكمة الإلهية ، والتي تقضي بالتسليم المطلق لله _تعالى _ ويمثله العبد الصالح.

وموضوع القصة يعني ببيان ثمرة العلم النافع ، وكيفية الحفاظ عليه وكيف أن قدرة الله وحكمته لا تضبطها قوانين أو سنن فلا يعجزه سبحانه شيء قال تعالى : ﴿ **وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا** ﴾ .

ولقد شاء الله تعالى أن تدور أحداث القصة وقائعها في حال السفر والترحال ، ولا يخفى على المرء ما في السفر من عبر وعظات قال تعالى : ﴿ **قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ** ﴾ [1] وما علة شركهم إلا لتتبعهم أهواء نفوسهم وافترائهم الأكاذيب على الله تعالى .

و القصة كلها تدور حول الإخبار بأمور غيبية على الأقل غيب على نبي الله موسى _عليه السلام_ حيث إنه لا علم له بحقيقة تلك الأفعال والتصرفات التي كانت تصدر من العبد الصالح تحقيقا لمعنى قوله تعالى
﴿**وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ**﴾[2].

ولقد نوه السيد عسكر في كتابه بأن الإخبار بالأمور الغيبية دليل صدق على دعوى صاحبها، وهذا ما أشبهت به القصة جانبا من حال المصطفى _صلى الله عليه وسلم_ ، فذكر بجملة من الأمور الغيبية التي قدرها الله _تعالى_ في حياة نبيه _عليه الصلاة والسلام_ ؛ لتكون برهان صدق على نبوته وصحة دعوته كإخباره بأن الغلبة ستكون للروم رغم أن معطيات ذلك الوقت كانت تشير إلى عكس ذلك " [3] .

([1]) سورة الروم ، الآية : 42 .
([2])سورة الروم ، الآية :41 .
([3]) القصص القرآني إقناع وإبداع . ص 54.

وسيرة النبي الكريم _عليه الصلاة و السلام_ مليئة بأحداث وأمور لها علاقتها بالغيب دلالة على نبوته وفي رحلة الإسراء خير شاهد وبرهان وكيف إن الله جعل هذه الرحلة بما حوت من أخبار الغيب فتنة وابتلاء للناس قال الله تعالى : ﴿**وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا**﴾ [1] فقال أكثر الناس :هذا والله الإمر البين والله إن العير لتطرد، شهرا من مكة إلى الشام مدبرة وشهرا مقبلة أفيذهب ذلك محمد في ليلة واحدة ، ويرجع إلى مكة ! قال : فارتد كثير ممن كان أسلم [2] .

فرحلة الإسراء والمعراج تضمنت أحداثا عجيبة وأخبارا هي غيب امتلأت بها كتب السيرة ، ولا يصدق بها إلا من وقر الإيمان في قلبه واعتقد بصدق قوله تعالى :﴿ **وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى * وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى * فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ***﴾[3].

كما أن القصة تعكس شخصية العبد المراقب لربه ، والذي لا يرتضي من أي كان ما لا يوافق نهج ربه بدليل موقف موسى واستنكاره على العبد الصالح رغم علمه أنه بمثابة التلميذ أمام العبد الصالح ، قال تعالى:﴿**لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا** ﴾،وقال تعالى: ﴿**لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا**﴾ .

والسياق القرآني للآيات ، والاختيار الدقيق لمفردات الحوار بين طرفي القصة ، والتصور للأحداث يرسم صورة على أعلى مستوى للبلاغة مما يجعل القارئ للآيات يستشعر بأحاسيسه تلك المواقف ويعيشها فيجد في نفسه تلك الغبطة، وترى لذة في قلبه تهللت بها أساريره وخلجاته لا تكون إلا حال تلاوته وتأمله في كتاب الله .

---

(1) سورة الإسراء ، من الآية : 60 .
(2) السيرة النبوية . 1 / 398 .
(3) سورة النجم ، الآية : 1 - 10 .

المطلب الرابع _ العرض التحليلي

قال تعالى :﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا * ﴾.

ابتدأ الله _تعالى_ حكاية قصة موسى _عليه السلام _ وساقها في هذه السورة؛ لحكمة جليلة أرادها ستتجلى وتبرز مع بيان معاني وتفسير الآيات الكريمة، واستهل لبدء الكلام عن قصة موسى بالحكاية على لسان موسى عليه السلام لما قال لفتاه : **﴿لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾** قولا يدل على العزم والإصرار على المضي قدما حتى يلقا ما وعد بلقائه .

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ ﴾ قال " الآية **﴿إذ ﴾**منصوب ب "**﴿ اذكر﴾**أو وقت قال لفتاه جرى ما قصصنا عليك خبره "[1]، فجملة **﴿وإذ قال موسى﴾**معطوفة على جملة **﴿وإذ قلنا للملائكة﴾**عطف القصة على القصة والتقدير واذكر إذ قال موسى لفتاه أي اذكر ذلك الزمن وما جرى فيه وناسبها تقدير فعل اذكر ؛ لأن في هذه القصة موعظة وذكرى كما في قصة خلق آدم" [2] .

قال القرطبي : الجمهور من العلماء وأهل التاريخ إنه موسى بن عمران عليه السلام المذكور في القرآن ليس فيه موسى غيره [3] ، وأما جمهور اليهود فيقولون: بأن موسى هو موسى بن ميشا بن يوسف ويزعم أهل التوراة إنه نبي قبل موسى بن عمران ، وأنه هو الذي طلب هذا العالم ليتعلم منه[4]، ولقد ساق صاحب اللباب في علوم الكتاب حجة لهؤلاء الأخير "واحتج القائلون بأنه موسى بن ميشا بأن الله تعالى بعد أن أنزل عليه التوراة وكلمه بلا واسطة وخصه بالمعجزات الباهرة العظيمة التي لم يتفق مثلها لأكثر أكابر الأنبياء _عليهم الصلاة والسلام_ يبعد أن يبعثه ذلك إلى التعليم والاستفادة ، ويرد عليه

---

(1) اللباب في علوم الكتاب . أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي ؛ تح : عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض ط1 ؛ (دار الكتب العلمية ،بيروت :لبنان ، 1998ه) ،12/ 520 .
(2) التحرير والتنوير. 359/15 .
(3) تفسير القرطبي . 11/ 9 .
(4) ينظر اللباب في علوم الكتاب . 12 /520 .

بأنــه لــيس ببعيــد أن يكــون العــالم الكامــل فــي أكثــر العلــوم يجهــل بعــض الأشيــاء فيحتـاج إلى تعلمها إلى من هو دونه وهو أمر متعارف " . [1]

وجـاء فـي تفسـير الـرازي " واحـتج القفـال علـى صـحة قولنـا إن موسـى هـذا هـو صــاحب التــوراة قــال : إن الله _تعــالى_ مــا ذكــر موســى فــي كتابــه إلا وأراد بــه صــاحب التــوراة فــإطلاق هــذا الاســم يوجــب الانصــراف إليــه ، ولــو كــان المــراد شخصــا آخــر مســمى بموســى غيــره لوجــب تعريفــه بصــفة توجــب الامتيــاز وإزالــة الشــبهة كمــا إنــه لمــا كــان المشــهور فــي العــرف مــن أبــي حنيفــة رحمــه الله هــو الرجـل المعـين فلـو ذكرنـا هـذا الاسم وأردنـا بـه رجـلا سـواه لقيدناه مثـل أن تقـول قـال أبو حنيفة الدينوري" [2] .

قولــه ﴿ **لِفَتَــاهُ** ﴾ :المـراد مـن فتـى موسـى : الأكثـرون علـى أنـه يوشـع بـن نـون وعـن أبـي هريـرة عـن أبـي بـن كعـب عـن النبـي _ صـلى الله عليـه وسـلم _ يقـول : فتـاه بـن نــون ، والقــول الثــاني أن فتــى موســى أخــو يوشــع ، وكــان صــاحبا لموســى _عليــه الســلام_ فــي هــذا السـفر، والقــول الثالــث روي عمــرو ابــن عبيــد عــن الحســن: فــي قولــه: ﴿ **وَإِذْ قَــالَ مُوسَــى لِفَتَــاهُ لَا أَبْــرَحُ** ﴾ قــال : يعنــي عبـده قـال القفـال : واللغـة تحتمــل ذلــك ، روي عــن النبــي _صــلى الله عليــه وســلم_ أنــــه قــال :((لا يقــولن أحــدكم عبــدي وأمتــي كلكــم عبيــد الله و كــل نســائكم إمــاء الله ولكــن ليقــل غلامــي و جــاريتي و فتــاي وفتــاتي))[3]، و هــذا يــدل علــى أنهــم كــانوا يســمون العبــد فتــى و الأمة فتاة .

وفتـى موسـى هـو يوشـع بـن نـون مـن سـبط افـرايم ، وقـد قيـل: إنـه ابـن أخـت موسـى وكــان اســمه الأصــلي هوشــع فــدعاه موســى حــين بعثــه للتجســس فــي أرض كنعـان يوشـع ولعـل ذلـك التغيـر فـي الاسم تلطـف بـه كمـا قـال رسـول الله _ صـلى الله عليــه وســلم _ لأبــي هريــرة : ((يــا أبــا هــر))_ عــن أبــي هريــرة قــال :((لقينــي رسـول الله _ صـلى الله عليـه وسـلم _ وأنـا جنـب فأخـذ بيـدي فمشـيت معـه حتـى قعـد

---

(1) اللباب في علوم الكتاب 521/2 .

(2)التفسير الكبير . 21/ 122 .

(3) أخرجه مسلم في صحيحه . تح : محمد فؤاد عبد الباقي ،(دار إحياء الثرات العربي ، بيروت : لبنان) ، **كتاب** الألفاظ من الأدب و غيرها ،باب حكم إطلاق لفظ العبد و الأمة والمولى والسيد ،ر.ق1764/2249،4.

فانسللت فأتيت الرحل فاغتسلت ثم جئت وهو قاعد فقال : أين كنت يا أبا هر ؟ فقلت له فقال : سبحان الله يا أبا هر إن المؤمن لا ينجس)) [1] ، وفي التوراة إن إبراهيم كان اسمه إبرام فلما أمره الله بخصال الفطرة دعاه ابراهام " [2]، ويشير ابن عطية إلى أن يوشع هو أحد الإثني عشر الذين بعثهم موسى لأرض كنعان في جهات حلب وحبرون وهو أحد الرجلين في قوله : **﴿قال رجلان﴾** [3] كما أن ميلاده في حدود سنة 1463 قبل المسيح ،ووفاته في حدود 1353 وعمر مائة و عشر سنين، وكان موسى قد اتخذه تلميذا و خادما ،وهو أحد الرجلين المعهود لهما أن يقسما الأرض بين أسباط بني إسرائيل من بعده ، وهو الذي أوحى الله إلى موسى أن يوكل إليه أمر بني إسرائيل من بعده [4].

واختلفوا في فتى موسى فالصحيح أنه يوشع بن نون كما روي في الحديث المتقدم وقيل : إنما سمي فتى موسى؛ لأنه لزمه ليتعلم منه وإن كان حرا وهذا معنى الأول وقيل : إنما سماه فتى؛ لأنه قام مقام الفتى وهو العبد قال تعالى: **﴿ وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ ﴾** [5] ، وقال تعالى: **﴿ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ﴾** [6] قال ابن العربي :" فظاهر القرآن يقتضي إنه عبد، وفي الحديث إنه كان يوشع بن نون ، وفي التفسير: إنه ابن أخته، وهذا كله مما لا يقطع به والتوقف أسلم "[7] .

قوله : ﴿ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴾

إشارة إلى المضي قدماً حتى يبلغ المكان الذي أمر بالسير إليه ، ولو أدى إلى أن يمضي دهوراً من الزمن ، وهذا مما يدل على الامتثال والثقة بقضاء الله وقدره .

---

(1)أخرجه البخاري في (الجامع المسند الصحيح المختصر). **كتاب الغسل** ،.باب الجنب يخرج ويمشي في السوق، **رقم** 285 ،1/ 65 .
(2) تفسير التحرير والتنوير.15 /360 .
(3)سورة المائدة ،من الآية : 25 .
(4) انظر تفسير التحرير والتنوير.ج360/15 .
(5) سورة يوسف ، الآية : 62 .
(6) سورة يوسف ، من الآية : 30 .
(7) أحكام القرآن . لابن العربي ،بالآية السابعة قوله تعالى : **﴿و إذ قال موسى لفتاه ﴾**319/5.

قولــه : ﴿ لَا أَبْــرَحُ ﴾ أي: لا أزال أسـير فــي طلــب العبـد الـذي أعلمنــي ربــي بفضله "[1] ، أي : " هذا المكان الذي فيه مجمع البحرين ".[2]

قوله: ﴿ مَجْمَعَ ﴾

و" قرأ الضحاك وعبد الله بن مسلم بن يسار ﴿ مَجْمِعَ ﴾ بكسر الميم الثانية ، والنضر عن ابن مسلم في كل الحرفين وهو شاذ ، وقياسه من يفعل فتح الميم كقراءة الجمهور ، والظاهر أن ﴿ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ ﴾ هو اسم مكان البحرين ، وقيل مصدر "[3].

قوله:﴿ الْبَحْرَيْنِ ﴾ " هما بحر فارس مما يلي المشرق وبحر الروم مما يلي المغرب، وقال محمد بن كعب القرظي : مجمع البحرين عند طنجة يعني في أقصى بلاد المغرب"[4] ، ومما جاء في البحر المحيط " قال مجاهد وقتادة : هو هو مجتمع بحر فارس وبحر الروم وقال ابن عطية : وهو ذراع يخرج من البحر المحيط من شمال إلى جنوب في أرض فارس من وراء أذربيجان فالركن الذي لاجتماع البحرين مما يلي بر الشام وهو مجتمع البحرين على هذا القول، وقالت فرقة منهم محمد بن كعب القرظي : هو عند طنجة حيث يجتمع البحر المحيط والبحر الخارج منه من دبور إلى صبا وعن أبي بافريقية ،وقيل: هو بحر الأندلس والقرية التي أبت أن تضيفهما هي الجزيرة الخضراء وقيل: ﴿ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ ﴾ " بحر ملح وبحر عذب فيكون الخضر على هذا عند موقع نهر عظيم في البحر وقالت فرقة :البحران كناية عن موسى والخضر؛ لأنهما بحرا علم ، وهذا شبيه بتفسير الباطنية وغلاة الصوفية والأحاديث تدل على أنهما بحرا ماء، وقيل : بحر القزم وقيل: بحر الأزرق"[5]، وقيل : " هما الكر

---

(1) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير. شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (المتوفى: 977هـ)،(مطبعة بولاق ،القاهرة : مصر ، 1285ه)باب سورة الكهف،389/2 .

(2) تفسير ابن كثير . 4/ 402 .

(3) تفسير البحر المحيط .7 /200 .

(4) تفسير ابن كثير. 4 /402 .

(5) تفسير البحر المحيط . 7 /199،200 .

و الـرس بأرمينيـة، وقيـل: افريقيـة وقـرئ بكسـر المـيم كمشـرق "[1]، ويعلـق فخـر الـدين الـرازي علـى المراد مـن قولـه : ﴿ **مَجْمَـعَ الْبَحْـرَيْنِ**﴾ فيقـول:" وأمـا مجمـع البحـرين فهـو المكـان الـذي وعـد فيـه موسـى بلقـاء الخضـر عليهمـا السـلام وهـو ملتقـى بحـري فـارس والـروم ممـا يلـي المشـرق، وقيـل : غيـره ولـيس فـي اللفـظ مـا يـدل علـى تعـين هـذين البحـرين فـإن صـح بـالخبر الصـحيح شـيء فـذاك وإلا فالأولى السكوت عنه " [2].

قولـه تعـالى : ﴿ **أَوْ أَمْضِـيَ حُقُبًـا** ﴾ و"قـرأ الضـحاك حقبـا بإسـكان القـاف والجمهـور بضـمها"[3] **أو** أمضـي أو أسـير والمضـي: الـذهاب والمسـير، والحقـب بضـتين اسـم للزمـان الطويـل غيـر منحصـر المقـدار وجمعـه أحقـاب أي : ولـو أن أسير حقبا من الزمان.

قـال ابـن جريـر رحمـه الله: " ذكـر بعـض أهـل العلـم بكـلام العـرب أن الحقـب فـي لغـة قـيس سـنة، ثـم قـد روي عـن عبـد الله بـن عمـرو أنـه قـال : الحقـب ثمـانون سـنة، وقـال مجاهـد: سـبعون خريفـا، وعـن ابـن عبـاس قولـه: ﴿ **أَوْ أَمْضِـيَ حُقُبًا** ﴾ قال: دهرا"[4]، وزاد ابن كثير: "وقال قتادة وابن زيد مثل ذلك"[5].

وعطـف﴿ **أَمْضِـيَ** ﴾علـى﴿ **أبلـغ**﴾ ب "أو" فصـار المعطـوف إحـدى غـايتين للإقلاع عن السير أي إما أن أبلغ المكان أو أمضي زمنا طويلا .

ولمـا كـان موسـى لا يخـامره الشـك فـي وجـود مكـان هـو مجمـع البحـرين والفـاء طلبتـه عنـده، لأنـه علـم بـذلك بـوحي مـن الله تعـالى، تعـين أن يكـون المقصـود تأكيد مضيه زمنا يتحقق فيه الوصول إلى مجمع البحرين .

فـالمعني " لا أبـرح حتـى أبلـغ مجمـع البحـرين بسـير قريـب، أو أمـر أزمانـا طويلـة فـإني بـالغ مجمـع البحـرين لا محالـة ، وكأنـه أراد بهـذا تـأييس فتـاه مـن محاولـة رجوعهمـا كمـا دل عليـه قولـه بعـد ﴿**لَقَـدْ لَقِينَـا مِـنْ سَـفَرِنَا هَـذَا نَصَـبًا**﴾ أو

---

(1) تفسير أبي السعود . 3 /391 .
(2) التفسير الكبير .124/21 .
(3) تفسير البحر المحيط . 7 /200 .
(4) ينظر تفسير الطبري .57/18 .
(5) تفسير ابن كثير .4 /402 .

أراد شحذ عزيمة فتاه ليساويه في صحة العزم حتى يكونا على عزم متحد"[1]، فهذا موسى يكلم فتاه بأنه سيمضي للقاء ما أخبره به ربه بكل عزم وإصرار ولو قدر له أن يقضي زمنا طويلا لبلوغ مراده.

هذا ما كان من شأن موسى _عليه السلام_ مع فتاه في أول سفره ثم تنتقل الآيات لتصور لنا مشهدا جديدا من أحداث موسى عليه السلام وفتاه يوشع بن نون.

يقول تعالى: ﴿ **فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا** ﴾ [2].

الفاء للتفريع والفصيحة ؛ لأنها تفصح عن كلام مقدر أي : فسارا حتى بلغا مجمع البحرين ، وضمير بينهما عائد إلى البحرين أي : محلا يجمع بين البحرين ، وأضيف مجمع إلى بين على سبيل التوسع فإن بين اسم مكان "[3]، وأورد صاحب اللباب في علوم الكتاب خلافا في ضمير" بينهما" إلى ماذا يعود؟ قولان؛" فقيل : لمجمع البحرين ، وقيل : بلغا الموضع الذي وقع فيه نسيان الحوت، وهذا الموضع الذي كان يسكنه الخضر عليه السلام؛ أي يسكن بقربه، ولأجل هذا المعنى لما رجع موسى وفتاه بعد أن ذكر الحوت صار إليه وهو معنى حسن والمفسرون على القول الأول"[4].

قوله تعالى :﴿ **نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا**﴾

الذي جعل فقدانه أمارة وجدان المطلوب أي" نسيا تفقد أمره وما يكون منه "[5] يعني بقوله: ﴿ **نَسِيَا**﴾؛ أي تركا، نقل الطبري في كتابه قول مجاهد﴿ **نَسِيَا حُوتَهُمَا** ﴾ " قال :أضلاه، وأما في أمر النسيان هل يضاف لموسى وفتاه أم لأحدهما ؟ ، وزاد قولا أخر عن مجاهد قال : أضلاه، قال بعض أهل العربية : إن الحوت كان مع يوشع وهو الذي نسيه فأضيف النسيان إليهما كما قال :﴿ **يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ**﴾ وإنما يخرج من الملح دون

---

(1) تفسير التحرير والتنوير. 365/15 .
(2) سورة الكهف ، الآية 60 .
(3) تفسير التحرير والتنوير.15/ 365 .
(4) **اللباب في علوم الكتاب** . 12 /524 .
(5) تفسير أبي السعود . 3 / 391 .

العذب "[1]، وتأول كل من المفسرين نسبة النسيان لكل منهما ، ومما جاء في هذا المعنى قوله تعالى ﴿ **نَسِيَا حُوتَهُمَا** ﴾ " الظاهر نسبة النسيان إلى موسى وفتاه يعني نسيا تفقد أمره فإنه كان علامة لهما على ما يطلبانه، وقيل : نسي موسى أن يأمره بالإتيان به ، ونسي يوشع أن يفكر بأمره ، وقيل : الناسي يوشع فقط "[2]، ورأي إنما كان النسيان من الفتى وحده ، فقيل : المعنى نسي أن يعلم موسى بما رأى من حاله فنسب النسيان إليهما للصحبة، وفي البخاري فقال لفتاه :لا أكلفك إلا أن تخبرني بحيث يفارقك الحوت قال: ما كلفت كبيرا فذلك قوله _عز وجل_ : ﴿ **وَإِذْ قَالَ** ﴾ موسى لفتاه يوشع بن نون قال :" فبينا هو في ظل صخرة في مكان ثريان إذ تضرب الحوت وموسى قائم فقال فتاه :لا أوقظه حتى إذا استيقظ نسي أن يخبره وتضرب الحوت حتى دخل البحر فأمسك الله عنه جرية البحر حتى كان أثره في حجر قال لي عمرو: هكذا كأن أثره في حجر، وحلق بين إبهاميه واللتين تليانهما[3]، وقيل : إن النسيان كان منهما لقوله _تعالى_: ﴿ **نَسِيَا**﴾ فنسب النسيان إليهما ، وذلك إن بدو حمل الحوت كان من موسى ؛ لأنه الذي أمر به فلما مضيا كان فتاه هو الحامل له حتى أويا إلى الصخرة نزلا " [4].

﴿ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ [5]

قوله: ﴿ **فَلَمَّا جَاوَزَا** ﴾ أي : مجمع البحرين الذي جعل موعدا للملاقاة قيل : أدلجا وسارا الليلة والغد إلى الظهر ، وألقي على موسى _عليه السلام_ الجوع فعند ذلك﴿ **قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا** ﴾ .

قال القرطبي : " فلما جاوزا يعني الحوت هناك نسيا أي متروكا فلما سأل موسى الغداء نسب الفتى النسيان إلى نفسه عند المخاطبة ، وإنما ذكر الله نسيانهما عند بلوغ مجمع البحرين وهو الصخرة فقد كان موسى شريكا في

---

(1) تفسير الطبري .أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ؛ تح : احمد محمد شاكر ؛ط1 ؛(مؤسسة الرسالة ، 2000م)، 18/ 57 .
(2) اللباب في علوم الكتاب . 524/12 .
(3) تفسير القرطبي . 11/ 12،13 .
(4) المصدر نفسه . ص13 .
(5) سورة الكهف ، الآية : 60 .

النسيان ؛ لأن النسيان تأخير، من ذلك قولهم في الدعا: أنسأ الله في أجلك، فلما مضيا أخرا حوتهما عن حمله فلم يحمله واحد منهما فجاز أن ينسب إليهما ؛ لأنهما مضيا وتركا الحوت "[1].

نقل الطبري في كتابه " قال رسول الله _صلى الله عليه وسلم_ حين ذكر حديث ذلك: ((ما انجاب ماء منذ كان الناس غيره ثبت مكان الحوت الذي فيه فانجاب كالكوة حتى رجع إليه موسى فرأى مسلكه فقال: ذلك ما كان نبغي))[2]، وأصح الأقوال منه ما روي الخبر به عن رسول الله _صلى الله عليه وسلم_ الذي ذكرنا عن أبي عنه"[3].قوله :﴿ **فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا** ﴾ وفيه وجوه ذكرها الرازي :الأول : أن يكون التقدير سرب في البحر سربا إلا أنه أقيم قوله : ﴿**فاتخذ**﴾ مقام قوله : ﴿سربا﴾ والسرب هو الذهاب ومنه قوله تعالى : ﴿ **وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ**﴾ ، والثاني أن الله _تعالى_ أمسك إجراء الماء على البحر ، وجعله كالطاق والكوة حتى سرى الحوت فيه فلما جاوز أي : موسى وفتاه الموعد المعين وهو الوصول إلى الصخرة بسبب النسيان المذكور وذهبا كثيرا وتعبا وجاعا قال تعالى : ﴿ **قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا * قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ**﴾ الهمزة في أرأيت همزة الاستفهام ورأيت على معناه الأصلي وقد جاء الكلام على ما هو المتعارف بين الناس ، فإنه إذا حدث لأحدهم أمر عجيب قال لصاحبه: أرأيت ما حدث لي كذلك ههنا كأنه قال : أرأيت ما وقع لي منه قال تعالى : ﴿ **إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ**﴾ فحذف مفعول أرأيت ؛ لأن قوله _ تعالى _ : ﴿ **فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ**﴾ يدل عليه ، ثم قال: ﴿ **وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ**﴾[4].

قوله: ﴿*** فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا *** ﴾[5]، وقد يكون المراد بالعلم أمر العمل بما قام به من أعمال.

---

(1) تفسير القرطبي .13/11.
(2) تفسير الطبري .58/18 .
(3) **المصدر** نفسه .
(4) ينظر تفسير الرازي . 12 / 125 .
(5)**سورة** الكهف ، الآية : 64 .

وقولـه :﴿عبـدا﴾ " التنكيـر للتفخـيم والإضـافة للتشـريف ،والجمهـور علـى أنـه الخضـر _عليـه السـلام_ ، واسـمه بليـا بـن ملكـان ، وقيـل: اليسـع ، وقيـل: إليـاس عليهم السلام "[1].

وقولـــه : ﴿**رحمـــة**﴾ : " هـي الـوحي والنبـوة ، كمـا يشـعر بـه تنكيـر الرحمـة واختصاصـها بجنـاب الكبريـاء "[2]، وقيـل : النعمـة التـي أنعـم الله بهـا عليـه "[3] ، وقولـه : ﴿ **وَعَلَّمْنَـاهُ مِـنْ لَـدُنَّا عِلْمًـا**﴾ وعلمنـاه مـن قبلنـا ﴿ **عِلْمًـا**﴾ ،أي " علمـا خاصـا لا يعلـم إلا بتوفيقنـا ، وهـو علـم بعـض الأمـور الغيبيـة[4]، جـاء فـي الجـامع لأحكـام القـرآن للقرطبـي:" قـال ابـن عطيـة : كـان علـم الخضـر معرفـة بواطـن قـد أوحيـت إليـه لا تعطـى ظـواهر الأحكـام أفعالـه بحسـبها ، وكـان علـم موسـى _عليـه السلام _ علم الأحكام والفتيا بظاهر أقوال الناس وأفعالهم"[5].

وتنتقـل الآيـات لترسـم صـورة حيـة للموقـف حـين التقـى موسـى _عليـه السـلام_ بالعبـد الصـالح بكلمـات بليغـة فصـيحة تشـعر قارئهـا بتلـك المشـاعر التـي واكبت تلك اللحظة التي قدرها الله _تعالى_ في سابق علمه لحكمة عظيمة .

يقـول الله _تعـالى_ حكايـة علـى لسـان موسـى _عليـه السـلام _لمـا وجـد العبـد الصـالح :﴿ **هَـلْ أَتَّبِعُـكَ عَلَـى أَنْ تُعَلِّمَـنِ مِمَّـا عُلِّمْـتَ رُشْـدًا**﴾ [6] " استئنـاف مبنـي علـى سـؤال نشـأ مـن السـياق ، كأنـه قيـل : فمـاذا جـرى بينهمـا مـن الكـلام ؟ فقيـل :قـال لـه موسـى :﴿ **هَـلْ أَتَّبِعُـكَ عَلَـى أَنْ تُعَلِّمَـنِ** ﴾ استئذانا منـه فـي إتباعـه لـه علـى وجـه التعلم ﴿ **مِمَّـا عُلِّمْـتَ رُشْـدًا**﴾ أي: علمـا ذا رشـد أرشـد بـه فـي دينـي والرشد إصابة الخير" [7].

يقـول _تعـالى ذكـره_ :" قـال موسـى للعـالم : ﴿ **هَـلْ أَتَّبِعُـكَ عَلَـى أَنْ تُعَلِّمَـنِ** ﴾ من العلم الذي علمك الله ما هو رشاد إلى الحق ودليل على هدى"[8].

---

(1) تفسير أبي السعود. 3/ 393 .
(2) تفسير أبي السعود .393/3 .
(3) فتح القدير الجامع لأحكام الرواية والدراية. 15 /868 .
(4) التفسير الواضح الميسر . 732/15 .
(5) **المحرر** الوجيز في تفسير الكتاب العزيز .**بلب** سورةالكهف529/18،3
(6) سورة الكهف ،الآية :65 .
(7) تفسير أبي السعود .م393/3 .
(8) تفسير الطبري . ص 256 .

هــذا ســؤال الملاطــف والمخاطــب المســتنزل المبــالغ فــي حســن الأدب المعنــى هـل يخفـف عليـك ويتفـق لـك ،وهـذا كمـا فـي الحـديث ((هـل تسـتطيع أن تريـنـي كيـف كـان رسـول الله _صـلى الله عليـه وسـلم_ يتوضـأ)) "[1]، وفـي هــذا الأسـلوب ملاطفـة وتواضـع لكـل طالـب علـم يجـب أن يسـتفيد مـن المربـي والمعلـم أن يكلمه بأسلوب فيه أدب وتوقير[2].

قوله : ﴿ رَشَدا ﴾

قـرأ البصــريان بفــتح الــراء و الشــين وغيرهمــا بضــم الــراء و ســكون الشـين و أمـا مـن أمرنـا رشـدا و لأقـرب مـن هـذا رشـدا فبفـتح الـراء و الشـين لسـائر القراء " [3].

ويســوق الله جوابـا ورد مـن الخضـر علـى تسـاؤل موسـى وطلبـه يشـير فيـه إلـى مـا تفرد بـه من العلـم ، ومـا مـن بـه الله عليـه مـن العلـم ببواطن الأمـور فيقـول تعالى ﴿ **قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا** ﴾.

أجــاب بــذلك ؛ لأنــه ألــف الإثبــات والإبطــال والاسـتدلال والاعتـراض[4]؛ " " إيـذانا بأنــه يتـولى أمـور خفيـة المـدار منكـرة الظـواهر والرجـل الصـالح ولا سـيما صــاحب الشـريعة لا يتمالـك أن يشمئـز عنـد مشـاهدتها "[5]،أي إن صـبرك علـى مـا مـا لا خبـرة لـك بـه مستبعد ، وفيـه إبـداء عـذر لـه حيـث لا يمكنـه الصـبر لمـا يـرى من منافاة ما هو عليه من شريعته ﴿ **مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا** ﴾ لم تخبره ، والأنبياء لا يقـرون علــى منكـر ولا يجـوز لهـم التقريـر أي : لا يسـعك السكـوت جريـا علــى عادتـك وحكمـك ، وقيـل : علـى المصــدر الملاقـي فـي المعنــى ؛ لأن قولـه : ﴿

---

(1) أخرجه النسائي في سننه بشرح السيوطي وحاشية السندي. **باب حد الغسل . رقم** 97 ، 1/ 75 ؛ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. 306/2 .

(2) التفسير الواضح الميسر .15 / 733 .

(3) البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدُّرة ـ القراءاتُ الشاذةُ وتوجيهها من لغة **العرب . عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي (المتوفى**: 1403هـ)،(**دار الكتاب العربي** ،بيروت : لبنان) باب سورة الكهف ،194/1.

(4) تفسير اللباب في علوم الكتاب .12 /532 .

(5) تفسير أبي السعود .3 /393 .

لَـمْ تُحِـطْ﴾ معنـاه لـم تخبـره فكأنـه قـال: لـم تخبـره خبـرا، وإليـه أشـار مجاهـد، والخبيـر بالأمور : هو العالم بخفاياها وبما يختبر منها [1] .

قـال تعـالى :﴿ قـال سَـتَجِدُنِي إِنْ شَـاءَ اللَّـهُ صَـابِرًا وَلَا أَعْصِـي لَـكَ أَمْـرًا﴾ أي: غيـر عـاص ﴿لـك أمـرا﴾ تـأمرني بـه ، وقيـد بالمشـيئة ؛ لأنـه لـم يكـن علـى ثقـة مـن نفسـه فيمـا التـزم ، وهـذه عـادة الأنبيـاء والأوليـاء أن لا يثقـوا بأنفسـهم طرفـة عين[2] .

قـال مـوسى _عليـه السـلام_ :﴿ سَـتَجِدُنِي إِنْ شَـاءَ اللَّـهُ صَـابِرًا ﴾ معـك غيـر مفتـرض عليـك وتوسـيط الاسـتثناء بـين مفعـولي الوجـدان لكمـال الاعتنـاء بـالتيمن ، ولـئلا يتوهـم تعلقـه بالصـبر، وقولـه ﴿ وَلَا أَعْصِـي لَـكَ أَمْـرًا﴾عطـف علـى﴿ صَـابِرًا﴾ أي : سـتجدني صـابرا وغيـر عـاص ، وفـي وعـد هـذا الوجـدان مـن المبالغـة مـا لـيس فـي الوعـد بـنفس الصـبر وتـرك العصـيان أو علـى سـتجدني فـلا محـل لـه مـن الإعـراب ، والأول هـو الأولـى لمـا عرفتـه ولظهـور تعلقـه بالاسـتثناء حينئـذ ، وفيـه دليـل علـى أن أفعـال العبـاد بمشـيئة الله سـبحانه وتعـالى" [3] و" دل قولـه:﴿ وَلَا أَعْصِـي لَـكَ أَمْـرًا﴾ علـى أن ظـاهر الأمـر للوجـوب وأن تـارك المـأمور بـه عـاص، والعاصـي يسـتحق العقـاب كقولـه تعـالى: ﴿ وَمَـنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ [4] " [5].

ويقـول الخضـر لموسـى مشـيرا إلـى شـرط تحقـق رفقتـه:﴿ فَـلَا تَسْـأَلْنِي ﴾ عمـا تشـاهده مـن تصـرفاتي وأفعـالي حتـى أحـدث لـك أنـا قبـل أن تسـألني منـه خبـرا وبيانـا وما كـان هـذا الشـرط إلا تنويهـا عمـا سـيجده أثنـاء رفقتـه ﴿ فَـلَا تَسْـأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾.

قولـه تعـالى :﴿ فَـإِنِ اتَّبَعْتَنِـي ﴾ أي : صـحبتني ولـم يقـل اتبعنـي ، ولكـن جعـل الاختيـار إليـه إلا أنـه شـرط عليـه شـرطا فقـال: ﴿ فَـلَا تَسْـأَلْنِي ﴾ أي : "

---

(1) تفسير القرطبي 11/ 17.
(2) تفسير الجلالين . جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي؛ راجعه :محمد محمد تامر ط1 ؛(دار الآفاق العربية، 2004 م) ،ص325 .
(3) تفسير أبي السعود. 3 / 393 .
(4)سورة الجن ، من الآية : 23 .
(5) تفسير اللباب في علوم الكتاب 12/ 534 .

حتى أكون أنا الذي أفسره لك ، وهذا من الخضر تأديب وإرشاد لما يقتضي دوام الصحبة فلو صبر ودأب لرأي العجب لكنه أكثر من الاعتراض فتعين الفراق والإعراض "[1]، ولقد ساق أبو حيان في تفسير البحر المحيط في كلاما يشعر بعلة شرطه قال: "أي إذا رأيت مني شيئا خفي عليك وجه صحته فأنكرت في نفسك فلا تفاتحني بالسؤال حتى أكون أنا الفاتح عليك وهذا من أدب المتعلم مع العالم المتبوع "[2].

﴿ **فَلَا تَسْأَلْنِي** ﴾ و" قرأ ابن كثير و أبو عمرو و عاصم و حمزة و الكسائي ﴿**فلا تسئلْني**﴾، ساكنة اللام و قرأ نافع ﴿**فلا تسئلنّي**﴾ مشددة النون ، و قرأ ابن عامر ﴿**فلا تسئلَنِ**﴾ اللام متحركة و النون مكسورة "[3].

قوله تعالى:﴿ **فَانْطَلَقَا** ﴾ دلالة على تمام القبول وتأكد حصول الرفقة ومباشرة المسير، قال أبي السعود: أي " موسى والخضر _عليهما الصلاة والسلام_ على الساحل يطلبان السفينة، وأما يوشع فقد صرفه موسى _عليه الصلاة والسلام- إلي بني إسرائيل قيل : أنهما مرا بسفينة فكلما أهلها فعرفوا الخضر_ عليه الصلاة والسلام_ فحملوهما بغير نول " [4]، وحكي في البحر المحيط بلفظ قيل هذا القول وقولا أن يوشع كان معهم ولم يضمر؛ لأنه في حكم التبع " [5] .

قوله :﴿ **حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ** ﴾ " الألف واللام في السفينة ؛ لتعريف الجنس إذ لم يتقدم عهد في سفينة مخصوصة "[6] ، وفي ذكر السفينة ما يشعر يشعر بتنوع الحركة والانتقال من مكان إلى مكان والمعتمد كما يحكي أبو حيان في تفسيره في بيان كيفية ركوبهما السفينة " ((فَانْطَلَقَا يَمْشِيَانِ عَلَى السَّاحِلِ فَمَرَّتْ بِهِمْ سَفِينَةٌ فَعُرِفَ الخَضِرُ فَحَمَلُوهُمْ فِي سَفِينَتِهِمْ بِغَيْرِ نَوْلٍ – يَقُولُ بِغَيْرِ

---

(1) تفسير القرطبي.11 / 18 .
(2) تفسير البحر المحيط . 7/ 206 .
(3) **كتاب السبعة في القراءات** . أحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر بن مجاهد البغدادي (المتوفى: 324هـ)تح شوقي ضيف،ط2(**دار المعارف،مصر** ،1400ه)،باب ذكر اختلافهم في سورة الكهف، 394/1.
(4) تفسير أبي السعود .3 / 394
(5) ينظر تفسير البحر المحيط .7/ 206
(6) **المصدر** نفسه .

أَجْـرٍ – فَرَكِبَـا السَّـفِينَةَ، قَـالَ: ووَقَـعَ عُصْـفُورٌ عَلَـى حَـرْفِ السَّـفِينَةِ فَغَمَـسَ مِنْقَـارَهُ فِـي البَحْـرِ، فَقَـالَ الخَضِـرُ لِمُوسَـى: مَـا عِلْمُـكَ وَعِلْمِـي وَعِلْـمُ الخَلاَئِـقِ فِـي عِلْـمِ اللَّـهِ إِلَّا مِقْدَارُ مَـا غَمَـسَ هَـذَا العُصْـفُورُ مِنْقَـارَه، قَـالَ: فَلَـمْ يَفْجَـأْ مُوسَـى إِذْ عَمَـدَ الخَضِـرُ إِلَـى قَـدُومٍ فَخَـرَقَ السَّـفِينَةَ، فَقَـالَ لَـهُ مُوسَـى قـوم حملونـا بِغَيْـرِ نَـوْلٍ عَمَـدْتَ إِلَـى سَـفِينَتِهِمْ فَخَرَقْتَهَـا لِتُغْـرِقَ أَهْلَهَـا **لَقَـدْ جِئْـت**، فَانْطَلَقَـا إِذَا هُمَـا بِغُـلاَمٍ يَلْعَـبُ مَـعَ الغِلْمَـانِ، فَأَخَـذَ الخَضِـرُ بِرَأْسِـهِ فَقَطَعَـهُ، قَـالَ لَـهُ مُوسَـى: ﴿**أَقَتَلْـتَ نَفْسًـا زَكِيَّـةً بِغَيْـرِ نَفْـسٍ، لَقَـدْ جِئْـتَ شَـيْئًا نُكْـرًا قَـالَ أَلَـمْ أَقُـلْ لَـكَ إِنَّـكَ لَـنْ تَسْـتَطِيعَ مَعِـي صَـبْرًا** إِلَـى قَوْلِـهِ **فَـأَبَوْا أَنْ يُضَـيِّفُوهُمَا فَوَجَـدَا فِيهَـا جِـدَارًا يُرِيـدُ أَنْ يَـنْقَضَّ**﴾ فَقَـالَ بِيَـدِهِ: هَكَـذَا – فَأَقَامَـهُ، فَقَـالَ لَـهُ مُوسَـى: إِنَّـا دَخَلْنَـا هَـذِهِ القَرْيَـةَ فَلَـمْ يُضَـيِّفُونَا وَلَـمْ يُطْعِمُونَـا ﴿**لَـوْ شِـئْتَ لاَتَّخَـذْتَ عَلَيْـهِ أَجْـرًا، قَـالَ: هَـذَا فِـرَاقُ بَيْنِـي وَبَيْنِـك، سَـأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيـلِ مَـا لَـمْ تَسْـتَطِعْ عَلَيْـهِ صَـبْرًا**﴾ ، فَقَـالَ رَسُـولُ اللَّـهِ صَـلَّى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ: وَدِدْنَـا أَنَّ مُوسَـى صَـبَرَ حَتَّـى يُقَـصَّ عَلَيْنَـا مِـنْ أَمْرِهِمَـا " قَـالَ: وَكَـانَ ابْـنُ عَبَّـاسٍ يَقْـرَأُ: ﴿**وَكَـانَ أَمَـامَهُمْ مَلِـكٌ يَأْخُـذُ كُلَّ سَفِينَةٍ صَالِحَةٍ غَصْبًا، وَأَمَّا الغُلاَمُ فَكَانَ كَافِرًا**﴾)) [1] .

" قـال علماؤنـا : حـرف السـفينة طرفهـا وحـرف كـل شـيء طرفـه ومنـه حـرف الجبـل ، وهـو أعـلاه المحـدد ، والعلـم هنـا بمعنـى المعلـوم ، كمـا قـال ﴿ **وَلَا يُحِيطُـونَ بِشَـيْءٍ مِـنْ عِلْمِـهِ** ﴾ أي مـن معلوماتـه ، وهـذا مـن الخضـر تمثيـل ؛أي معلومـاتي ومعلوماتـك لا أثـر لهـا فـي علـم الله كمـا أن مـا أخـذ هـذا العصـفور مـن هـذا البحـر لا أثـر لـه بالنسبة إلـى مـاء البحـر ،وإنمـا مثـل لـه ذلـك بـالبحر ؛لأنـه أكثـر مـا يشـاهده ممـا بـين أيـدينا ، وإطـلاق لفـظ الـنقص هنـا تجـوز قصـد بـه التمثيـل والتفهـيم ؛ إذ لا نقـص فـي علـم الله ولا نهايـة لمعلوماتـه ، وقـد أوضـح هـذا المعنـى البخـاري فقـال :والله مـا علمـي وعلمـك فـي جنـب علـم الله إلا كمـا أخـذ هـذا الطيـر بمنقاره من البحر " [2].

وفـي مـا يتعلـق بـالظروف الملابسـة للحظـة خـرق الخضـر للسـفينة فلقـد نقـل القرطبـي مـا نصـه :" لـم يـر الخضـر حـين خـرق السـفينة غيـر موسـى وكـان

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه . كتاب تفسير القرآن ،باب فلما جاوزا قال لفتاه، ر.ق 91/4727،6 .
(2) تفسير القرطبي . 11/ 18-19.

عبـدا لا تـراه إلا عـين مـن أراد الله لــه أن يـراه ، ولـو رآه القـوم لمنعـوه مـن خـرق السـفينة وقيـل : خـرج أهـل السـفينة إلـى جزيـرة وتخلـف الخضـر فخـرق السـفينة وقـال ابـن عبـاس : لمـا خـرق الخضـر السـفينة تنحـى موسـى ناحيـة وقـال فـي نفسـه : مـا كنـت أصـنع بمصـاحبة هـذا الرجـل ! كنـت فـي بنـي إسـرائيل أتلـوا كتـاب الله علـيهم غـدوة وعشـية فيطيعـوني ! قـال لـه الخضـر : يـا موسـى أتريـد أن أخبـرك بمـا حـدثت به نفسك ؟ قال : نعم . قال: كذا وكذا قال : صدقت "[1].

قال تعالى :﴿ **أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا** ﴾[2]

" قـرأ حمـزة والكسـائي ﴿**ليَغـرَق**﴾ بفـتح اليـاء والـراء أهلهـا رفـع جعـلا الفعـل لهـم كأنــه قـال: أخرقـت السـفينة لترسـو فـي البحـر فيغـرق فيـه أهلهـا ، وقـرأ البـاقون ﴿**لتغـرقَ**﴾ بالتـاء أهلهـا نصـبا وحجـتهم قولـه تعـالى ﴿**أخرقتهـا**﴾ فجعلـوا الفعـل الثـاني مثل الأول ويقوي هذا قوله: ﴿**لقد جئت شيئا إمرا**﴾ "[3].

قـال القرطبـي : " فـاللام علـى قـراءة الجماعـة فـي ﴿ **لِتُغْـرِقَ** ﴾ لام المـآل مثـل ﴿ **لِيَكُـونَ لَهُـمْ عَـدُوًّا وَحَزَنًـا** ﴾ وعلـى قـراءة حمـزة لام كـي ولـم يقـل لتغرقنـي ؛ لأن الـذي غلـب عليـه فـي الحـال فـرط الشـفقة علـيهم، ومراعـاة حقهـم و﴿ **إِمْـرًا** ﴾ معنـاه : عجبـا قالـه القتبـي ،وقيـل : منكـرا قالـه مجاهـد ، وقـال أبـو عبيـدة:الإمر الداهية العظيمة "[4].

مـن الآيـات يتبـين أن موسـى لـم يقـف موقـف الصـامت وإنمـا غلبـت عليـه طبيعتــه البشــرية وشخصــيته كنبــي ، فصــرح باســتنكاره عــن تصــرفات الخضــر وكيـف أن الخضـر لـم يكثـر الكـلام أو يلـزم نفسـه ببيـان سـر تصـرفه وإنمـا اكتفـى بذكر العهد القائم بينهما .

---

(1) تفسير القرطبي . 11/ 18-19.
(2) سورة الكهف ، من الآية : 70.
(3) حجة القراءات . عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة أبو زرعة تح:سعيد الأفغاني ،ط2،(مؤسسة الرسالة، بيروت : لبنان ،1402) ،423/1 .
(4) تفسير القرطبي .11 / 19.

قال تعالى:﴿ **قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا** ﴾[1]رد فصيح لم يتضمن علة تصرفه ، وإنما تذكير وإشارة إلى عهد وشرط تحقق الرفقة بينهما ، ذلك العهد الذي صرحت به الآيات حكاية على لسان الخضر قال: ﴿ **قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا** ﴾ [2] وكيف أنه أعلمه بأن لا صبر له على ما سيلاقيه أثناء رحلتهما هذا ما كان من شأن الخضر لما كلمه موسى عليه السلام.

قال تعالى :﴿ **قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا** ﴾ [3]

أي : " لا تعسر علي الأمر واسمح لي فإن ذلك وقع على وجه النسيان فلا تؤاخذني في أول مرة، فجمع بين الإقرار به والعذر منه ، وإنه ما ينبغي لك أيها الخضر الشدة على صاحبك فسمح عنه الخضر" [4].

وفي ما يتعلق بلفظ قوله : ﴿ **بِمَا نَسِيتُ** ﴾ جاء في البحر المحيط: " الظاهر حمل النسيان على وضعه، وقد قال عليه الصلاة والسلام : ((كانت الأولى من موسى نسيانا)) ، والمعنى أنه نسي العهد الذي كان بينهما من عدم سؤاله له حتى يكون هو المخبر له أولا ، وهذا قول الجمهور، وعن أبي بن كعب أنه ما نسي ولكن قوله هذا من معاريض الكلام"[5]، و﴿ **وَلَا تُرْهِقْنِي** ﴾ لا تغشني وتكلفني ﴿ **مِنْ أَمْرِي** ﴾ وهو إتباعك ﴿ **عُسْرًا**﴾ أي : شيئا صعبا ، بل سهل علي في متابعتك بترك المناقشة ، وقرأ أبو جعفر ﴿ **عُسُرًا** ﴾ بضم السين حيث وقع فانطلقا في الكلام حذف تقديره فخرجا من السفينة ولم يقع غرق بأهلها"[6].

---

(1) سورة الكهف ، الآية :71 .
(2) سوره الكهف ، الآية :69 .
(3)سورة الكهف ، الآية : 72 .
(4) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. عبد الرحمن بن ناصر السعدي؛ قدم له : عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل؛ محمد الصالح العثيمين ؛ تح : عبد الرحمن بن معلا اللويحق؛ط1؛(دار الغد الجديد،2005م) ، ص 482.
(5) تفسير البحر المحيط. 7/ 207.
(6)المصدر نفسه . 207/7 .

قولـه تعـالى:﴿ **فَانْطَلَقَـا حَتَّـى إِذَا لَقِيَـا غُلَامًـا فَقَتَلَـهُ قَـالَ أَقَتَلْـتَ نَفْسًـا زَكِيَّـةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا** ﴾[1] .

يسـتأنف الخضـر رحلتـه مـع موسـى لا يـزال يرافقـه ، ومباشـرة تعـرض لهمـا حادثـة أخـرى لـم تكـن فـي الحسبان، أعظـم وأقـوى مـن حادثـة خـرق السـفينة ألا وهي قتل النفس وبغير حق، كما تبدى لموسى نبي بني إسرائيل عليه السلام.

قولـه :﴿ **فَانْطَلَقَـا** ﴾ الفـاء فصـيحة أي : " فقبـل عـذره فخرجـا مـن السـفينة فانطلقـا"[2] وأشـار الـرازي فـي تفسـيره إلـى أن الآيـة لـم تصـرح بكيفيـة اللقـاء ولا إلـى صورة القتل ، ولا إلى الغلام هل كان مسلما أو كافرا " [3].

وقوله :﴿ **غُلَامًا**﴾

لفـظ الغـلام قـد يتنـاول الشـاب البـالغ بـدليل أنـه يقـال: رأي الشـيخ خيـر مـن مشـهد الغـلام، جعـل الشـيخ نقيضـا للغـلام، وذلـك يـدل علـى إن الغـلام هـو الشـاب وأصـله مـن الإغـتلام وهـو شـدة الشـبق وذلـك إنمـا يكـون فـي الشـباب ، وأمـا تناول هذا اللفظ للصبي الصغير فظاهر"[4].

قوله :﴿ **فَقَتَلَهُ**﴾

فـإن قلـت: لـم قيـل: ﴿ **خَرَقَهَـا**﴾ بغيـر فـاء، و﴿ **فَقَتَلَـهُ** ﴾ بالفـاء؟ قلـت : جعـل خرقهـا جـزاء للشـرط، وجعـل قتلـه مـن جملـة الشـرط معطوفـا عليـه والجزاء قـال ﴿ **أَقَتَلْـتَ**﴾ :فـان قلـت: فلـم خولـف بينهمـا؟ قلـت : لأن خـرق السـفينة لـم يتعقب الركوب وقد تعقب القتل لقاء الغلام انتهى"[5].

وقـال ابـن كثيـر: " فانطلقـا حتـى إذا أتيـا أهـل قريـة فـإذا غلمـان يلعبـون خلفهـا فـيهم غـلام لـيس فـي الغلمـان غـلام أظـرف منـه، ولا أثـرى ولا أوضـأ منـه، فأخـذه بيـده وأخـذ حجـرا فضـرب بـه برأسـه حتـى دمغـه فقتلـه[6] ، قيـل : كـان الغـلام يلعـب مـع الغلمـان ففتـل عنقـه، وقيـل: ضـرب برأسـه الحـائط، وقيـل: أضـجعه فذبحـه

---

(1) سوره الكهف ، الآية :73 .
(2) تفسير أبي السعود .3 / 394
(3) ينظر التفسير الكبير . 21 / 131 .
(4) التفسير الكبير . 131/21.
(5) تفسير البحر المحيط . 7/ 208 .
(6) تفسير ابن كثير.4 / 408 .

بالسكين[1]، وقال القرطبي: " وأخذ حجرا فضرب به رأسه حتى دمغه فقتله[2]، وقال أبو العالية : لم يره إلا موسى ولو رأوه لحالوا بينه وبين الغلام قلت : ولا اختلاف بين هذه الأحوال الثلاثة فإنه يحتمل أن يكون دمغه أولا بالحجر، ثم أضجعه فذبحه ثم اقتلع رأسه ؛ والله أعلم بما كان من ذالك ، وحسبك بما جاء في الصحيح[3].

قوله تعالى :﴿ **أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً**﴾ .

" قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو﴿ **زاكية**﴾ بالألف ،وقرأ الباقون ﴿**زكية**﴾ بغير ألف، قال أبو عمرو: الزاكية التي لم تذنب قط ، والزكية التي أذنبت ثم غفر لها ،وإنما قتل الخضر صغيرا لم يبلغ الحنث ،وقال آخرون: ﴿**زاكية**﴾ أي: طاهرة وقال قتادة: نامية وزكية تقية دينة ، وقال الحسن: بريئة ، وقال آخرون منهم الكسائي: هما لغتان مثل عالم وعليم وسامع وسميع إلا أن فعيلا أبلغ في الوصف والمدح من فاعل ويقوي التشديد قوله : ﴿**غلاما زكيا** ﴾"[4]

قوله تعالى :﴿ **بِغَيْرِ نَفْسٍ**﴾.

" ظاهر الآية يدل على أن موسى _عليه السلام_ استبعد أن يقتل النفس إلا لأجل القصاص بالنفس وليس الأمر كذلك ؛ لأنه قد يحل دمه بسبب من الأسباب وجوابه إن السبب الأقوى هو ذاك "[5].

ولقد أورد القرطبي كلاما تكلم فيه عن أمور تتعلق بالغلام كاسم أبويه ولما قتله الخضر قال :" فقال الكلبي : كان بالغا يقطع الطريق بين القريتين وأبوه من عظماء أهل إحدى القريتين وأمه من عظماء القرية الأخرى فأخذه الخضر فصرعه ونزع رأسه عن جسده قال الكلبي :واسم الغلام شمعون ، وقال الضحاك : حيسون وقال وهب : اسم أبيه سلاس واسم أمه رحمى ، وحكي السهيلي أن اسم أبيه كازيرا واسم أمه سهوى"[6].

---

(1) تفسير أبي السعود .3 / 394 .
(2) تفسير القرطبي .11/ 20 .
(3) المصدر نفسه . 11.
(4) حجة القراءات .لابن زنجلة ، بلا قد 424/1.
(5) تفسير الرازي .21 / 132
(6) تفسير القرطبي. 11/ 21 .

وفـي الخبـر :إن هـذا الغـلام كـان يفسـد فـي الأرض ويقسـم لأبويـه إنـه مـا فعـل فيقسـمان علـى قسـمه، ويحميانـه ممـن يطلبـه ،قـالوا وقولـه :﴿ **بِغَيْـرِ نَفْـسٍ**﴾ يقتضـي أنـه لـو كـان عـن قتـل نفـس لـم يكـن بـه بـأس، وهـذا يـدل علـى كبـر الغـلام، وإلا فلـو كـان لـم يحـتلم لـم يجـب قتلـه بـنفس، وإنمـا جـاز قتلـه؛ لأنـه كـان بالغـا عاصـيا، قـال ابـن عبـاس : كـان شـابا يقطـع الطريـق وذهـب ابـن جبيـر إلـى أنـه بلـغ سـن التكليـف لقـراءة أبـي ،وابـن عبـاس : ﴿ **وَأَمَّـا الْغُـلَامُ فَكَـانَ أَبَـوَاهُ مُـؤْمِنَيْنِ** ﴾والكفـر والإيمـان مـن صـفات المكلفـين، ولا يطلـق علـى غيـر المكلـف إلا بحكـم التبعيـة لأبويـه وأبـوا الغـلام كانـا مـؤمنين بـالنص فـلا يصـدق عليـه اسـم الكـافر إلا بالبلوغ فتعين أن يصار إليه"[1].

بعـد أن قـال موسـى رأيـه فـي مـا فعلـه الخضـر مـن قتـل الغـلام البـريء واظهـر اسـتنكاره لفعلـه ذلـك عقـب مباشـرة بـالتعليق والحكـم علـى ذلـك الفعـل ﴿ **لَقَـدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا** ﴾.

قولـه تعـالى : ﴿ **لَقَـدْ جِئْـتَ شَـيْئًا نُكْـرًا** ﴾ أي : فظيعـا منكـرا لا يعـرف فـي الشـرع[2]،قـرأ نـافع وابـن عـامر وأبـو بكـر ﴿**نكُـرا** ﴾ بضـم الكـاف فـي جميـع القـرآن ، وقـرأ إسـماعيل عـن نـافع ﴿**نكْـرا** ﴾ سـاكنة الكـاف ، وبـه قـرأ الآخـرون ، وهمـا لغتـان مثـل الرعـب والرعـب والسـفل والسـفل [3] ، قيـل : معنـاه أنكـر مـن الأول إذ لا يمكـن تداركه كما يمكن تدارك الأول بالسد [4].

اختلـف النـاس أيهمـا أبلـغ ﴿**إِمْـرًا**﴾ أو قولـه :﴿**نكـرا** ﴾ فقـالت فرقـة :هـذا قتـل بـين وهنـاك مترقـب؛ فـ ﴿ **نُكْـرًا** ﴾أبلـغ ، وقالـت فرقـة : هـذا قتـل واحـد وذاك قتـل جماعـة فـ﴿ **إِمْـرًا**﴾ أبلـغ قـال ابـن عطيـة : وعنـدي إنهمـا لمعنيين وقولـه: ﴿ **إِمْـرًا**﴾ أفظـع وأهـول مـن حيـث هـو متوقـع عظـيم، و ﴿ **نُكْـرًا**﴾ بـين فـي الفسـاد ؛ لأن مكروهـه قـد وقـع وهـذا بـين "[5]، وقـال الـرازي : " النكـر أعظـم مـن

---

(1)تفسير القرطبي. 11/ 22.
(2) فتح القدير . 16/ 870 .
(3) حجة القراءات لابن زنجلة ،بلا ، 424/1 ..
(4) تفسير أبي السعود 3 / 394 .
(5) تفسير القرطبي . 11 /22 .

الإمـر فـي القـبح ، وهـذا إشـارة إلـى أن قتـل الغـلام أقـبح مـن خـرق السـفينة ؛ لأن ذلـك مـا كـان إتلافـا للـنفس؛ لأنـه كـان يمكـن أن لا يحصـل الغـرق أمـا ههنـا حصـل الإتلاف قطعا فكان أنكر "[1].

وعلـى هـذا فلقـد تـدرجت الأحـداث مـع موسـى فـي أثنـاء رحلتـه ؛ ليخفـف مـن وقع الهول والمفاجأة عليه فخرق السفينة أهون من قتل النفس البين في المنكر .

ومـا كـان لموسـى أن يصـمت وهـو النبـي العـالم بالشـرع وأحكامـه علـى أمـر جلـل وهـو قتـل نفـس فغلـب علـى نفسـه دور النبـي والمشـرع فـانطلق ليعتـرض وإنمـا بـأدب الأنبيـاء قـال: أقتلـت نفسـا؟ ، وأي نفـس إنهـا نفـس زاكيـة أو زكيـة، زد علـى ذلـك بغيـر نفـس كـل ذلـك أثـر فـي موسـى _عليـه السـلام_ ممـا جعلـه ينسـى شـرط الخضر عليه فلم يتمالك نفسه إلا بعد أن خالف الشرط القائم بينهما .

ويـرِد رد الخضـر : ذلـك المعلـم الربـاني الـذي لا يـأتي فعـلا إلا بتأييـد إلهـي وفقـا لحكمـة عظيمـة تغيـب عنهـا الأذهـان إلا لمـن أراد الله لـه أن يعلمهـا ﴿ **قَـالَ أَلَـمْ أَقُـلْ لَـكَ إِنَّـكَ لَـنْ تَسْـتَطِيعَ مَعِـيَ صَـبْرًا** ﴾ بهـذه الكلمـات السـهلة والتـي أشـبهت رده السـابق رد الخضـر، وإنمـا أجراهـا المـولى _سـبحانه_ علـى لسـان الخضـر لحكمـة تقصر عن حقيقتها العقول .

زيـد "لـك"؛ لزيـادة المكافحـة بالعتـاب علـى رفـض الوصـية وقلـة التثبـت والصـبر لمـا تكـرر منـه الاشـمئزاز والاسـتنكار ولـم يرعـوا بالتـذكير حتـى زاد فـي النكيـر فـي المرة الثانيـة[2] وفـي قولـه : ﴿ **لَـكَ** ﴾ زجـر وإغـلاظ لـيس فـي الأول؛ لأن موقعـه التسـاؤل بأنـه بعـد التقـدم إلـى تـرك السـؤال واسـتعذار موسـى بالنسـيان أفظـع وأفظـع فـي المخالفـة لمـا كـان أخـذ علـى نفسـه مـن الصـبر وانتفـاء العصـيان"[3]، وقيـل : زيـد ذلـك؛ لأنـه نقـض العهـد مـرتين فقـال الخضـر لموسـى عليهمـا السـلام : ﴿ **أَلَـمْ أَقُلْ لَـكَ إِنَّـكَ لَـنْ تَسْتَطِيعَ مَعِـيَ صَـبْرًا** ﴾ فعند ذلك قـال موسـى: ﴿ **إِنْ سَـأَلْتُكَ عَـنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي** ﴾ من صحبه يصحبه "[4].

---

(1) تفسير الرازي .21 / 132 .
(2) تفسير أبي السعود. 3 / 395 .
(3) تفسير البحر المحيط . 7 / 209 .
(4) تفسير اللباب في علوم الكتاب .12 /537 .

ولا يـزال موسـى _عليـه السـلام_ مـع الخضـر، ولكـن بشـرط أخـص مـن السـابق وأدل علـى المعنـى يقـول لـه : إن بادرتـك بالسـؤال فـلا حـق لـي برفقتـك ، ويصـور القـرآن هـذه المقالـة مـن موسـى بأسـلوب يبـرز شـعور النـدم ويحـاكي حقيقـة الواقـع فيقول تعـالى حكايـة عن موسى عليـه السـلام: ﴿ **قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا** * ﴾ مع العلم بشدة حرصـه علـى مصـاحبته، وهذا كـلام نـادم شديد النـدم ثـم قـال :﴿ **قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا** ﴾ والمـراد منـه أنـه يمدحـه بهـذه الطريقـة مـن حيـث احتمالـه مـرتين أولا، وثانيـا مـع قـرب المدة "[1].

وأما قوله: ﴿ **فَلَا تُصَاحِبْنِي**﴾

" الكـل قـرأ ﴿**لا تصـاحبني** ﴾ بـالألف إلا يعقـوب[2] ، وزاد صـاحب اللبـاب فـي علـوم الكتـاب عيسـى[3]، وأبـو عمـرو فـي روايـة ، وأبـي بضـم التـاء مـن فـوق وكسـر الحـاء مـن أصـحب يصـحب ومفعولـه محـذوف تقـديره فـلا تصـحبني نفسك ، وقرأ أبي فلا تصحبني علمك فأظهر المفعول" [4].

قوله :﴿ **مِنْ لَدُنِّي** ﴾

" قـرأ نـافع وأبـو بكـر مـن لـدني عـذرا بإشـمام الـدال وتخفيـف النـون ، وقـرأ البـاقون ﴿**مـن لـدُنِّي عـذرا**﴾ بضـم الـدال وتشـديد النـون الأصـل لـدن بإسـكان النـون فـإذا أضـفتها إلـى نفسـك زدت نونـا ليسـلم سـكون النـون الأولـى تقـول لـدن زيـد فتسـكن النـون ، ثـم تضـيف إلـى نفسـك فتقـول لـدني فتـدغم النـون فـي النـون كمـا تقـول عنـي ومـن خفـف النـون كـره اجتمـاع النـونين فحـذف واحـدة وهـي الثانيـة لأنهـا زائـدة "[5].

ثـم يسـتأنفا السـير وقـد ألـزم موسـى _عليـه السـلام_ نفسـه بشـرط أخـص مـن الأول، لقـد شـرط علـى نفسـه تمـام الرحلـة وانتهائهـا بمجـرد السـؤال عـن أي أمـر يحـدث معهمـا، و يمـران بقريـة ويسـألا أهلهـا الضـيافة والأكـل فيـأبوا ويمتنعـوا كمـا

---

(1) تفسير الرازي .21 / 155 .
(2) تفسير الرازي 132/21 .
(3) تفسير اللباب في علوم الكتاب . 12/ 538 .
(4) المصدر نفسه . ص 539 .
(5) حجة القراءات لابن زنجلة بلـقد ،1/ 424، 425 .

تبين الآية عن أن يضيفوهما ، ويجد الخضر فيها جدارا بالكاد يقوم أقرب إلى السقوط فيقيمه، ويتكلم موسى _عليه السلام_ كيف تقيم لهم جدارا ؟ أما كان من الأنسب والأفيد أن تأخذ عليه أجرا نستعين به على أمرنا .

قوله تعالى :﴿ **فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا** * ﴾ .

جاء في اللباب : " قال ابن عباس :هي أنطاكية، وقال ابن سيرين: هي الأبلة ، وهي أبعد أرض من السماء ، وقيل: برقة، وعن أبي هريرة : بلدة بالأندلس "[1] ، قال القرطبي :" واختلف العلماء في القرية؛ فقيل :هي أبلة؛ قاله قتادة، وكذلك قال محمد بن سيرين، وهي أبخل قرية وأبعدها من السماء ،وقيل: أنطاكية ، وقيل: بجزيرة الأندلس ،وروي ذلك عن أبي هريرة وغيره، ويذكر أنها الجزيرة الخضراء ، وقال فرقة : هي باجروان وهي بناحية أذربيجان، وحكى السهيلي وقال : إنها برقة .الثعلبي : هي قرية من قرى الروم يقال لها : ناصرة وإليها تنسب النصارى، وهذا كله بحسب الخلاف في أي :ناحية من الأرض كانت قصة موسى _عليه السلام _ "[2].

قوله تعالى :﴿ **حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا * قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا** * ﴾ .

قوله تعالى:﴿ **استطعما أهلها فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا** ﴾

" اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا من شدة جوعهما واحتياجهما إلى الطعام ﴿**فَأَبَوْا**﴾ وامتنعوا ﴿**أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا**﴾ ويطعموهما ﴿**فَوَجَدا فِيها جِداراً يُرِيدُ** ﴾أي : يميل ويشرف ﴿**أَنْ يَنْقَضَّ**﴾ أي: يسقط و ينهدم ﴿**فَأَقامَهُ**﴾ الخضر _عليه السّلام_ وعدله وسواه بالعموم أو أسقطه وأحكم بنيانه وبناه جديدا ، ثم لما رأى موسى منه أمرا مستغربا مستبدعا وهو أنهما على جناح السفر ولم يكن بهما شغل وغرض متعلق بتعمير

---

(1) تفسير اللباب في علوم الكتاب . 12/ 540 .
(2) تفسير القرطبي . 11 / 24 .

الجدار وإقامته قالَ على سبيل التعريض﴿ **لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً** ﴾وأخذت جعلا واكتسبت للتقوت والتزود بعد ما أبوا عن الضيافة ." [1].

ولقد ساق الرازي مسائل بخصوص كلمات ومعاني هذه الآية فأشار أولاً إلى الاستطعام كيف لموسى والعبد الصالح أن يطلبا الاستطعام بلا عرض للحاجة، وقد كان شأن موسى عرض الحاجة ثم الاستطعام بعدها جاء في قصة موسى لما كان بقرب ماء مدين قوله : ﴿ **رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ**﴾ وأجاب بأن طلب الاستطعام مشروع في كل الشرائع بل واجب عند الخوف من الضرر الشديد ثم قال: بأن الواجب لو قال : استطعما منهم بدل ﴿**اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا** ﴾ ، ويرد عليه: بأن التكرير قد يكون للتأكيد، والثالث : كيف يغضب موسى لتركهم مندوبا غضبا شديدا، يرد عليه بأنها قد تكون مندوبة أو واجبة تبعا لحال الضيف فلربما يكون قد كاد أن يقارب حد الهلاك فتصير واجبة " [2].

روي أن أهل تلك القرية لما سمعوا نزول هذه الآية استحيوا وجاءوا إلى رسول الله _صلى الله عليه وسلم_ بحمل من الذهب وقالوا : يا رسول الله نشتري بهذا الذهب أن تجعل الباء تاء حتى تصير القراءة : ﴿ **فَأَتَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا** ﴾ ،أي أتوا لأجل أن يضيفوهما، أي : كان إتيانهم لأجل الضيافة، وقالوا : غرضنا منه أن ندفع عنا اللؤم فامتنع النبي_ صلى الله عليه وسلم_ وقال: ((تغير هذه النقطة يوجب دخول الكذب في كلام الله _تعالى_، وذلك يوجب القدح في الإلهية))" [3].

قوله تعالى :﴿ فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ .

قوله: ﴿ **فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ**﴾ جدارا ارتفاعه مائة ذراع"[4] قيل: كان سمكه مائة ذراع "[1] ، وقال وهب بن منبه : كان ذلك الجدار جدارا

---

(1) الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية. نعمة الله بن محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان (ت: 920هـ)ط،1(دار ركابي ، الغورية :مصر ،1419ه)،بلب سورالكهف1،487/18.
(2) ينظر تفسير الرازي . 21 / 133.
(3) تفسير اللباب في علوم الكتلب .12/ 541.
(4) تفسير الجلالين .ص 326 .

طوله في السماء مائة ذراع "[2] وفي بعض الأخبار :إن سمك ذلك الحائط كان ثلاثين ذراعا بذراع ذلك القرن، وطوله على وجه الأرض خمسمائة ذراع وعرضه خمسون ذراعا، فأقامه الخضر _عليه السلام _أي سواه بيده فاستقام"[3]؛ الجدار والجدر بمعنى؛ وفي الخبر حتى يبلغ الماء الجدر، ومكان جدير بني حواليه جدار وأصله الرفع وأجدرت الشجرة طلعت ومنه الجدري"[4].

قوله تعالى :﴿ يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ ﴾ أي : يداني أن يسقط فاستعيرت الإرادة للمشارفة للدلالة على المبالغة في ذلك والانقضاض : الإسراع في السقوط ، وهو انفعال من القض يقال : قضضته فانقض ، ومنه انقضاض الطير والكوكب، لسقوطه بسرعة ، وقيل : هو افعلال من النقض كأحمر من الحمرة ، وقرئ أن ينقض من النقض وان ينقاض من انقاضت السن إذا انشقت طولا "[5] .

قوله تعالى : ﴿ جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يُنْقَضُ﴾

"وقراءة النبي برفع الياء وبالضاد،وقرأ: ﴿يَنْقَاصُ﴾بالصاد غير معجمة وبالألف علي بن أبي طالب وعكرمة وأبو شيخ الهنائي و يحيى بن يعمر ،وفي قراءة عبد الله﴿يُرِيدُ لِيُنْقَضَ﴾ وكذلك روي عن الأعمش ، قال أبو الفتح:معناه: قد قارب أن يُنقض، أو شارف ذلك، وهو عائد إلى معنى يكاد "[6].

قوله:﴿ يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ ﴾ أي : قرب أن يسقط، وهذا مجاز وتوسع وقد فسره في الحديث بقوله : (مائل) فكان فيه دليل على وجود المجاز في القرآن، وهو مذهب الجمهور[7].

فما كاد الخضر أن يجد هذا الجدار حتى أقامه عندئذ قال موسى :﴿ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ .

---

(1) تفسير أبي السعود. 3/ 396.
(2) تفسير القرطبي. 11/ 33
(3) المصدر نفسه . 11 / 27،28 .
(4) تفسير القرطبي .11/ 25 .
(5) تفسير أبي السعود. 3 /396 .
(6) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها. أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: 392هـ)، وزارة الأوقاف-المجلس الأعلى للشئون الإسلامية،1420هـ)،31/2.
(7) تفسير القرطبي . 11/ 25.

قولـه تعـالى :﴿ فَأَقَامَـهُ﴾ قيل : مسحه بيده فأقامه ، وقيل : نقضه وبناه ، وقيل : أقامه بعمود عمده به[1] ، قال صاحب البحر المحيط : "الظاهر أنه لم يهدمه وبناه كما ذهب إليه بعضهم من أنه هدمه وقعد يبنيه ، ووقع هذا في مصحف عبد الله وأيد بقوله : ﴿ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ وقال ابن جبير: مسحه بيده وأقامه فقام ، وقيل : أقامه بعموده عمده به ، وقال مقاتل : سواه بالشيد أي لبسه به وهو الجيار وعن ابن عباس: دفعه بيده فاستقام وهذا أليق بحال الأنبياء "[2].

فقال موسى للخضر : ﴿ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ أي : طعاما نأكله ففي هذا دليل على كرامات الأولياء وكذلك ما وصف من أحوال الخضر عليه السلام في هذا الباب كلها أمور خارقة للعادة هذا إذا تنزلنا على أنه ولي لا نبي "[3].

فلما رأي موسى وعاين لؤم وبخل أهل القرية وشدة احتياجهما للطعام، نطق وتكلم بكلام كان هو فصل الختام لهذه الرفقة الصالحة ﴿ **لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا**﴾ تحريضا له على أخذ الجعل؛ لينتعشا به أو تعريضا بأنه فضول لما في "لو" من النفي كأنه لما رأى الحرمان ومساس الحاجة واشتغاله بما لا يعنيه لم يتمالك الصبر، واتخذ افتعل من تخذ بمعنى اخذ كاتبع من تبع وليس من الأخذ عند البصريين وقرئ﴿ **لتخذت**﴾ أي لأخذت وقرئ بادغام الذال في التاء"[4] ، و "قرأ المكي والبصريان بتخفيف التاء الأولى وكسر الخاء من غير ألف وصل والباقون بألف الوصل وتشديد التاء الأولى وفتح الخاء [5]" .

والسؤال من موسى _عليه السلام_ على جهة العرض لا الاعتراض كما نقل القرطبي:" وفي حديث ابي بن كعب : لو شئت لأوتيت أجرا وهذه صدرت من موسى سؤالا على جهة العرض لا الاعتراض "[6].

(1) **المصدر** نفسه . 3 / 396 .
(2) تفسير البحر المحيط . 211/7 .
(3) تفسير القرطبي . 28/11 .
(4) تفسير أبي السعود . 3 /396 .
(5) البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدُّرة. 195/1.
(6) تفسير القرطبي . 11/ 33 .

قال تعالى: ﴿ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ [1]" و قرأ ابن أبي عبلة ﴿ فِرَاقٌ بَيْنِي ﴾ بالتنوين والجمهور على الإضافة والبين قال ابن عطية :الصلاح الذي يكون بين المصطلحين ونحوهما ، وتكريره ﴿ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ وعدوله عن بيننا لمعنى التأكيد"[2].

والظاهر إن هذا إشارة إلى قوله ﴿ لَوْ شِئْتَ﴾ أي : هذا الإعراض سبب الفراق ﴿ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ على حسب ما سبق من ميعاده انه قال : ﴿ إِنْ سَأَلْتُكَ﴾ وهذه الجملة وإن لم تكن سؤالا فإنها تتضمنه ،إذ المعنى الم تكن تتخذ عليه أجرا لاحتياجنا إليه" [3] .

﴿ هَذَا﴾ أي : هذا الإنكار على ترك الأجر هو المفرق بيننا ، وقيل : كان موسى عليه السلام لما شرط انه إن سأله بعد ذلك سؤالا آخر حصل الفراق بقوله :﴿ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي﴾ فلما ذكر هذا السؤال فارقه ذلك العالم، وقال:﴿ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ أي هذا الفراق الموعود"[4] .

وقال ابن عباس: وكان قول موسى في السفينة والغلام لله ، وكان قوله في الجدار لنفسه لطلب شيء من الدنيا ، فكان سبب الفراق [5]، ولعل الفرق بين شريعة موسى والخضر عليهما السلام أن شريعة الأول يتعلق بها حقان بينان حق لله وحق للعبد ، وأما فيما يتعلق بأمر الخضر فالأمر كله لله لا سواه .

ولم يغفل الخضر عن سابق قوله : ﴿ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ فيقول :﴿ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾ .

قوله تعالى : ﴿ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾

قيل في تفسير هذه الآيات التي وقعت لموسى مع الخضر :" إنها حجة على موسى،لا عجبا له ، وذلك أنه لما أنكر أمر خرق السفينة نودي : يا موسى أين كان تدبيرك هذا وأنت في التابوت مطروحا في اليم ، فلما أنكر أمر

(1) سورة الكهف ،الآية : 77 .
(2) تفسير البحر المحيط .211/7 .
(3) تفسير البحر المحيط211/7 .
(4)**المصدر** نفسه . ص 142.
(5) تفسير القرطبي . 11/ 33.

الغلام قيل له :أين إنكارك هذا من وكزك القبطي وقضائك عليه، فلما أنكر إقامة الجدار نودي :أين هذا من رفعك حجر البئر لبنات شعيب دون أجرا"[1].

قوله :﴿ **سَأُنَبِّئُكَ**﴾ السين للتأكيد ؛ لعدم تراخي التنبئة،أي: سأخبرك[2] ﴿ **بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا** ﴾ التأويل: رجع الشيء إلى مآله، والمراد به ههنا : المآل والعاقبة، إذ هو المنبأ دون التأويل وهو خلاص السفينة من اليد العادية، وخلاص أبوي الغلام من شره مع الفوز بالبدل الأحسن، واستخراج اليتيمين للكنز، وفي جعل صلة الموصول عدم استطاعة موسى عليه الصلاة والسلام للصبر دون أن يقال بتأويل ما فعلت أو بتأويل ما رأيت ونحوهما نوع تعريض به عليه الصلاة والسلام وعتاب"[3].

ثم تأتي نهاية الرحلة مرحلة البيان والوضوح، وقت كشف الغموض الذي لم يعلمه موسى والذي تاقت إليه نفسه واشتاقت .

لقد واكب موسى مع الخضر أحداثا غريبة عجيبة في نظره دلت على قصوره علمه إلا في ما أراد الله وقدر له أن يعلم، وتأكد لموسى عجزه عن إدراك حقائق الأحداث ووقائعها وصدق الله تعالى إذ يقول : ﴿ **وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ**﴾ .

ويفسر الخضر لموسى تلك الأحداث الغريبة التي لم يطق عليها صبرا ولا كان له أن يحتملها لطبيعته البشرية ﴿ **خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ**﴾ ، ولكونه نبيا أحكامه تقوم على الظاهر .

سر أفعال الخضر (الحكمة الإلهية)

قوله تعالى: ﴿ **أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا * وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا * فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا * وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا**

---

(1) المصدر نفسه .
(2) تفسير البحر المحيط .211/7 .
(3) تفسير أبي السعود . 3/ 396 .

كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا * ﴾[1] .

" قرأ الجمهور ﴿**لِمَسَاكِينَ**﴾ بتخفيف السين، جمع مسكين، واختلف في صفتهم فقالت فرقة كانت لقوم تجار، ولكنهم من حيث هم مسافرون على قلة، وفي لجة بحر، وبحال ضعف عن مدافعة غصب جائر، عبر عنهم ب «مساكين» ، إذ هم في حالة يشفق عليهم بسببها ،قال القاضي أبو محمد: وهذا كما تقول لرجل غني إذا وقع في وهدة وخطب مسكين ، وقالت فرقة: كانوا عشرة إخوة: أهل عاهات خمسة منهم: عاملون بالسفينة لا قدرة بهم على العمل، وقرأت فرقة : ﴿**المسّاكين**﴾ بتشديد السين، واختلف في تأويل ذلك فقالت فرقة : أراد ب ﴿**المسّاكين**﴾ ملاحي السفينة وذلك أن المساك هو الذي يمسك رجل المركب وكل الخدمة يصلح لإمساكه، فسمي الجميع مساكين ، وقالت فرقة: أراد ﴿**المسّاكين**﴾ دبغة المسوك، وهي الجلود واحدها مسك ، قال القاضي أبو محمد: والأظهر في ذلك القراءة الأولى وأن معناها أن السفينة لقوم ضعفاء ينبغي أن يشفق لهم، واحتج الناس بهذه الآية في أن المسكين الذي له البلغة من العيش كالسفينة لهؤلاء، وأنه أصلح حالا من الفقير، وقوله : ﴿**وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ** ﴾قال قوم :معناه أمامهم، وقالوا :وراء من الأضداد، وقرأ ابن جبير وابن عباس: ﴿**وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة**﴾ صحيحة ، وقرأ عثمان بن عفان ﴿**وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة**﴾ قال القاضي أبو محمد: وقوله وَرَاءَهُمْ هو عندي على بابه وذلك أن هذه الألفاظ إنما تجيء مراعا بها الزمن وذلك أن الحادث المقدم الوجود هو الإمام، وبين اليد: لما يأتي بعده في الزمن والذي يأتي بعد: هو الوراء وهو ما خلف، وذلك بخلاف ما يظهر ببادي الرأي، وتأمل هذه الألفاظ في مواضعها حيث وردت تجدها تطرد، فهذه الآية معناها: أن هؤلاء وعملهم، وسعيهم، يأتي بعده في الزمن غصب هذا الملك ومن قرأ ﴿**أمامهم**﴾ ، أراد في المكان، أي إنهم كانوا يسيرون إلى بلده، وقوله تعالى في التوراة والإنجيل إنها بين يدي القرآن، مطرد على ما قلنا في الزمن وقوله : ﴿**مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ** ﴾

---

(1) سورة الكهف ،الآية : 78-81 .

مطـرد كمـا قلنـا مراعـاة الـزمن وقـول النبـي_ صـلى الله عليـه وسـلم _((الصـلاة أمامـك)) يريـد فـي المكـان، وإلا فكونهم فـي ذلـك الوقـت كـان أمـام الصـلاة فـي الـزمن وتأمـل هـذه المقالـة فإنهـا مريحـة مـن شـغب هـذه الألفـاظ، ووقـع لقتـادة فـي كتـاب الطبـري ﴿**وَكَـانَ وَرَاءَهُـمْ مَلِـكٌ** ﴾قـال قتـادة: ﴿**أمـامهم**﴾، ألا تـرى أنـه يقـول ﴿**مِـنْ وَرَائِهِـمْ جَهَـنَّمُ**﴾ وهـي بـين أيـديهم. وهـذا القـول غيـر مسـتقيم وهـذه هـي العجمـة التـي كـان الحسـن بـن أبـي الحسـن يضـج منهـا قالـه الزجـاج ويجـوز إن كـان رجـوعهم فـي طـريقهم علـى الغاصـب فكـان وراءهـم حقيقـة، وقيـل: اسـم هـذا الغاصـب هـدد بـن بـدد، وقيل: اسمه الجلندا وهذا كله غير ثابت "[1]

قولـه :﴿ **فَـأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَـا** ﴾ أي : اجعلهـا ذات عيـب "[2] يقـال : عبـت الشـيء فعـاب اذا صـار ذا عيـب فهـو معيـب و عائـب "[3] وقولـه : ﴿ **فَـأَرَدْتُ**﴾ فيـه إسـناد إرادة العيب إليه وفي قولـه:﴿ **فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا**﴾ لما في ذكر العيب ما فيه فلم يسنده إلـى الله، ولمـا فـي ذالـك مـن فعـل الخيـر اسـند إلـى الله تعـالى" [4]، وقـدم أمـر العيـب رغـم إن حقـه التـأخير ؛ لأنـه مسـبب عـن خـوف الغصـب للاعتنـاء بـه ولأن النية فيه التأخير وبهذا نوه في اللباب في علوم الكتاب"[5].

ولـيس يخفـى مـا فـي هـذا الكـلام مـن الأدب مـع الله تعـالى ولـيس يصـدر ذلـك إلا ممن كان يراقب الله تعالى في أفعاله وأقواله على الدوام .

قوله:﴿ **وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا**﴾ .

يقـول :﴿**وَكَـانَ وَرَاءَهُـمْ مَلِـكٌ** ﴾ أي : أمـامهم ، وقـد قـرئ بـه أو خلفهـم وكـان رجـوعهم عليـه لا محالـة واسـمه جلنـدي بـن كركـر ، وقيـل : منولـة بـن جلنـدي الازدي"[6].

(1) تفسير أبي السعود.396/3 .
(2) البحر المحيط .7/ 213
(3) تفسير القرطبي .34/11.
(4) تفسير البحر المحيط .212/7.
(5) تفسير اللباب في علوم الكتاب . 545/12 .
(6) تفسير أبي السعود .397/3 .

فهذه الآية معناها إن هؤلاء وعملهم وسعيهم يأتي بعده في الزمن غصب هذا الملك، ومن قرأ أمامهم أراد في المكان أي : إنهم كانوا يسيرون إلى بلده "[1].

ويبين السر في تصرفه الثاني ألا وهو قتل الغلام يقول الله تعالى :﴿ **وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا * فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا** ﴾ .

على نفس النهج الأولى في بيان سر أفعاله التي لم يرتضها موسى أفصح القرآن الكريم حكاية على لسان الخضر عن سر الفعل الثاني ألا وهو القتل.

قوله تعالى:﴿ **وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا * فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا**﴾ .

يقول تعالى ذكره : " وأما الغلام فإنه كان كافرا وكان أبواه مؤمنين فعلمنا أنه يرهقهما ، يقول : يغشيهما طغيانا وهو الاستكبار على الله وكفرا به " [2] .

عن أبي بن كعب أن رسول الله_ صلى الله عليه وسلم_ قال ((إن الغلام الذي قتله الخضر طبع كافرا، ولو عاش لأرهق أبويه طغيانا و كفرا)) [3] ،والخشية والخوف توجههما العرب إلى معنى الظن، وتوجه هذه الحروف إلى معنى العلم بالشيء الذي يدرك من غير جهة الحس والعيان وكان بعض أهل العربية يقول في معنى قوله: ﴿ **فَخَشِينَا** ﴾ في هذا الموضع : كرهنا ، لأن الله لا يخشى" [4].

---

(1) تفسير المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز . باب سورة الكهف 18 آية 535/79،3 .
(2) تفسير الطبري .85/18.
(3) أخرجه مسلم في صحيحه . باب كل مولود يولد ، رقم 6937 ، 8/ 54 .
(4) تفسير الطبري .18/ 85 .

ولعل سبب قتله لذلك الغلام ما نقله الرازي في تفسيره :لأن بقاء ذلك الغلام حيا كان مفسدة للوالدين في دينهم وفي دنياهم، ولعله علم بالوحي أن المضار الناشئة بسبب حصول تلك المفاسد للأبوين فلهذا أقدم على قتله"[1].

قوله تعالى : **﴿ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾** قيل : هو من كلام الخضر عليه السلام، وهو الذي يشهد له سياق الكلام وهو قول كثير من المفسرين؛ أي خفنا **﴿ أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾** وكان الله قد أباح له الاجتهاد في قتل النفوس على هذه الجهة ، وقيل : هو من كلام الله تعالى وعنه عبر الخضر "[2].

قوله تعالى :**﴿ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ .**

قوله تعالى : ﴿فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا﴾ منه بأن يرزقهما بدله ولدا خيرا **﴿ مِنْهُ﴾** ، وفي التعرض لعنوان الربوبية والإضافة إليهما ما لا يخفى من الدلالة على إرادة وصول الخبر إليهما **﴿ زَكَاةً﴾** : طهارة من الذنوب والخلاق الرديئة **﴿ وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾** أي : رحمة وعطفا ، قيل : ولدت لهما جارية تزوجها نبي فولدت نبيا هدى الله تعالى على يديه أمة من الأمم وقيل : ولدت سبعين نبيا ، وقيل : أبدلهما ابنا مؤمنا مثلهما" [3].

قوله :**﴿ زَكَاةً﴾** ؛ قيل : ذكر الزكاة تنبيها على مقابلة قول موسى _عليه السلام _ **﴿ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾** فقال العالم : أردنا أن يرزق الله هذين الأبوين خيرا بدلا عن ابنهما هذا ولدا يكون خيرا منه بما ذكره من الزكاة ويكون المراد من الزكاة الطهارة وكان قول موسى **﴿ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً﴾** أي : طاهرة لأنها ما وصلت إلى حد البلوغ فكانت زكية طاهرة من المعاصي فقال العالم : إن تلك النفس وإن كانت طاهرة زكية في الحال إلا أنه تعالى

---

(1) التفسير الكبير .136/21.
(2) تفسير القرطبي . 36/11.
(3) تفسير أبي السعود . 3/ 397.

علم منها أنها إذا بلغت أقدمت على الطغيان والكفر فأردنا أن يحصل لهما ولد عظيم ، أي : أعظم زكاة وطهارة منه وهو الذي يعلم الله منه أنه عند البلوغ لا يقدم على شيء من هذه المحظورات "[1].

قوله:﴿ **فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا**﴾ قال ابن جريج :" أن سعيد بن جبير يقول: أبدلا مكان الغلام جارية ، وقال آخرون : أبدلهما ربهما بغلام مسلم ، ذكر من قال ذلك عن ابن جريج ﴿ **فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا** ﴾ قال: وكانت أمه يومئذ حبلى بغلام مسلم"[2] ، قرأ نافع وأبو عمرو ﴿ **فأردنا أن يبدّلهما**﴾ بالتشديد في جميع القرآن ،وقرأ الباقون بالتخفيف وهما لغتان تقول بدل وأبدل مثل نزل وأنزل ، وحجة التشديد قوله: ﴿**وإذا بدّلنا آية** وقال **لا تبديل لكلمات الله**﴾ ولم يقل لا إبدال ، وحجة التخفيف قوله: ﴿**وإن أردتم استبدال زوج** ﴾فهذا قد يكون بمعنى الإبدال كما أن قوله... فلم يستجبه عند ذاك مجيب بمعنى لم يجبه "[3] .

قوله :﴿ **وَأَقْرَبَ رُحْمًا**﴾ .

"وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله ﴿ **خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً**﴾ قال : دينا ﴿ **وَأَقْرَبَ رُحْمًا**﴾ قال : مودة، فأبدلا جارية ولدت نبيا[4]، والظاهر أن قوله :﴿ **وَأَقْرَبَ رُحْمًا**﴾ أي : رحمة والديه وقال ابن جريج : يرحمانه" [5]وقرأ ابن عامر ﴿**رحُما**﴾ بضم الحاء، وقرأ الباقون ﴿**رحْما**﴾ بسكونها، واختلف عن أبي عمرو، وقرأ ابن عباس ﴿**وَأَقْرَبَ رُحْما**﴾"[6].

فظاهر الأمر شر، فليس أشر من قتل نفس بغير حق، ولكن عندما يضاف الأمر لله فإن الموازين تختلف فليس من أحد أحرص على الخلق من الخالق ، ولقد تجلى هذا لما بين علة القتل، وثمرة الرضا بأمر الله، فلقد كفاهما

---

(1) تفسير اللباب في علوم الكتاب .547/12.
(2) تفسير الطبري . 87/18.
(3) حجة القراءات لابن زنجلة .بلب وقرأ ،427/1..
(4) تفسير فتح القدير. 872/16.
(5) تفسير البحر المحيط . 215/7 .
(6) تفسير ابن عطية .سورة الكهف 18 آلآيات3،536/80.

الله شر ابنهما وأبدلهما خيراً منه وهذا شأنه تعالى مع كل من أحسن لنفسه بطاعة الله وأحسن الظن بقضائه .

قوله تعالى ﴿ **وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي** ﴾.

ويستطرد الخضر في بيانه لما أشكل على موسى من أمر إقامة الجدار في قرية أبا أهلها أن يضيفوهما، ولقد فصل المفسرون الكلام على هذين الغلامين وعن نوع كنزهما وحال أبيهما وغير ذلك .

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قول صاحب موسى : وأما الحائط الذي أقمته فإنه كان لغلامين يتيمين في المدينة، وكان تحته كنز لهما "[1]، قال أبي السعود :﴿ **وَأَمَّا الْجِدَارُ**﴾ المعهود ﴿ **فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ**﴾ هي القرية المذكورة فيما سبق ولعل التعبير عنها بالمدينة لإظهار نوع اعتداد بها باعتداد ما فيها من اليتيمين وأبيهما الصالح قيل : اسماهما أصرم وصريم واسم المقتول جيسور"[2]، وفي البحر المحيط في التفسير قيل : اسمهما أصرم و صريم، واسم أبيهما كاشح واسم أمهما دهنا "[3] وأشار صاحب اللباب في علوم الكتاب إلى أن أبيهما كان نبيا"[4].

لقد وصف القرآن الكريم حال الغلامين وصفا دقيقا فقال:﴿ **لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ**﴾ أي : إنهما كانا صغيرين بدليل حديث النبي_ صلى الله عليه وسلم_ ((لا يتم بعد بلوغ)) [5] ، وجاء بلفظ آخر ((لا يتم بعد احتلام و لا صمات يوم إلى الليل))[6].

هذا شطر الإجابة الأولى من السؤال الثالث فالجدار ملك لغلامين يتيمين ثم استأنف الخضر في كلامه :﴿ **وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا** ﴾ فأي كنز قصد

(1) تفسير الطبري . 88/18.
(2) تفسير أبي السعود . 397/3.
(3) تفسير البحر المحيط .215/7.
(4) تفسير اللباب في علوم الكتاب . 12 /548.
(5) تفسير القرطبي . 38/11
(6) أخرجه أبو داود في سننه. باب ما جاء متى ينقطع اليتم ، رق 2875 ،3/ 74.

الخضـر؟ اختلـف النـاس فـي الكنـز فقـال عكرمـة وقتـادة : كـان مـالا جسـيما ، وهـو الظـاهر مـن اسـم الكنـز إذ هـو فـي اللغـة : المـال المجمـوع ، و قـال ابـن عبـاس : كـان علمـا فـي صـحف مدفونـة، وعنـه أيضـا قـال : كـان لوحـا مـن ذهـب مكتوبـا فيـه بسـم الله الـرحمن الـرحيم ،عجبـت لمـن يـؤمن بالقـدر كيـف يحـزن ،عجبـت لمـن يـؤمن بـالرزق كيـف يتعـب ،عجبـت لمـن يـؤمن بـالموت كيـف يفـرح ،عجبـت لمـن يـؤمن بالحسـاب كيف يغفـل، عجبـت لمـن يـؤمن لمـن يعـرف الـدنيا وتقلبهـا بأهلهـا كيـف يطمئن لها،لا اله إلا الله محمد رسول الله"[1].

ومممـا أورده الشـوكاني فـي فـتح القـدير بخصـوص هـذه الآيـة : "عـن أبـي الـدرداء عـن النبـي _صـلى الله عليـه وسـلم _ فـي قولـه : ﴿ **وَكَـانَ تَحْتَـهُ كَنْـزٌ لَهُمَا**﴾ قال : ((ذهب وفضة)) [2] .

علـق سـبب تصـرفه علـى ثلاثـة أمـور ، وهـي كونهمـا يتيمـين ،ولأن الجـدار ملك لهما وهذا بيان لثالث هذه الأمور في قوله تعالى :﴿ **وَكَـانَ أَبُوهُمَـا صَـالِحًا** ﴾.

قولـه :﴿ **وَكَـانَ أَبُوهُمَـا صَـالِحًا**﴾ يدل علـى إن صـلاح الآبـاء يفيد العنـاية بـأحوال الأبنـاء [3] ، ظـاهر اللفـظ والسـابق منـه أنـه والـدهما دنيـة وقيـل : هـو الأب السـابع ؛ قالـه جعفـر بـن محمـد وقيـل العاشـر فحفظـا فيـه "[4]، وقـال ابـن عبـاس : حفظـا بصـلاح أبيهمـا، ومـا ذكـر منهمـا صـلاح "[5] ، ثالـث الأسـباب التـي دعـت الخضـر كمـا تشـير الآيـة إلـى إقامـة الحـائط صـلاح أبيهمـا ولا يخفـى مـا فـي هـذا مـن الدلالـة علـى أن الله تعـالى يحفـظ الصـالح فـي نفسـه وفـي ولـده وان بعـدوا عنـه [6].

---

(1)المرجع نفسه .
(2) المعجم الأوسط. أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ؛ تح : طارق بن عوض الله بن محمد ،عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني ؛ (دار الحرمين،القاهرة :مصر، 1415ه) ،باب من اسمه محمد ، 7/ 108 .
(3) تفسير الرازي .138/21.
(4) تفسير القرطبي .38/11.
(5) تفسير الطبري .91/18.
(6) تفسير البحر المحيط. 216/7.

ويعلق الخضر بأن كل ما فعل لم يكن بإرادته وإنما بإرادة الله وأمره سبحانه وتعالى ، ولقد أشار القرآن إلى أن الخضر حكي في كلامه ما يفيد أن بناء الجدار إنما قام لأمر الله **﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾** وعقب بالإشارة إلى أن كل أفعاله إنما وقعت لأمره .

قوله :**﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾** أي : مالكك ومدبر أمورك ، ففي إضافة الرب إلى ضمير موسى _عليه السلام_ دون ضميرهما تنبيه له _عليه الصلاة والسلام _على تحتم كمال الانقياد والاستسلام لإرادته سبحانه ووجوب الاحتراز عن المناقشة فيما وقع بحسبها من الأمور المذكورة" [1].

أي : يبلغا ويعقلا، وقيل : يدركا شدتهما وقوتهما، وقيل : ثماني عشرة سنة، ويستخرجا حينئذ كنزهما **﴿ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ﴾** أي : نعمة من ربك" [2].

﴿ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ﴾ مصدر في موقع الحال أي : مرحومين منه عز وجل أو مفعول له أو مصدر مؤكد لأراد فإن إرادة الخير رحمة ، وقيل : متعلق بمضمر أي : فعلت ما فعلت من الأمور التي شاهدتها رحمة من ربك ويعضده إضافة الرب إلى ضمير المخاطب دون ضميرهما فيكون قوله عز وجل :**﴿ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ﴾** أي : عن رأي واجتهادي تأكيدا لذلك**﴿ ذَلِكَ﴾** إشارة العواقب المنظومة في سلك البيان وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد درجتها في الفخامة "[3]، يقول : وما فعلت يا موسى جميع الذي رأيتني فعلته عن رأيي ومن تلقاء نفسي، وإنما فعلته عن أمر الله إياي به"[4].

قوله:**﴿ ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾** قرأت فرقة **﴿ تَسْطِعْ﴾** ، وقرأ الجمهور**﴿ تَسْطِعْ ﴾**[5]، وأما في بيان معناها يقول :هذا الذي ذكرت لك من الأسباب التي من أجلها فعلت الأفعال التي استنكرتها مني، تأويل ؛يقول ما

---

(1) تفسير أبي السعود . 3/ 398.
(2) تفسير اللباب في علوم الكتاب . 12 /549.
(3) تفسير أبي السعود . 3/ 398.
(4) تفسير الطبري .91/18.
(5) تفسير القرطبي .39/11.

تئول إليه وترجع الأفعال التي لم تسطع على ترك مسألتك إياي عنها، وإنكارك لها صبرا"[1].

بهذا القول ، وتلك الكلمة أشارت الآيات إلى ختام قصة موسى _ عليه السلام – والخضر بعد أن بينت أن كل عالم فوقه عالم أعلم منه ﴿**وَ فَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ**﴾ وأن الصواب إرجاع الأمور إلى الله تعالى﴿ **وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي**﴾ وما ذلك إلا بيانا لحقيقة جليلة فكل ما يحدث إنما يحصل بأمر الله ووفقا لمراده .

فهذه القصة تؤكد حقيقة أن الله لا يقضي إلا بكل خير، وتحث على ضرورة اليقين بأن الله أعلم بما فيه الخير، كما إنها تجعل العبد يعتقد بأن ثمرة الأعمال الصالحة والطاعات تتجاوزه إلى باقي ذريته فيجتهد في أبواب الطاعات .

الجانب البلاغي

لا تخلوا الآيات الكريمة من اللسمات الفنية والإيقاع الذي يأسر القلوب، وتتناغم كلماتها ومفرداتها لتعكس ذلك الجمال فتستشعر النفس روعة من ضبطه وفق هذا النسق البلاغي المعجز ، ولقد أشار محمد علي الصابوني في كتابه إلى ثمانية من أضرب البلاغة (البيان والبديع) في آيات قصة موسى والعبد الصالح.

" **الأول: الطباق بين ﴿ نَسِيتُ.......... أَذْكُرَهُ﴾** في قوله تعالى :﴿ **فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ** ﴾ .

الثاني: اللف والنشر المرتب ﴿ **أَمَّا السَّفِينَةُ** ﴾ في قوله تعالى : ﴿ **أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وراءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً**﴾ ،﴿ **وَأَمَّا الْغُلَامُ**﴾ في قوله تعالى :﴿ **وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا * فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا** ﴾ ، ﴿**وَأَمَّا الْجِدَارِ**﴾ في قوله تعالى : ﴿ **وَأَمَّا الْجِدَارُ**

(1) تفسير الطبري .18 /91.

فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾ فقد جاء بها مرتبة بعد ذكر ركوب السفينة وقتل الغلام وبناء الجدار بطريق اللف والنشر المرتب وهو من المحسنات البديعية.

الثالث: الحذف بالإيجاز ﴿كل سفينة﴾ أي صالحة حذف لدلالة لفظ **﴿أعيبها ﴾** وكذالك حذف لفظ كافر من **﴿ وَأَمَّا الْغُلَامُ ﴾** لدلالة قوله تعالى :**﴿ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ﴾** .

الرابع: التغليب ﴿ أَبَوَاهُ﴾ المراد باللفظ أبوه وأمه .

الخامس: الاستعارة ﴿ يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ﴾ لأن الإرادة من صفات العقلاء و إسنادها إلى الجدار من لطيف الاستعارة وبليغ المجاز .

السادس: التنكير للتفخيم والإضافة للتشريف **﴿ عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا ﴾.**

السابع: السجع مراعاة لرءوس الآيات مثل **﴿ نَصَبًا ، سَرَبًا ،عَجَبًا ﴾**

الثامن: تعليم الأدب ﴿ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا ﴾ وهناك قال :**﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ ﴾** حيث اسند ما ظاهره شر لنفسه واسند الخير إلى الله تعالى وذلك لتعليم العباد الأدب مع الله جلا وعلا " . [1]

---

(1) تفسير صفوة التفاسير . 202،201/2 .

المبحـــــث الثاني
الإعجاز في قصة موسى عليه السلام

اختصت قصة موسى _عليه السلام_ ببيان فضل العلم وما يجب على العالم تجاه ربه وتجاه العبد من ناحية أخرى ، ولم تغفل عن إبراز ثمار العلم متى ما انتفع به الإنسان في حياته ووظفه فيما يرضي ربه .

وجدير بالذكر التنويه بما أشار إليه الله _تعالى_ في محكم كتابه من تلازم العلم والإيمان ؛ لما جعلهما سببا لرفعة العبد عند ربه قال تعالى :

﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [1] ، فالعلم مرتبط بالعمل، ولا يعد المؤمن عالماً ما لم يعمل بما علم .

وباستقراء آيات قصة موسى _ عليه السلام _ والعبد الصالح وتتبع أحداثها والتأمل في معاني ودلالات آياتها ومفرداتها يستطيع القارئ المؤمن أن يقف على وجه من أوجه الإعجاز في القصة ألا وهو الإعجاز الغيبي .

---

(1) سورة المجادلة ، من الآية :11 .

ويتأكد إعجاز القصة في كونها تحكي واقعا مغيبا عن موسى _ عليه السلام_ وذلك لكونه يمثل جانب العلم الشرعي الظاهري بخلاف الخضر الذي خصه الله بشيء من العلم اللدني الباطني.

القصة التي يدور محورها بين موسى والعبد الصالح مثالي العلم الظاهري والعلم اللدني ﴿ **آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا** ﴾ سبق الإشارة إلى أن الآيات لم تقم بذكر أحداث الرحلة مع العبد الصالح مباشرة ، وإنما مهدت لذلك لما سيأتي ذكره من المواقف الغريبة والأحداث العجيبة .

فالآيات الكريمة تبين كيف أن الله تعالى قدر أمورا تهيئ موسى _عليه السلام_ ؛ لتقبل غريب ما سيقع حال مرافقته للخضر، وللمؤمن ما يهيئه لقبول غريب تلك الأخبار بتدبره لتلك الآيات وتأملها.

فمن الغريب الذي ليس بشيء مألوف ما جاء فيما يخبر به عن الخضر عن سبب تسميته بالخضر أن سبب تسميته بالخضر " لأنه كان إذا صلى في مكان اخضرّ ما حوله"(1).

جاء في نظم الدرر " فرجعا فوجدا خضراً على طنفسة خضراء – طنفسه : الطنفسة : واحدة الطنافس : وهي البسط التي لها خمل رقيق– على كبد البحر مسجى بثوبه ، قد جعل طرفه تحت رجليه، وطرفه تحت رأسه ، فسلم عليه موسى فكشف عن وجهه وقال : هل بأرضي من سلام ؟ من أنت ؟ قال : أنا موسى! قال : موسى بني إسرائيل ؟ قال : نعم! قال : فما شأنك ؟ قال : جئت لتعلمني ، قال: أما يكفيك أن التوراة بيديك وأن الوحي يأتيك ؟ يا موسى! إن لي علماً لا ينبغي لك أن تعلمه ، وإن لك علماً لا ينبغي لي أن أعلمه – أي لا ينبغي لك أن تعمل بالباطن ولا ينبغي لي أنا أن أقف مع الظاهر "(2).

فالأحاديث صريحة في غرابة الخضر وغرابة حاله مما يجعل الأفعال التي يأتيها مهما كانت غريبة فإنك لا تستنكر عليه هذا بالنسبة لحال شخصه وأما

---

(1) (تفسير الماوردي) النكت والعيون . أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري؛ تح: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم ؛ (لبنان ، بيروت : دار الكتب العلمية) ،3/ 325 .
(2) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور . 4/ 496 .

بالنسبة لأحداث رحلة قصة موسى مع الخضر عليه السلام فإن معنى الإعجاز الغيبي يظهر جليا ، ولقد نبه الخضر عليه السلام موسى إلى أنه لن يستطيع صبرا على ما سيراه ؛ لعدم علمه بحقيقة ما يقع من تصرفات وأفعال ولكونه نبيا لا يطيق صبرا على ما يعتبره مخالفا للشرع .

القرآن الكريم ذكر حضور موسى وملازمته للخضر ومشاهدته لثلاثة تصرفات أتاها الخضر ولم يستطع موسى عليها صبرا بل أنكرها مباشرة .

موقف موسى عليه السلام آنذاك يدل على إن الحكمة من وراء تصرفات الخضر كانت في تلك اللحظة غيبا على موسى فقط .

أول تلك الأفعال التي استنكرها موسى على الخضر هي خرق السفينة ولقد أنكر موسى ذلك ؛ لكونه نبيا الأمر الذي يلزمه بالتصريح بما يتفق ونبوته ولأجل عدم علمه بالسر من ذلك التصرف الذي أقدم عليه الخضر بدليل وصفه حكاية على لسان موسى _عليه السلام_ ﴿ **لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا** ﴾

ثم تتوالى الأحداث فيشهد موسى _ عليه السلام – إقدام الخضر على فعل أكثر غرابة ألا وهو القتل ﴿ **حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ** ﴾ ، ويشنع موسى _عليه السلام _ هذا الفعل وينكره بشدة أكثر قال تعالى : ﴿ لَقَدْ جِئْتَ **شَيْئًا نُكْرًا** ﴾ وحادثة إقامة الجدار .

وجاء في التفسير القرآني للقرآن " ذلك أنه إذا أمكن أن يلتمس لأمر السفينة وجه يحمل عليه ما أحدث العبد الصالح فيها من خرق، وإذا أمكن أن يقال فى قتل الغلام قول فإنه لا يمكن أن يلتمس لأمر هذا الجدار وجه ، ولا أن يقال فيه قول . إذا أخذت الأمور بظاهرها ، إلا أن يكون ذلك على سبيل المغالطة والسفسطة "[(1)].

ثم يقف بنا على معنى لطيف جميل يجعل الحقائق الغيبية الإلهية تبرز شيئا فشيء في نفس العبد المؤمن بداية بموسى _عليه السلام_ ، وانتهاء بالقاري لتلك الآيات ، وذلك عند بيانه لسر تصرفه حيال إقامته للجدار إذا كان صلاح الأب قد امتد إلى ولديه ، فنفعهما وحفظ لهما كنزهما الذي تركه لهما من

---

(1) التفسير القرآني للقرآن . 663/8 .

بعده ، فكيف لا ينفع إيمان الأبوين وصلاحهما، هذا الغلام الذي قتل ؟ وكيف لا ينفع صلاح الأبوين في استنقاذ ولد واحد، على حين ينفع صلاح أب وحده ، فى استنقاذ ولدين ؟

وما يكاد موسى _عليه السلام _ يلتفت إلى هذا ، وإلى غير هذا ممّا ساوره من خطرات حتى يلقاه أستاذه بقوله :﴿ **رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ** . . ﴾ .

إنها رحمة اللّه ، ينزلها حيث يشاء ، ويختصّ بها من يشاء .. حسب ما تقضى به حكمته، ويحكم به علمه فى خلقه .. كما يقول سبحانه

﴿ **نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ** ﴾ [(1)] وكما يقول جلّ وعلا : ﴿**وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ**﴾"[(2)].

الأحداث كلها كانت غيب عن موسى _ عليه السلام _ قبل أن يعللها الخضر ويبين السر من فعله لها ، وهذه القصة تعد شاهدا على وجه من أوجه الإعجاز القرآني ، والذي يتمثل في الإعجاز الغيبي يقول تعالى :﴿ **عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ**﴾ [(3)] .

فهي غيب على موسى _ عليه السلام _ رغم متابعته لكل أحداث الرحلة وغيب على النبي إذ ليس له في أخبار أهل الكتاب وأهل القرون الأولى ، وهي دليل على نبوته عليه الصلاة والسلام .

---

(1) سورة يوسف، من الآية :56 .
(2) التفسير القرآني للقرآن . 665/8.
(3) سورة الجن ،من الآية: 26 ،27.

المبحث الثالث

الأثر العقائدي لقصة موسى عليه السلام والعبد الصالح

الأثر العقائدي لقصة موسى عليه السلام والعبد الصالح

قصة موسى _عليه السلام _ والعبد الصالح قصة غنية بمدلولاتها ومعانيها التي تهم المؤمن في حياته ، والتي تضمن لمن تزود بها سلامة الوصول لبر الأمان في يوم اللقاء قال تعالى :﴿ **لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾** [1].

قررت الآية أن في قصص الرسل وأممهم التي يقصها القرآن عبرة وموعظة ينتفع بهما ذوو العقول، وأن ما يتلوه النبي _صلى اللّه عليه وسلم _من القرآن وما يدعو إليه ليس بدعا أو افتراء ، وإنما هو متطابق مع ما جاء في الكتب السماوية التي سبقت القرآن الكريم والأنبياء الذين نزلت عليهم ، وأن فيه تفصيل كل شيء وفيه الهدى والرحمة لمن طابت سريرته ورغب في الهدى والإيمان"[2].

فالله _عز وجل_ يُعلّم بأن الهدف الأساسي من القصة في القرآن الكريم هو العبرة والموعظة ، ويزكي كتابه بأن ما فيه هو حق وصدق ليس بافتراء ولا كذب مهما كان غرابة الخبر ﴿ **وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾** .

(1) سورة يوسف الآية :111.

(2) التفسير الحديث. محمد عزت دروزة ؛(دار إحياء الكتب العربية، القاهرة :مصر ،1383ق)، 33/4 .

ومما تميزت به سورة الكهف خصوصيتها بقدر معجز من قصة موسى عليه السلام _ مع الخضر دون غيرها من سور القرآن الكريم .

تهذيب النفس وتطويعها أثر من آثار قصة موسى _عليه السلام_، يقول موسى _عليه السلام _قولا يدل على عزمه وثباته وصبره حتى يبلغ مراده ويحقق مقصوده ﴿ **لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا** ﴾ وليس يصدر هذا القول إلا عن صاحب يقين وإيمان راسخ بصدق ما أخبر به .

ثم تأتي الآيات ؛ لتبين لنا كيف امتثل موسى _ عليه السلام _ لأمر ربه وانطلق إلى حيث وجهه ربه ، ويجري الله _تعالى_ مقادير الأمور؛ لينبه إلى أن لكل شيء موعداً وأجلاً ،وأن الأمور تقع وفق مراده تعالى فتأتي البشارة بقرب لحظة الالتقاء بين موسى _عليه السلام_ والخضر ، وهذا شأن الله مع كل من امتثل لأمره وسار وفق مشيئته ولم تحكمه أهوائه ولا نفسه فإن كان الله قد سخر علامة ودلالة لموسى على حين التقائه بالخضر ،فلقد قدَّر لنبيه أن يلتجئ للغار وجعله ملاذا وحرزا من المشركين ، وكيف أن الله تعالى جعل شرط محبته مقرونا بإتباع نبيه فمن أحب أن يحبه الله فليتبع نبيه عندئذ يجد محبة الله في قلبه .

كما إن صريح قول موسى : ﴿**لَا أَبْرَحُ** ﴾ دليل على تصديق ما أوحي به إليه فالعزم على السفر المضني والثبات والامتثال كل هذه المعاني والمبادئ لا تصدر إلا عن قلب عبد ذا يقين بصدق ما هو بصدده، وقوله : ﴿ **ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ**﴾ يشعر بوقوع وحصول ما كان موسى _عليه السلام_ ينتظره وفي هذا دليل على إن ما يخبر به الله _تعالى_ واقع لا محالة كما إن قوله تعالى :﴿ **فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا** ﴾يبرز شدة الحرص على الامتثال والطاعة المطلقة .

يأتي البيان بعد هذه المعاني ؛ ليبين لنا حقيقة لا بد للمؤمن أن يدركها ألا وهي ضرورة العزم والثبات مقرونة بالامتثال والطاعة تثمر ثمرة زيادة اليقين فموسى_ عليه السلام _ انطلق بعزم وثبات وصبر امتثالا لأمر ربه فكافأه ربه بحصول ما وعده به وللمؤمن الجنة وما بشره به ربه .

ولـيس بغريـب تـأدب موسـى _عليـه السـلام _ فـي حضـرة الخضـر ذلـك أن موسـى_ عليـه السـلام_ نبـي وقـرت فـي قلبـه العقيـدة الصـحيحة وظهـرت ثمارهـا فـي أفعالــه وتصــرفاته ، ولـيس مـن أدل علـى اثـر العقيـدة متـى مـا وقـرت فـي القلـب وانعكاسها على الجوارح من مثال سيرة النبي صلى الله عليه وسلم .

ويـرد الخضـر بكـلام لطيـف مـوجز معبـر﴿ **إِنَّـكَ لَـنْ تَسْـتَطِيعَ مَعِـيَ صَـبْرًا** ﴾ ويعقـب بقـول يشـير محدوديـة علـم موسـى وكـون مـا سيطرأ غيـب عليـه :﴿ **وَكَيْـفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا** ﴾ .

وإن كـان العلـم بـين موسـى _عليـه السـلام _والخضـر وكلاهمـا عبـد علمـه ربـه مـا شـاء لـه أن يعلـم علمـا عظيمـا ؛ لكـون كـلا منهمـا يمثـل صـنفا مـن العلـوم لـيس للآخـر أن يدركـه إلا بمـا شـاء الله فكيـف بـالعلم إذا نسـب لله تعـالى ، ولـيس يخفـى ضـرورة الإيمـان بـأن علـم الله لا حـد ولا منتهـى لـه ممـا يفـرض حقيقـة محدوديـة علـم البشـر أمـام علـم الله _عـز وجـل_ ويـدل علـى احتيـاجهم وفقـرهم إليـه فهو_سبحانه_ أدرى بما يخدم مصلحة العباد في الدنيا والآخرة .

ثـم يعقـب موسـى بقـول يبـرز حقيقـة الصـبر، ولا يغفـل عـن ذكـر أن مـا هـو عليـه مـن الصـبر إنمـا هـو بفضـل الله تعـالى:﴿ **سَـتَجِدُنِي إِنْ شَـاءَ اللَّـهُ صَـابِرًا وَلَا أَعْصِـي لَـكَ أَمْـرًا** ﴾وتتـوالى الآيـات فـي تتـابع وفـق نسـق وتسلسـل إلهـي محكـم وهـي تقـص مـا اشـترطه الخضـر علـى موسـى _عليـه السـلام_ قـال تعـالى : ﴿ **فَـلَا تَسْـأَلْنِي عَـنْ شَـيْءٍ حَتَّـى أُحْـدِثَ لَـكَ مِنْـهُ ذِكْـرًا** ﴾ أي: فـلا تسـتعجل لحظـة البيـان، وفـي تعـاليم ديننـا قولـه _صـلى الله عليـه وسـلم_ : ((المسـلمون عنـد شـروطهم)) .[1]

وأمـا فيمـا يخـتص بوقـائع الرحلـة العجيبـة مـن خـرق السـفينة وقتـل الغـلام وإقامـة الجـدار فـإن فيهـا مـن العبـر والعظـات مـا لـيس بخفـي علـى قلـب مـؤمن متأمـل متـدبر، قـد تكـون الأمـور فـي ظاهرهـا تـوحي بظلـم الخضـر واقترافـه لأمـور لا توافـق الشـرع ولا يرتضـيها أولـي الألبـاب ، لكـن المـؤمن الـذي وقـرت فـي قلبـه

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه .تح محمد زهير بن ناصر الناصر، (دار طوق النجاة ،1422هـ)، كتاب الإجارة، باب من انتظر حتى ،رقم 3،92/2273 .

معـــاني الإيمـــان ومبادئـــه يعلـــم أن مـــا يجـــري فـــي الكـــون إنمـــا يقـــع بـــأمر الله وأن العاقبـة خيـر متـى مـا أحسـن الظـن بـالله وعلـى هـذا المعنـى يحـث النبـي_ صـلى الله عليـه وسـلم_ : ((أنـا عنـد ظـن عبـدي بـي)) [1] ، فـي القـرآن الكـريم شـواهد تبـين كيــف أن الله تعــالى يختبــر إيمــان عبــاده ، وفــي قصــة نبــي الله إبــراهيم _عليــه السـلام _ لمـا ألقـي فـي النـار بيـان لثمـرة اليقـين بـالله، وكيـف أن الله _تعـالى_ تداركـه برحمتـه وكـذلك قصـة أمـر الله تعـالى نبيـه إبـراهيم _عليـه السـلام_ ﴿ **فَلَمَّـا أَسْـلَمَا وَتَلَّـهُ لِلْجَبِـينِ** ﴾ [2] ، وقتهـا أتـى الخـلاص والفـداء مـن عنـد الله، قـال تعـالى : ﴿ **أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ**﴾ [3].

فهـذه الأحـداث التـي أجراهـا الله علـى يـد الخضـر _عليـه السـلام_ إنمـا هـي تربيـة لنبيـه موسـى _ عليـه السـلام_ ، وغـرس وتأصـيل لمعـان أسـمى وبيـان لثمـرة مـن ثمـار العقيـدة الحقيقيـة ألا وهـي اليقـين بـأن الله إنمـا يقضـي بكـل خيـر للعبـد المؤمن، يقول تعالى :﴿ **يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ** ﴾ [4].

ولا يجـب أن يغفـل المـرء عـن ذكـر ربـه وحقيقـة أنـه تعـالى علمنـا مـن العلـوم ما يوفقنا لأنْ نعبده ونقيم أمر دينه بما يحب ويرضـي قال تعالى :

﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾ [5].

أهـم الثمـار التـي يجـب للمـرء أن يجتنيهـا وأن يحظـى بهـا هـي ثمـرة اليقـين بـالله ولا سـبيل لِأَنْ يحظـى بهـا المـرء إلا بتحقيـق معنـى العبوديـة، ولا يكـون الإنسـان بحـق عبـدا لله عـز وجـل إلا حـين يمتلـئ قلبـه يقينـا بـأن أمـر الله واقـع لا محالة وأن الأمر بيده سبحانه وتعالى .

---

(1) المرجع نفسه. رقم 7066، 6 / 2725 .
(2) سورة الصافات ، الآية : 103 .
(3) سورة الصافات ، الآية : 104، 105 .
(4) سورة البقرة، الآية : 185.
(5) سورة الذاريات ، الآية : 56 .

الفصل الرابع: قصة ذي القرنين

المبحث الأول _ في رحاب القصة

المبحث الثاني _ الأثر العقائدي في القصة

المبحث الثالث _ الإعجاز في القصة

المبحث الأول: في رحاب القصة

المطلب الأول: العرض القرآني للقصة و سببها

المطلب الثاني: المناسبة بين القصة و المحور العام للسورة

المطلب الثالث: تأملات في سياق القصة

المطلب الرابع : العرض التحليلي

العدل والإنصاف أمران لازمان لاستمرار الحياة بما يرضي الله تعالى ولهما من الأثر ما يحقق السعادة والرضا والقناعة بالإله الأمر الذي لا يغفل عنه عبد من العباد أو حتى مخلوق من المخلوقات .

ولعلمه سبحانه بأن الإيمان والعلم أمران لازمان لتحقيق العدالة والمساواة شاءت إرادته أن يعقب على قصة موسى _عليه السلام_ مع العبد الصالح والتي صورت مكانة العلم وفضل العباد فيما بينهم وفضل الله عليهم بقصة تمثل وتبرز الفائدة المثلى للمؤمن صاحب العلم ، و كيف يجب عليه أن يوظف علمه فيما يرضي الله سبحانه وتعالى ألا وهي قصة ذي القرنين .

فبالعدل ومراقبة الله والاعتناء بالعبادة ترتقي الأمم وتسموا النفوس وتزكوا لربها فتتلاشى الأحقاد وتزول الضغائن، وقصص التاريخ فيها لمن أراد الاستزادة من الفائدة والبيان ما يشفي القلب .

كما أن القصة جاءت في محل الإجابة عن ثالث تساؤلات مشركي قريش تلك التي لقنهما إياها أحبار يهود المدينة ؛ نعم لقد جاءت في محل البيان ومحل إقامة البرهان والدعوى على صدق محمد فيما يخبر عن ربه .

ومن صريح الآيات فإن الشارع الحكيم ابتدأ ذكر القصة بلا طول تقديم وتمهيد فكأن قصة موسى عليه السلام والخضر جاءت كمقدمة ، فلا عمل ناجح بلا يقين قائم على علم وإيمان بصحة ما تفعل .

استهل بقوله تعالى :﴿ **قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا**﴾ [1] حيث كان أول ما صرح به نسبة الحقيقة للعالم القدير الذي لا يخفى عليه شيء، ثم أتى بقوله تعالى:﴿ **إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا**﴾ [2] فنسب التمكين الذي لولاه ما كان ليقدر ذي القرنين على شيء إلى البارئ سبحانه وتعالى ، وفصل التمكين بقوله:﴿ **وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا** ﴾ .

([1])سورة الكهف ، **من** الآية : 84 .

([2]) سورة الكهف ، **من** الآية : 84 .

وأمـا فيمـا يتعلـق بالشـكل العـام للقصـة فلقـد أتـت تحكـي وتبـرز ثـلاث رحـلات قـام بهـا ذو القـرنين ، وفـي كـل رحلـة تستشـعر ذلـك القائـد الحكـيم الـذي يراقب ربه في كل خطواته فلا يظلم ولا ينسب لنفسه فضلا .

كمـا أن المـولى _ عـز وجـل _ أتـى فـي سـياق الآيـات علـى ذكـر أمـرٍ جلـلٍ وخطـبٍ عظـيمٍ ألا وهـو خـروج يـأجوج ومـأجوج **﴿ إِنَّ يَـأْجُوجَ وَمَـأْجُوجَ مُفْسِـدُونَ فِـي الْأَرْضِ ﴾** [1] والتـي تعـد مـن علامـات قيـام السـاعة فناسـب أنْ يبـين الشـارع شـيئا مـن أمـور قيـام السـاعة والأهـوال والصـعاب التـي قلمـا ينجـو منهـا إلا منْ رَحِم الله تعالى.

أولا _ العرض القرآني لقصة ذي القرنين

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا * إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا * فَأَتْبَعَ سَبَبًا * حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا * قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا * وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا * ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا * حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا * كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا * ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا * حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا * قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا * قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا * آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا * فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا * قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا * ﴾ [2].

ثانيا _ سبب النزول

---

(1) سورة الكهف ، من الآية : 94 .
(2) سورة الكهف ، الآيات : 83-98 .

سبق الإشارة إلى سبب نزول هذه الآيات ، وهو كونها نزلت إجابة عن تساؤلات المشركين وتسلية وتثبيتا لقلب النبي صلى الله عليه وسلم .

المطلب الثاني _ المناسبة بين القصة والمحور العام للسورة

الآيات تتضمن كلاما متسلسلا منضبطا بكيفية تبرز بحق عظمة منزل هذا الكتاب الله _عز وجل_ ، وأما فيما يتعلق بوجه المناسبة فالأمر جلي واضح سبق بيانه .

لما كانت القصة مثالا للعدالة ومراقبة لله تعالى ، ولما كانت سورة الكهف تعالج أمور الفتن والابتلاءات ، ناسب أن يأتي في سياق آياتها قصة ذي القرنين والتي تبرز كيفية أن علاج فتنة السلطان لا يكون إلا لمن أطمأن قلبه لأمر الله وصفت نيته له سبحانه وتعالى .

المطلب الثالث _ تأملات في سياق القصة

قصة ذي القرنين وقع ذكرها في عدد من الآيات ليس بالكثير مقارنة مع قصة أصحاب الكهف ، ولقد استهل مطلع القصة بالإشارة إلى أهم مقومات النجاح في الرحلة ﴿ **إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً** ﴾ ، وما أشبهها بقصة الملك العادل الذي مكن له الله تعالى في زمنه نبي الله سليمان عليه السلام الذي قال راجيا ربه : ﴿ **رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي** ﴾[1]، فقد مكن له الله في الأرض وآتاه من القوة والقدرة والسلطان ما لم يعط أحداً .

فمن خلال السياق العام للقصة كما صورها القرآن الكريم يتبين أنها عرضت على ثلاثة مراحل ، كل مرحلة تصور جانباً من رحلات ذي القرنين ،وتبرز كيف أنه بفضل الله وظف ما آتاه الله ؛ لتحقيق العبادة المطلقة ، والتي تقضي بأن يراقب الإنسان ربه في كل خطواته ، وأن يكون شاكرا له على ما تفضل به من النعم والمنن .

---

(1) سورة ص ، من الآية :35 .

أي إن القصة تتمثل في افتتاحية مهدت لها وتمركزت حول حكاية ثلاث رحلات قام بها ذو القرنين ، لكل رحلة طابعها ودلالتها التي اختصت بها.

كما أن القصة دلت بأحداثها ووقائعها دلالة أكيدة على أهمية العمل وضرورة السعي، ولو استلزم سفرا وتنقلا بعيدا عن الأهل والوطن بحسب الغاية والهدف ، ويتجلى من القصة أعظم هدف يمكن للمرء أن يتحرك ويسعى لتحقيقه ألا وهو تحقيق مراد الله تعالى ونشر دعوته ، وفي سيرة رسول الله _ صلى الله عليه وسلم _ خير مثال وأبلغ شاهد ، ولقد أشاد الله بهذا الصنف من البشر الذين لم يضطرهم على هجرة الأوطان والأهل والمال إلا باب مرضاة الله تعالى ﴿ **وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً**﴾ [1].

المطلب الرابع _ العرض التحليلي

مطلع القصة

يقول تعالى:﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا * إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا *** ﴾.

الرحلة الأولى

قال تعالى :﴿ **فَأَتْبَعَ سَبَبًا * حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا * قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا * وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا** ﴾.

الرحلة الثانية

---

[1] سورة النساء ،الآية : 100 .

قـال تعـالى : ﴿ ثُـمَّ أَتْبَـعَ سَـبَبًا * حَتَّـى إِذَا بَلَـغَ مَطْلِـعَ الشَّـمْسِ وَجَـدَهَا تَطْلُـعُ عَلَـى قَـوْمٍ لَـمْ نَجْعَلْ لَهُـمْ مِـنْ دُونِهَـا سِتْرًا * كَـذَلِكَ وَقَـدْ أَحَطْنَـا بِمَـا لَدَيْـهِ خُبْـرًا ﴾.

الرحلة الثالثة

قـال تعـالى:﴿ ثُـمَّ أَتْبَـعَ سَـبَبًا * حَتَّـى إِذَا بَلَـغَ بَـيْنَ السَّـدَّيْنِ وَجَـدَ مِـنْ دُونِهِمَـا قَوْمًـا لَا يَكَـادُونَ يَفْقَهُـونَ قَـوْلًا * قَـالُوا يَـا ذَا الْقَـرْنَيْنِ إِنَّ يَـأْجُوجَ وَمَـأْجُوجَ مُفْسِـدُونَ فِـي الْأَرْضِ فَهَـلْ نَجْعَـلُ لَـكَ خَرْجًـا عَلَـى أَنْ تَجْعَـلَ بَيْنَنَـا وَبَيْـنَهُمْ سَـدًّا * قَـالَ مَـا مَكَّنِّـي فِيـهِ رَبِّـي خَيْـرٌ فَـأَعِينُونِي بِقُـوَّةٍ أَجْعَـلْ بَيْـنَكُمْ وَبَيْـنَهُمْ رَدْمًـا * آتُـونِي زُبَـرَ الْحَدِيـدِ حَتَّـى إِذَا سَـاوَى بَـيْنَ الصَّـدَفَيْنِ قَـالَ انْفُخُـوا حَتَّـى إِذَا جَعَلَـهُ نَـارًا قَـالَ آتُـونِي أُفْـرِغْ عَلَيْـهِ قِطْرًا * فَمَـا اسْـطَاعُوا أَنْ يَظْهَـرُوهُ وَمَـا اسْـتَطَاعُوا لَـهُ نَقْبًـا * قَـالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّـي حَقًّا *﴾ .

مطلع القصة

قـال الله تعـالى : ﴿ وَيَسْـأَلُونَكَ عَـنْ ذِي الْقَـرْنَيْنِ قُـلْ سَـأَتْلُو عَلَـيْكُمْ مِنْـهُ ذِكْرًا * ﴾ [1]

شـرع المـولى عـز وجـل فـي تلقـين نبيـه جـواب السـؤال الثالـث ، وقـدم لـذلك بقولـه ﴿ **وَيَسْـأَلُونَكَ**﴾ تـذكيرا بـأن مـا سيأتي ذكـره إنمـا هـو جـواب عـن سـؤال مضـى ، وإعـلام بـأن الكـل ينتظـر الإجابـة وإن اختلفـت الغايـات ؛ فـالنبي ينتظـر الـوحي ؛ لينـزل بمـا يصـدقه ويـدعم دعوتـه، وأهـل قـريش يرتجـون أن يفحـم محمـد عــن الجـواب؛ ليـدعوا كذبـه ، ويـدللوا علـى بطـلان دعوتـه ؛ ليهجـره النـاس ،كمـا أن الاسـتفتاح بهـذه الكلمـة **﴿ويسـألونك﴾** جعـل ؛ لتتميـز فاتحتهـا عـن فـواتح بـاقي القصص التي وردت في محل الجواب فتأمل .

قولـه:﴿ **وَيَسْـأَلُونَكَ** ﴾ "صـيغة الاسـتقبال للدلالـة علـى اسـتمرارهم علـى ذلـك إلـى ورود الجـواب" [2]، وفـي هـذا مـا يشـعر بمـدى إلحـاح المشـركين ومـداومتهم بـالرجوع إلـى محمـد _صـلى الله عليـه وسـلم_ طلبـا للجـواب وقـد خالجـت قلـوبهم

([1]) سورة الكهف ، الآية : 82 .

([2]) تفسير أبي السعود . 3 /398 .

مشاعر الفوز والظفر و الإهانة تجاه محمد لما أطال في الجواب عليهم، كما جاء في سبب النزول أنه مكث خمسة عشرة ليلة لا يخبرهم شيئا والضمير في قوله تعالى : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ ﴾ عائد على قريش أو على اليهود" [1] ، وجاء عند الطبري في تفسيره بأنه قيل : إن الذين سألوا رسول الله _صلى الله عليه وسلم_ عن أمر ذي القرنين كانوا قوما من أهل الكتاب ، قال : وأما الخبر بأن الذين سألوه كانوا قوما من أهل الكتاب فحدثنا به أبو كريب قال ثنا زيد بن حباب عن ابن لهيعه قال ثني عبد الرحمن بن زياد بن انعم عن شيخين من تجيب قال أحدهما لصاحبه : انطلق بنا إلى عقبة بن عامر نتحدث قالا : فأتياه فقالا : جئنا لتحدثنا فقال : كنت يوما أخدم النبي _صلى الله عليه وسلم_ فخرجت فلقيني قوم من أهل الكتاب فقالوا: نريد أن نسأل رسول الله_ صلى الله عليه وسلم_ فاستأذن لنا عليه ، فدخلت عليه فأخبرته فقال : ((مالي ومالهم ،مالي علم إلا ما علمني الله)) ، ثم قال: اسكب لي ماء فتوضأ ثم صلى ، قال: فما فرغ حتى عرفت السرور في وجهه ، ثم قال: أدخلهم علي ومن رأيت من أصحابي، فدخلوا فقاموا بين يديه فقال: إن شئتم سألتم فأخبرتكم عما تجدونه في كتابكم مكتوبا ،وإن شئتم أخبرتكم قالوا: بلى فأخبرنا قال : جئتم تسألوني عن ذي القرنين "[2]، والجمهور على الأول ،ولم تثبت صحة هذا الخبر"[3].

يعلق ابن كثير في تفسيره فيقول : " وقد أورد ابن جرير ههنا و الأموي في مغازيه حديثا أسنده وهو ضعيف عن عقبة بن عامر أن نفرا من اليهود جاءوا يسئلون النبي _صلى الله عليه وسلم _ عن ذي القرنين فأخبرهم بما جاءوا له ابتداء فكان فيما أخبرهم به أنه كان شابا من الروم وأنه بني الإسكندرية وأنه علا به ملك إلى السماء وذهب به السدور، أي أقواما وجوههم مثل وجوه الكلاب وفيه طول و نكارة، ورفعه لا يصح وأكثر ما فيه انه من أخبار بني إسرائيل " [4] .

---

[1] تفسير البحر المحيط .218/7 .

[2] أخرجه ا الاصبهاني في كتاب العظمة . باب : قصة ذي القرنين وسعة ملكه ، رقم(9641)،1468/4 .

[3] روح المعاني في تفسير القران العظيم والسبع المثاني . شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي؛ ضبطه:علي عبد الباري عطية ؛(دار الكتب العلمية، بيروت :لبنان) 6 /346 .

[4] تفسير ابن كثير. 4 /418 .

ذي القـرنين شخصـية أسـهب العلمـاء الكـلام عـن شـخص صـاحبها اسـمه وصـفته وسـبب تسـميته ، فكـان ممـا جـاء فيـه كـان شـابا مـن الـروم فجـاء فبنـي مدينـة مصـر الإسـكندرية فلمـا فـرغ جـاء ملـك فعـلا بـه فـي السـماء فقـال: مـا تـرى فقـال : أرى مـدينتي ومـدائن ،ثـم عـلا بـه فقـال: مـا تـرى ، فقـال: أرى مـدينتي ثـم عـلا بـه ، فقـال: مـا تـرى؟ قـال: أرى الأرض قـال: فهـذا ألـيم محـيط بالـدنيا ،إن الله بعثنـي إليـك تعلـم الجاهـل وتثبـت العـالم، فـأتي بـه السـد وهـو جـبلان لينـان ينزلـق عنهمـا كـل شـيء ،ثـم مضـى بـه حتـى جـاوز يـأجوج ومـأجوج ،ثـم مضـى بـه إلـى أمـة أخـرى وجـوههم وجـوه الكـلاب يقـاتلون يـأجوج ومـأجوج ، ثـم مضـى بـه حتـى قطـع بـه أمـة أخـرى يقـاتلون هـؤلاء الـذين وجـوههم وجـوه الكـلاب ، ثـم مضـى حتـى قطـع بـه هـؤلاء إلـى أمـة أخـرى قـد سـماهم " [1]، يقـول صـاحب الـدرر المنثـور فـي التفسـير المـأثور: " ثـم قطعهـم فوجـد أمـة قصـارا يقـاتلون القـوم الـذين وجـوههم وجـوه الكـلاب، ووجـد أمـة مـن الغرانيـق يقـاتلون القـوم القصـار،ثم مضـى فوجـد أمـة مـن الحيـات تلـتقم الحيـة منهـا الصـخرة العظيمـة، ثـم مضـى إلـى البحـر الـدائر بـالأرض فقـالوا: نشهد أن أمره هكذا كما ذكرت، وإنا نجده هكذا في كتابنا "[2].

وأمـا فيمـا يتعلـق بمـن يكـون ذي القـرنين فقـد كثـرت الأقـوال فـي ذلـك" ذو القـرنين هـو الإسـكندر الـذي ملـك الـدنيا ، قيـل : ملكهـا مؤمنـان : ذو القرنيـن، وسليمـان ، وكـافران : نمـرود وبختنصـر، وكـان بعـد نمـرود " [3]، وقـال ابـن اسـحق: اسـمه مرزبـان بـن مردويـه مـن ولـد يافـث بـن نـوح _عليـه الصـلاة والسـلام_ ،وكـان أسـود وقيـل : مصـعب بـن عبـد الله بـن فينـان بـن منصـور بـن عبـد الله بـن لازر بـن عـون بـن زيـد بـن كهـلان ابـن سـبا بـن يعـرب بـن قحطـان، وقـال السـهيلي: قيـل : إن اسـمه مرزبـان بـن مدركـه ذكـره ابـن هشـام وهـو أول التبابعـه ،وقيـل : إنـه أفريـدون بـن النعمـان الـذي قتـل الضـحاك " [4]وورد فـي الـروض الأنـف" قـال ابـن اسـحق :حـدثني مـن يسـوق الأحاديـث عـن الأعـاجم، فيمـا توارثـوا مـن علمـه : أن ذا

---

(1) تفسير الطبري .92/18 .
(2) تفسير الدر المنثور في التفسير **بالمأثور**. 4 /437 .
(3) تفسير الكشاف . 3 /714 .
(4) تفسير أبي السعود .3 /398 .

القـرنين كـان رجـلا مـن أهـل مصر ،واسـمه :مرزبـان بـن مرذبـه اليونـاني، مـن ولـد يونـان بـن يافـث بـن نـوح قـال ابـن هشـام : واسـمه الاسـكندر وهـو الـذي بنـي الإسـكندرية فنسـبت إليـه"[1] وقـال أبـو الريحـان البيرونـي فـي كتابـه المسـمى ب (الآثـار الباقيـة عـن القـرون الخاليـة) ، قيـل: إن ذا القـرنين هـو أبـو كـرب سـمي بـن عبـرين بـن اقـريقيش الحميـري ، وأن ملكـه بلـغ مشـارق الأرض ومغاربهـا ،وهـو الـذي افتخـر بـه أحـد الشـعراء مـن حميـر، ثـم قـال أبـو الريحـان :ويشـبه أن يكـون هـذا القـول أقـرب ؛لأن الإذواء كـانوا مـن الـيمن، وهـم الـذين لا يخلـون أسـاميهم مـن ((ذي كـذا))المنار، وذي نـواس وذي النـون وذي عـين والقـول الأول أظهـر لمـا تقـدم مـن الـدليل ؛ولأنـه روي عـن النبـي _صـلى الله عليـه وسـلم_ : ((سـمي ذا القـرنين ؛ لأنـه طـاف قرنـي الـدنيا شـرقها وغربهـا)) [2]، وورد فـي تفسـير المراغـي" أن أبو الريحان البيروني قال : إنه من حمير واسمه ابوبكر بن افريقش"[3].

حكـي الشـيخ طنطـاوي جـوهري المصـري فـي تفسـيره المسـمى الجـواهر فـي تفسـير القـرآن الكـريم رأيـين : رأي يـرى إن ذي القـرنين هـو اسـكندر الرومـي بـن فيلـيش وهـو تلميـذ اورسـطاطاليس ،وقـد كـان هـذا الملـك قبـل المـيلاد بنحـو 330سـنة ،وهـو مـن أهـل مقـدونيا ،وحـارب الفـرس ،وتـولى ملـك دارا ،وتـزوج ابنتـه وبنـي الإسـكندرية ، ورأي أنـه مـن حميـر ،واسـمه أبـو كـرب بـن افـريقش ، وافـريقش هـذا قـد رحـل بجيوشـه إلـى سـاحل البحـر الأبـيض فمنهـا إلـى تـونس وغيرهـا فسـميت القـارة كلهـا باسـمه ((إفريقيـا)) "[4]، والـدليل علـى ذلـك أنـه لـم يعـرف التـاريخ أن أحـدا مـن الملوك دوخ العالم وسار شرقا وغربا وغلب أكثر المعمورة غيره "[5].

وذكر في تسميته بذي القرنين وجوه عددها صاحب روح المعاني فقال:

([1]) الروض الأنف في تفسير السيرة . 2 /43 .
(2) تفسير اللباب في علوم الكتاب . 554/12 .
(3) تفسير المراغي . أحمد مصطفى المراغي ؛خرج آياته وأحاديثه : باسل عيون الأسود ؛ (دار الكتب العلمية ، بيروت : لبنان) ،16 /10 .
(4) تفسير الجواهر في تفسير القرآن الكريم . ص240 .
(5) تفسير المراغي . ،10/18 .

الأول : أنـه دعـا إلـى طاعـة الله تعـالى فضـرب علـى قرنـه الأيمـن فمـات ثـم بعثـه الله تعـالى فـدعا فضـرب علـى قرنـه الأيسـر فمـات، ثـم بعثـه الله_ تعـالى_ فسـمي ذا القرنين وملك ما ملك، وروي هذا عن علي كرم الله تعالى وجهه .

الثاني : أنه انقرض في وقته قرنان من الناس.

الثالث : أنه كانتا صفحتا رأسه من نحاس ، وروي ذلك عن وهب بن منبه.

الرابـع : أنـه كـان فـي رأسـه قرنـان كـالظلفين، وهـو أ ول مـن لـبس العمامـة ليسـترهما ، وروي ذلك عن عبيد بن يعلى.

الخامس : أنه كان لتاجه قرنان .

السادس : أنه طاف قرني الدنيا أي : شرقها وغربها ، و روي ذلك مرفوعا .

السابع : أنه كان له غديرتان ، وروي ذلك عن قتادة ويونس بن عبيد.

الثـامن : أنـه سـخر لـه الظلمـة والنـور ، فـإذا سـرى يهديـه النـور مـن أمامـه وتمتـد الظلمة من خلفه .

التاسع : التاسع أنه دخل النور والظلمة .

العاشر : أنه رأى في منامه كأنه صعد إلى الشمس وأخذ بقرنيها .

الحـادي عشـر: انـه يجـوز أن يكـون قـد لقـب بـذلك لشـجاعته كأنـه يـنطح اقرأنـه"[(1)]، قـال الألوسـي : " والأقـرب عنـدي لإلـزام أهـل الملـل والنحـل الضـالين الـذين يشـق علـيهم نبـذ كتـب التـاريخ وعـدم الالتفـات إلـى مـا فيهـا بالكليـة مـع كثرتهـا وانتشـارها فـي مشـارق الأرض ومغاربهـا وتبـاين أديـان مؤلفيهـا واخـتلاف أعصـارهم اختيـار أنـه الاسـكندر بـن فليفـوس غالـب دارا "[(2)] واختلـف فيـه فقيـل : كـان عبـدا صـالحا ملكـه الله الأرض، وأعطـاه العلـم والحكمـة وألبسـه الهيبـة وسـخر لـه النـور والظلمـة فـإذا سـري يهديـه النـور مـن أمامـه وتحوطـه الظلمـة مـن ورائـه، وقيـل: نبيـا ، وقيـل : ملكـا مـن الملائكـة "[(3)] ، وقـال وهـب : هـو رومـي ، وهـل هـو نبـي أو عبـد صـالح ؟ لـيس بنبـي قـولان، وقيـل : كـان ملكـا مـن الملائكـة وهـذا غريـب " [(4)]، وذكـر

---

(1) تفسير روح المعاني في تفسير القران العظيم والسبع المثاني. 6 /346 .
(2) المصدر نفسه .350 .
(3) تفسير الكشاف .2 /714 .
(4) تفسير البحر المحيط . 7 /218.

الطبري في كتابه جامع البيان في تفسير القرآن قال : سئل علي_ رضوان الله عليه_ عن ذي القرنين فقال: كان عبدا ناصح الله فناصحه فدعا قومه إلى الله فضربوه على قرنه فمات فأحياه الله ،فدعا قومه إلى الله فضربوه على قرنه فمات فسمي ذا القرنين "[1]، وأخرج عن ابن عباس قال: ذو القرنين نبي،وأخرج ابن حاتم عن الاحوص بن حكيم عن أبيه أن النبي _صلى الله عليه وسلم_ سئل عن ذي القرنين فقال : ((هو ملك مسح الأرض بالإحسان)) [2]، وقال خالد : سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلا يقول : يا ذا القرنين ،فقال :عمر اللهم غفرا أما رضيتم أن تسموا بالأنبياء حتى تسميتم بالملائكة؟[3]، وهذا قول غريب بل يكاد لا يصح، والخبر على فرض صحته ليس نصا في ذلك إذ يحتمل ولو على بعد أن يكون المراد أن هذا الاسم من أسماء الملائكة _عليهم السلام_ فلا تسموا به أنتم وإن تسمى به بعض من قبلكم من الناس "[4]، وأخرج ابن أبي حاتم عن بكر بن مضر ،أن هشان بن عبد الملك سأله عن ذي القرنين : أكان نبيا ؟ فقال:لا، ولكنه إنما أعطي ما أعطي بأربع خصال كان فيه : كان إذا قدر عفا،وإذا وعد وفي وإذا حدث صدق ولا يجمع اليوم لغد"[5].

يتبين مما سبق أن المفسرين خاضوا كثيرا في الكلام عن اسم ذي القرنين وسبب تسميته وشخصيته، و الأسلم لو انتهجوا نهج القرآن فلم يخوضوا في ما لا ثمرة أو فائدة منه، يجيب القرآن عن ذي القرنين وفق أسلوب يخاطب العقول ويحقق الثمرة المقصودة ويخدم أمر الدعوة ، وما كان ليكون ذلك إلا لكلام الله لقصور البشر أمام بلاغته ومحدودية علمهم.

يقول تعالى : ﴿ **قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا** ﴾ [6]هذا شروع في أول قصة ذي القرنين ، وكما مهد للقصص الأولى كذلك هيأ لقصة ذي القرنين قوله تعالى : ﴿ **سَأَتْلُو**﴾ دخلت السين ها هنا ؛لأن المعنى أني سأفعل هذا إن

---

(1) جامع البيان في تفسير القرآن . 93/18.
(2) أخرجه الأصبهاني في العظمة .باب قصة ذي القرنين، رق (947) ،2/ 483 ؛ الدر المنثور في التفسير **بالمأثور**. 4 /435 .
(3)أخرجه الأصبهاني في العظمة .باب قصة ذي القرنين، رق (947) ،2/ 483.
(4) تفسير روح المعاني . 6 / 346 .
(5) تفسير الدر المنثور في التفسير **بالمأثور**.4 /437.
(6) سورة الكهف ، من الاية82 .

وفقنـــي الله عليــه،وأنزل علــي وحيــا ،وأخبرنـــي عــن كيفيــة تلــك الحــال "[1]، والســين للتأكيــد والدلالــة علـــى التحقــق المناســب لمقــام تأييــده _عليــه الصــلاة والســلام_ وتصـــديقه بإنجـــاز وعــده "[2]،أي : ســأذكر لكــم﴿منـــــه﴾أي مــن ذي القــرنين"[3]، والخطاب فـي﴿ عَلَيْكُمْ﴾ للسائلين إما اليهود وإما قريش على الخلاف الذي سبق في السائلين"[4] وقولـه : ﴿ مِنْـهُ ذِكْـرًا﴾ أي :مـن أخبـاره وقصصـه[5] ، أي: نبـأ مذكورا وهو القرآن " [6]، يحتمل أن يريد قرآنا وأن يريد حديثا وخيرا " . [7]

قوله تعالى : ﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴾ .

هـذه الآيــة الكريمــة تنــوه بــدرسٍ فــي غايــة الأهميــة لمــن آمــن وعـرف واجبه الإيماني .

قوله تعالى :﴿ **إِنَّا مَكَّنَّا**﴾

شـروع فـي تـلاوة الـذكر المعهـود حسـبما هـو المعهـود ،التمكـين ههنـا الإقـدار وتمهيـد الأسـباب، يقـال: مكنـه ومكـن لـه ،ومعنـى الأول: جعلـه قـادرا وقويـا ، ومعنـى الثـاني : جعـل لـه قـدرة وقـوة ؛لتلازمهمـا فـي الوجـود وتقاربهمـا فـي المعنـى يسـتعمل كـل منهمـا فـي محـل الآخـر كمـا فـي قولــه تعـالى:﴿ **مَكَّنَّـاهُمْ فِــي الْأَرْضِ مَــا لَــمْ نُمَكِّــنْ لَكُــمْ** ﴾[8] أي: جعلنـاهم قـادرين مـن حيـث القـوى والأسـباب والآلات علـى أنـواع التصـرفات فيهـا مـا لـم نجعلـه لكـم مـن القـوة والسـعة فـي المـال والاسـتظهار بالعـدد والأسـباب[9]، قـال الشـيخ طنطـاوي طنطـاوي جـوهري المصـري فـي كتابـه:مكنا لـه أمـره مـن التصـرف فيهـا كيـف

(1)تفسير اللباب في علوم الكتاب. 555/12
(2) تفسير أبي السعود 3 /401 .
(3) **المصدر** نفسه .
(4) تفسير البحر المحيط . 7 /219 .
(5) تفسير اللباب في علوم الكتاب .12 /556 .
(6) تفسير المراغي .18/ 9 .
(7) تفسير البحر المحيط . 7 / 219 .
(8) سورة الأنعام ،الآية 6
(9) تفسير أبي السعود .401/3 .

يشــاء "[1]، والتمكــين الــذي لــه فــي (الأرض) كونــه ملــك الــدنيا ودانــت لــه الملوك كلها "[2] .

قوله : ﴿ **وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا** ﴾

أي: مـا يحتـاج إليـه فـي الوصـول إلـى أغراضـه ﴿ **سَـبَبًا** ﴾ أي طريقا موصلا إليه ، والسبب ما يتوصل به إلى المقصود من علم أو قدرة أو آلة فأراد بلوغ المغرب ﴿ **فَأَتْبَعَ سَبَبًا**﴾ يوصله إليه حتى بلغ، وكذلك أراد المشرق ﴿ **فَأَتْبَعَ سَبَبًا** ﴾ وأراد بلوغ السدين ﴿ **فَأَتْبَعَ سَبَبًا** ﴾ وأصل السبب الحبل ثم توسع فيه حتى صار يطلق على كل ما يتوصل به إلى المقصود "[3]، ومما جاء في بيان المراد بالسبب ما أورده السيوطي في كتابه الدر المنثور في التفسير المأثور: قوله تعالى

﴿ **إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا**﴾ .

قوله تعالى : ﴿**فَأَتْبَعَ سَبَبًا** ﴾ أخرج ابن عباس _رضي الله عنهما _قال: علماً، وعنه أيضا: المنزل، وعن ابن زيد رضي الله عنه قال: علما من ذلك تعليم الألسنة كان لا يعرف قوما إلا كلمهم بلسانهم " [4]وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن أبي هلال_ رضي الله عنه_ أن معاوية بن أبي سفيان قال لكعب الأحبار: تقول إن ذا القرنين كان يربط خيله بالثنايا ،قال له كعب رضي الله عنه : إن كنت قلت ذاك فإن الله قال:﴿ **وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا** ﴾، وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد _رضي الله عنه_ في قوله : ﴿**فَأَتْبَعَ سَبَبًا** ﴾ قال: منزلا وطرفا من الشرق إلى المغرب"[5] ، قال ابن عباس ومجاهد وسعيد ابن جبير وعكرمة والسدي وقتادة والضحاك وغيرهم : يعني علما ،وقال قتادة أيضا في قوله : ﴿ **وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا**﴾ قال : منازل الأرض وأعلامها " [6].

---

(1) تفسير الجواهر في تفسير القرآن الكريم . 241/10 .
(2) تفسير البحر المحيط . 7 /219 .
(3) تفسير البحر المحيط . 220/7 .
(4) تفسير ابن أبي حاتم .أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي؛ تح: أسعد محمد الطيب ؛ (دار المكتبة العصرية ، ، صيدا : لبنان) **رقم** 13997.
(5) تفسير الدر المنثور في التفسير **بالمأثور**. 4 /445.
(6) تفسير ابن كثير .4 /419 .

قال ابن عباس : من كل شيء علما يتسبب به إلى ما يريد ، وقال الحسن : بلاغا إلى حيث أراد ،وقيل :من كل شيء يحتاج إليه الخلق ، وقيل : من كل شيء يستعين به الملوك من فتح المدائن وقهر الأعداء[1].

الرحلة الأولى

قوله تعالى : ﴿ **فَأَتْبَعَ سَبَبًا * حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا** ﴾ [2]،وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو ﴿**فاتّبع سببا**﴾ بالتشديد ،وحجتهما في ذلك أن المشهور في كلام العرب أن يقال :اتبع فلان أثر فلان ، إذا سلك طريقه وسار بعده ، واتبعت الرجل إذا لحقته ، ومعلوم أن الله أخبر عن مسير ذي القرنين في الأرض التي مكن له فيها ،وقرأ الباقون ﴿**فأتْبع**﴾ بالتخفيف أي: لحق سبباً، تقول اتبعت الرجل إذا سرت من ورائه ، و أتبعت الرجل ألحقته خيرا أو شرا كقوله تعالى : ﴿**فأتبعه شهاب ثاقب** ﴾،قال أبو زيد: رأيت القوم فأتْبعتهم ،بالتخفيف إتباعا إذا سبقوك فأسرعت نحوهم ،و مروا علي فاتّبعتهم اتباعا بالتشديد إذا ذهبت معهم ولم يسبقوك ، قال أبو عبيد: القراءة عندي﴿ **فاتّبع**﴾ بالتشديد ؛ لأنها من المسير إنما هو افتعل وأما الإتباع فإن معناه اللحاق كقوله :﴿**فأتبعوهم مشرقين**﴾ وقال قوم :لغتان أتبع يتبع واتبع يتبع افتعل "[3].

جاء في تفسير الطبري :" أي سلك طريقا أفضى به إلى سفر المغرب ومن قرأ بقطع الهمزة فمعناه اتبع نفسه سببا "[4]، وورد في تفسير أبي السعود: " " ﴿**فأتبع**﴾ بالقطع أي: فأراد بلوغ المغرب ﴿**فأتبع سببا**﴾ يوصله إليه ، ولعل قصد بلوغ المغرب ابتداء لمراعاة الحركة الشمسية وقرئ ﴿**فاتبع**﴾ من الافتعال والفرق أن الأول فيه معنى الإدراك والإسراع دون الثاني [5]".

---

(1) تفسير القرطبي .48/11.
(2) سوره الكهف ، الآية : 83 .
(3) حجة القراءات .لابن زنجلة ،1/ 428 .
(4) تفسير الطبري . 18 / 94.
(5) تفسير أبي السعود.3 /402.

الفاء فصيحة والتقدير فأراد بلوغ المغرب فاتبع ﴿ سَبَبًا ﴾ يوصله إليه ولعله قصد بلوغ المغرب ابتداء؛ لأنه أقرب إليه ، وقيل : لمراعاة الحركة الشمسية ،وليس ذلك لكون المغرب أفضل من جهة المشرق كما زعمه بعض المغاربة[1]، أي : سلك طريقا يوصله إليه[2]**﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ﴾** منتهى الأرض من جهة المغرب بحيث لا يتمكن أحد من مجاوزته ،ووقف كما هو الظاهر على حافة البحر المحيط الغربي الذي يقال له : اوقيانوس وفيه الجزائر المسماة بالخالدات التي هي مبدأ الأطوال على احد الأقوال"[3].

و" قرأ عبد الله وطلحة بن عبيد الله وعمرو بن العاص وابن عمر وعبد الله ابن عمرو ومعاوية والحسن وزيد بن علي وابن عامر وحمزة والكسائي **﴿حامية﴾** بالياء ، أي:و حارة ، وقرأ ابن عباس وباقي السبعة وشيبه وحميد وابن ابي ليلى ويعقوب وأبو حاتم وابن جبير الأنطاكي **﴿ حَمِئَةٍ﴾** بهمزة مفتوحة ، والزهري يلينها يقال: حمئت البئر تحمأ حمأ فهي حمئة ، وحمأتها أبقيت فيها الحمأة وأحمأتها أبقيت فيها الحمأة، ولا تنافي بين الحامية والحمئة إذ تكون العين جامعة للوصفين،وحديث أبي ذر أن رسول الله _ صلى الله عليه وسلم _ نظر إلى الشمس عند غروبها فقال : ((أتدري أين تغرب يا أبا ذر؟ فقلت : لا، فقال : إنها تغرب في عين حامية)) [4] " [5] ، وفي رواية أخرى لأبي ذر قال : كنت كنت رديف رسول الله_ صلى الله عليه وسلم _ على جمل فرأى الشمس حين غابت فقال : ((أتدري يا أبا ذر أين تغرب هذه ؟ قلت : الله ورسوله أعلم ،قال : فإنها تغرب في عين حامية)) [6]، وهي قراءة ابن مسعود وطلحة وابن عمر ، ، واختارها أبو عبيدة قال: لأن عليها جماعة من الصحابة،وأما القراءة الثانية

---

(1) تفسير روح المعاني .352/6 .

(2) تفسير الجوهري ص241 .

(3) تفسير روح المعاني .353/6 .

(4) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال. علاء الدين علي بن حسام الدين المتقي الهندي البرهان فوري ؛تح : بكري حياني وصفوة السقا ؛ط5؛ (مؤسسة الرسالة، 1981م) رقم (15245)، 6 /173.

(5) تفسير البحر المحيط. 7 /220 .

(6) المصدر نفسه .

فهـي مـن الحمـأ وهـي الطـين وهـي قـراءة ابـن عبـاس " [1] ، وقـال عبـد الله بـن عمـرو : نظر النبي _صلى الله عليه وسلم_ إلى الشمس حين غربت فقال :

((فــي نــار الله الحاميــة لــولا مايزعهــا مــن أمــر الله لأهلكــت مــا علــى الأرض))[2] ، قــال الطبــري : والصــواب مــن القــول فــي ذلــك عنــدي أن يقــال : إنهمـا قراءتـان مستفيضـتان مـن قـراءة الأمصـار ولكـل واحـدة منهمـا وجـه صـحيح ومعنـى مفهـوم ، وكـلا وجهـه غيـر مفسـد أحـدهما صـاحبه وذلـك أنـه جـائز أن تكـون الشـمس تغـرب فـي عـين حـارة ذات حمـأة وطـين فيكـون القـاري فـي عـين حاميـة واصـفها بصـفتها التـي هـي لهـا وهـي الحـرارة ، ويكـون القـارئ فـي عـين حمئـة واصــفها بصفتهــا التــي هــي بهــا، وهــي أنهــا ذات حمــاة وطــين وقــد روي بكــلا صيغتيهما اللتين قلت : إنهما من صفتيها [3] .

ونقـل القرطبـي فـي كتابـه الجـامع لأحكـام القـرآن مـا نصـه : " لـيس المـراد أنـه انتهـى إلـى الشـمس مغربـا ومشـرقا حتـى وصـل إلـى جرمهـا ومسـها ؛ لأنهـا تـدور مــع الســماء حــول الأرض مــن غيــر أن تلتصــق بــالأرض ، وهــي أعظــم مــن أن تـدخل فـي عـين مـن عيـون الأرض بـل هـي أكبـر مـن الأرض أضـعافا مضـاعفة بـل المـراد أنـه انتهـى إلـى أخـر العمـارة مـن جهـة المغـرب ومـن جهـة المشـرق فوجـدها في رأي العين تغرب في عين حمئة كما إنا نشاهدها في الأرض الملساء"[4].

قولــه :﴿ **وَوَجَــدَ عِنْــدَهَا قَوْمًــا** ﴾ أي : أمـة مـن الأمـم ذكـروا أنهـا كانـت أمة عظيمـة من بنـي آدم[5]﴿**وَوَجَـدَ عِنْـدَهَا**﴾ عند تلك العين ﴿ **قَوْمًـا** ﴾ قيل كان كــان لباســهم جلــود الوحــوش وطعــامهم مــا لفظــه البحــر وكــانوا كفــارا " [6] ، أي : عنــد العــين أو عنــد نهايــة العــين وهــم أهــل جــابرس ، ويقــال : لهــا بالســريانية جرجيســا يســكنها قــوم مــن نســل ثمــود بقيــتهم الــذين امنــوا بصــالح [7] ، وقــال ابــن

---

(1) تفسير للباب في علوم الكتاب .557/12 .
(2) مسند الإمام أحمد بن حنبل .أحمد بن حنبل ،تح :شعيب الأرنووط و آخرون ؛ط2 ،(مؤسسة الرسالة :1420)رقم6934 ، 11 /526 .
(3) ينظر تفسير الطبري .18 /97 .
(4) تفسير القرطبي 11 /49.
(5) تفسير ابن كثير .422/4.
(6) تفسير أبي السعود .3 /402 .
(7) تفسير القرطبي . 50/11 .

السـائب مـؤمنين وكـافرين، وقـال غيـره : كفـرة لباسـهم جلـود السـباع وطعـامهم مـا أحرقتـه الشـمس مـن الـدواب ومـا لفظتـه العـين مـن الحـوت إذا غربـت ، وقـال وهـب انطلـق يـؤم المغـرب إلـى أن انتهـى إلـى باسـك فوجـد جمعـا لا يحصـيهم إلا الله فضـرب حـولهم ثلاثـة عسـاكر حتـى جمعهـم فـي مكـان واحـد ثـم دخـل علـيهم فـي النـور ودعـاهم إلـى عبـادة الله فمـنهم مـن آمـن ومـنهم مـن صـد عنـه [1] ، قـال : مدينـة لهـا اثنـا عشـر ألـف بـاب لـولا أصـوات أهلهـا لسـمع النـاس دوي الشـمس حـين تجـب وأخـرج ابـن أبـي حـاتم عـن سـعد بـن أبـي صـالح قـال : كـان يقـال : لـولا لغـط أهـل الروميـة سـمع النـاس وجبـة الشـمس حـين تقـع ، وأخـرج ابـن المنـذر عـن سـعيد بـن المسـيب قـال : لـولا أصـوات الصـنافر لسـمع وجبـة الشـمس حيـن تقـع عنـد غروبهـا [2] ، وقولـه : ﴿ قُلْنَـا ﴾ قـال : "إن كـان نبيـا فهـو وحـي ،وإن لـم يكـن نبيـا فهـو إلهـام مـن الله " [3]، فظـاهر قولـه:﴿ قُلْنَـا﴾ أنـه أوحـي الله إليـه علـى لسـان ملـك ملـك ،وقيـل: كلمـه كفاحـا مـن غيـر رسـول كمـا كلـم موسـى _عليـه السـلام_ ، وعلـى هـذين القـولين يكـون نبيـا ويبعـد مـا قالـه المتـأولين : إنـه الهـام وإلقـاء فـي روعـه؛ لأن مثـل هـذا التخييـر لا يكـون إلا بـوحي إذ التكـاليف وإزهـاق النفـوس لا تتحقـق بالإلهـام إلا بـالإعلام "[4] ، قولـه تعـالى : ﴿ إِمَّـا أَنْ تُعَـذِّبَ وَإِمَّـا أَنْ تَتَّخِـذَ فِـيهِمْ حُسْـنًا ﴾ أي : إن الله _تعـالى_ قـد مكنـه مـنهم وحكّمـه فيهم وأظفـره بهـم وخيـره إن شـاء قتـل وسـبى وإن شـاء مـن أو فـدى فعـرف عدلـه وإيمانـه" [5] ، وذكـر الزمخشـري أنهـم كـانوا كفـرة وإن الله تعـالى خيـره بـين تعـذيبهم أي جـزاء كفـرهم أو يـدعوهم للإسـلام فاختـار الـدعوة والاجتهـاد فـي اسـتمالتهم وصـرح أن مـن بقـى علـى الظلـم العظـيم أي : الشـرك فإنـه يعـذب فـي الـدارين أي : بيـن القتـل أو الأسـر[6] ، ، و" هـذا التعـذيب هـو القتـل وإمـا اتخـاذ الحسـنى فـيهم فهـو تـركهم أحيـاء"[7]، قلنـا يـا يـا ذا القـرنين إمـا أن تعـذب يقـول : إمـا أن تقـتلهم إن هـم لـم يـدخلوا فـي الإقـرار

---

(1)تفسير البحر المحيط .7 /221 .
(2) تفسير الدر المنثور ص447
(3) تفسير القرطبي .11 /52 .
(4) تفسير البحر المحيط . 7 /221
(5) تفسير ابن كثير.422/4
(6) ينظر تفسير الكشاف . 2/ 716
(7) تفسير اللباب في علوم الكتاب . 12 /558 .

بتوحيد الله ويذعنوا لك بما تدعوهم إليه من طاعة ربهم وإما أن تتخذ فيهم حسنا يقول : وإما أن تأسرهم فتعلمهم الهدى وتبصرهم .

قوله: ﴿ **أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا * وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا** ﴾

قال: أي ذو القرنين لذلك النبي أو لمن عنده من خواصه بعد ما تلقى أمره تعالى مختار للشق الأخير : ﴿ **أَمَّا مَنْ ظَلَمَ** ﴾ نفسه ولم يقبل دعوتي وأصر على ما كان عليه من الظلم العظيم الذي هو الشرك ﴿ **فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ**﴾ بالقتل ، وعن قتادة أنه كان يطبخ من كفر في القدور ومن آمن أعطاه وكساه ﴿ **ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ** ﴾ في الآخرة ﴿**فيعذبه**﴾ فيها ﴿**عذابا نكرا**﴾ أي : منكرا فظيعا وهو عذاب النار[1] .

قوله تعالى :﴿ **وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا** ﴾ يقول: وأما من صدق الله منهم ووحده وعمل بطاعته فله عند الله الحسنى وهي الجنة جزاء يعني ثوابا على إيمانه وطاعته لربه[2] ، قوله تعالى : ﴿ **وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا**﴾ قال مجاهد : معروفا[3]، أي: نلين له في القول ونعامله باليسر ، وجاء في كتاب اللباب أي : لا نأمره بالصعب الشاق ، ولكن بالسهل الميسر من الزكاة والخراج وغيرهما وتقديره ذا يسر[4].

الرحلة الثانية

قوله تعالى : ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا * حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا * كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴾[5]

قوله : ﴿ **مَطْلِعَ الشَّمْسِ**﴾ يعني " الموضع الذي تطلع عليه الشمس أولاً من معمورة الأرض أي غاية الأرض المعمورة من المشرق"[6] ، جاء في تفسير

(1) تفسير أبي السعود .403/3.
(2) تفسير الطبري . 18 /98 .
(3) تفسير ابن كثير .4 /422
(4) تفسير اللباب في علوم الكتاب .12/ 559
(5) سورة الكهف الآية: 87- 88 .
(6) تفسير روح المعاني . ص357 .

الطبري " ثم سار وسلك ذو القرنين طرقا ومنازل ، عن ابن عباس قوله :﴿ **ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا** ﴾ يعني: منزلا ،عن ابن جريج في قوله : ﴿ **وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا** ﴾ قال تعالى: لم يبنوا فيها بناء قط ولم يبن عليهم فيها بناء قط وكانوا إذا طلعت عليهم الشمس دخلوا أسرابا لهم حتى تزول الشمس أو دخلوا البحر، وذلك أن أرضهم ليس فيها جبل وجاءهم جيش مرة فقال لهم أهلها : لا تطلعن عليكم الشمس وأنتم هنا ، فقالوا : لا نبرح حتى تطلع الشمس ما هذه العظام ؟ ، قالوا:هذه جيف جيش طلعت عليهم الشمس ههنا فماتوا ، قال : فذهبوا هاربين في الأرض"[1].

قال القرطبي: " والمعنى أنه انتهى إلى موضع قوم لم يكون بينهم وبين الشمس أحد من الناس والشمس تطلع وراء ذلك بمسافة بعيدة فهذا معنى قوله:﴿ **وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ**﴾ "[2] ، ومما قيل فيهم: " إنها أمة يقال لها: منسك وهي مقابلة ناسك؛ قاله مقاتل وقال قتادة : يقال لهما الزنج، وقال الكلبي :هم تارس و هاويل ومنسك؛ حفاة عراة عماة عن الحق، يتسافدون مثل الكلاب، ويتهارجون تهارج الحمر، وقيل : هم أهل جابلق ، وهم نسل مؤمني عاد الذين آمنوا بهود ويقال لهم بالسريانية : مرقيسا والذين هم عند المغرب هم أهل جابرس، ولكل واحدة من المدينتين عشرة ألاف باب، بين كل بابين فرسخ ووراء جابلق أمم ؛ وهم تافيل وتارس ، وهم يجاورون يأجوج ومأجوج " [3] ، قوله :

﴿ **عَلَى قَوْمٍ**﴾ قيل : هم الزنج والستر الأبنية ، وعن كعب : أرضهم لا تمسك الأبنية و بها أسراب، فإذا طلعت الشمس دخلوها فإذا ارتفع النهار خرجوا إلى معاشهم وعن بعضهم خرجت حتى جاوزت الصين فسألت عن هؤلاء فقيل:قوم بينك وبينهم مسيرة يوم وليلة ، فبلغتهم فإذا أحدهم يفرش أذنه ويلبس الأخرى، ومعي صاحب يعرف لسانهم ، فقالوا له: جئتنا تنظر كيف تطلع الشمس ، قال : فبينما نحن كذلك إذ سمعنا كهيئة الصلصة فغشي علي ثم أفقت ، وهم يمسحونني بالدهن فلما طلعت الشمس على الماء إذا هي فوق الماء

---

(1) تفسير الطبري .18 /100 .

(2) تفسير القرطبي 11 /53 .

(3) تفسير القرطبي .53/11 . .

كهيئة الزيت فأدخلونا سربا لهم فلما ارتفع النهار خرجوا إلى البحر فجعلوا يصطادون الشمس_السمك_[*] ويطرحونه في الشمس فينضج لهم وقيل : الستر اللباس[1].

قوله تعالى : ﴿ كَذَلِكَ﴾ أي : " كما وصفناه تعظيما لأمره ، وقد أحطنا بما لديه من الجنود والآلات وأسباب الملك [2] ، قال ابن عطية :" فعل معهم كفعله مع الأولين أهل المغرب فأوجز بقوله كذلك ثم أخبر الله تعالى عن إحاطته بجميع ما لدى ذي القرنين وما تصرف من أفعاله و يحتمل أن يكون كذلك استئناف قول فتأمله ، والأول أصوب "[3] ، قوله :﴿ خُبْرًا ﴾ أي : " كنا عالمين بأن الأمر كذلك " [4] ، قال مجاهد والسدي: علما أي نحن مطلعون على جميع أحواله، وأحوال جيشه لا يخفى علينا منها شيء وإن تفرقت أممهم

وتقطعت بهم الأرض فإنه تعالى :﴿ **لا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ**﴾ [5]"[6].

الرحلة الثالثة

قوله تعالى:﴿ **ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا * حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا * قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا * قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا * آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا * فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ***

(*) تفسير أبي السعود 3 /404
(1) تفسير الكشاف 717،716/2.
(2) المصدر نفسه .717 .
(3) تفسير المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. 541/3.
(4) تفسير اللباب في علوم الكتاب .12 / 561 .
(5) سورة آل عمران ، الآية :5 .
(6) تفسير ابن كثير .4 / 423 .

قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴾[1].

ويستأنف ذي القرنين مسيره ورحلته ؛ ليبرز لنا المولى _عز وجل_ صورة جديدة تعكس جانبا من حكمته ومظهرا من مظاهر قدرته العظيمة ﴿ **وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ** ﴾ [2].

ومرة أخرى تشير الآيات إلى ذلك الجانب الإنساني العظيم الذي قلما يتحلى به البشر والذي يتحقق لمن تحلى به النجاح والتوفيق؛ وإنما عنيت أمر الأخذ بالأسباب أي التوكل الأخذ بالأسباب وترك النتائج لمن بيده التوفيق﴿ **إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾ [3].

قوله تعالى : ﴿ **ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا * حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ**﴾ تكلم المفسرون عن السدين عن مكانهما وعن القراءات التي قرئت بها وعن المعاني التي نسبت لكل قراءة .

قوله تعالى : ﴿ **سَبَبًا**﴾ أي : طريقا أو مسيرا موصلا إلى الشمال فإن ﴿ **السَّدَّيْنِ**﴾ هناك، قال وهب:السدان جبلان منيفان في السماء من ورائهما ومن أمامهما البلدان، وهما بمنقطع أرض الترك مما يلي أرمينية وأذربيجان وذكر الهروي إنهما جبلان من وراء بلاد الترك ، وقيل : هما جبلان من جهة الشمال لينان أملسان يزلق عليهما كل شيء، وسمي الجبلان سدين ؛ لأن كل واحد منهما سد فجاج الأرض، وكانت بينهما فجوة كان يدخل منها يأجوج ومأجوج " [4] ، عن قتادة في قوله : ﴿**بين السدين**﴾ قال : هما جبلان[5] ، ففي ففي ما يختص بقراءة هذه الكلمة ﴿ **السَّدَّيْنِ**﴾ "قرأ ابن كثير و أبو عمرو : ﴿**بين السدَّين**﴾ ، و بينهم سدًّا بالفتح و في يس سدا بالرفع قال أبو عمرو :السد

---

(1) سوره الكهف الآية : 89-94 .
(2) سورة فاطر ، الآية : 44 .
(3) سورة القصص ، الآية : 56 .
(4) ينظر تفسير البحر المحيط. 224/7 .
(5) تفسير الطبري. 18 /103.

الشـيء الحـاجز بينـك وبـين الشـيء، والسـد فـي العـين ،و العـرب تقـول : بعينـه سـدة بـالرفع ،و اسـتدل علـى ذلـك بقولـه : **﴿فأغشـيناهم فهـم لا يبصـرون﴾** وأمـا فـي المـراد بالسـدين فيشـير إلـى : " أنهمـا جـبلا أرمينيـة وأذربيجـان"[(1)]، عـن ابـن عبـاس في قوله:﴿ **حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ**﴾ قال الجبلين : أرمينية وأذربيجان"[(2)].

وجـاء فـي تفسـير أبـي السـعود " بـين الجبلـين اللـذين سـدا مـا بينهمـا وهـو منقطـع أرض التـرك ممـا يلـي المشـرق لا جـبلا أرمينيـة وأذربيجـان كمـا تـوهم"[(3)]، ولقـد حكـي الأسـتاذ الكبيـر المرحـوم أحمـد مصـطفى المراغـي عـن سـد ذي القرنـي فكـان ممـا قـال : كانـت الـبلاد التـي فـي شـرقي البحـر الأسـود يسـكنها قـوم مـن الصـقالبة (السـلاف) وكـان هنـاك سـد منيـع بـالقرب مـن مدينـة (بـاب الأبـواب)أو (دربـت) بجبـل قوقـاف وقـد كشـفوه فـي القـرن الحاضـر وهـو غيـر السـد الشـهير الـذي بنـاه ذو القـرنين فـان هـذا وراء جيجـون فـي عمالـة(بلـخ) واسـمه (بـاب الحديـد) بمقربـة مـن مدينـة (ترمـذ) ، وقـد اجتـازه تيمورلنـك بجيشـه ومـر بـه أيضـا(شـاه روخ) وكـان فـي بطانتـه العـالم الألمـاني (سـيلد برجـر) وذكـر السـد فـي كتابـه وكـان ذلـك فـي أوائـل القـرن الخـامس عشـر وكـذلك ذكـره المـؤرخ الاسـباني(كـلا فيجـو) فـي رحلتـه سـنة1403وكـان رسـولا مـن ملـك كسـتيل (قشـتالة) بالأنـدلس إلـى تيمورلنـك وقـال: إن سـد مدينـة(بـاب الحديـد) علـى الطريـق الموصـل بـين سـمرقند والهنـد ، وبـذلك تعلـم إن السـد موجـود فعـلا وأن هـذا معجـزة للقـرآن الكـريم حقـا ، وهـي إحـدى المعجزات التي أيدها التاريخ وعلـم تقويـم البلدان" [(4)] .

قولـه تعـالى:﴿ **مِـنْ دُونِهِمَـا** ﴾ أي : " مـن دون السـدين ، و ﴿ **قومـاً** ﴾ يعنـي مـن البشـر[(5)] ، وأخـرج ابـن المنـذر عـن ابـن جـريج فـي قولـه: ﴿ **قَوْمًـا لَا يَكَـادُونَ يَفْقَهُـونَ قَـوْلًا** ﴾ قـال:الترك [(6)] ، وبهـذا قـال الزمخشـري[(7)]، ومـن صـفة أولئـك القـوم القـوم أنهـم﴿ **لَا يَكَـادُونَ يَفْقَهُـونَ قَـوْلًا** ﴾ ونـوه الطبـري إلـى أنـه " تمـت قراءتـان

---

(1) تفسير القرطبي 11 /55 .
(2) تفسير الدر المنثور في التفسير **بالمأثور** 448/4 .
(3) تفسير أبي السعود.3 /404.
(4) تفسير المراغي .ص12.
(5) تفسير البحر المحيط . 7/ 225 .
(6) تفسير الدر المنثور في التفسير **بالمأثور** 448/4 .
(7) تفسير الكشاف للزمخشري . ص717 .

إحـداهما بفـتح اليـاء والقـاف قـرأ بهـا عامـة قـراء أهـل المدينـة والبصـرة وبعـض أهـل الكوفـة مـن فقـه الرجـل يفقـه فقهـا، والأخـرى تقـوم علـى ضـم اليـاء وكسـر القـاف مـن فقهـت فلانـا كـذا أفقهـه إفقاهـا إذا أفهمتـه، والصـواب أن كلاهمـا قـراءة مستفيضـة لا تـدفع إحـداهما الأخـرى وذلـك إن القـوم الـذين أخبـر الله عـنهم هـذا الخبـر جـائز أن يكونـوا لا يكـادون يفقهـون قـولا لغيـرهم فيكـون صـوابا القـراءة بـذلك وجـائز أن يكونـوا مـع كـونهم كـذلك كـانوا لا يكـادون يفقهـوا غيـرهم لعلـل إمـا بألسـنتهم وإمـا بمـنطقهم فتكون القراءة بذلك أيضا صوابا [1] .

ومـا ذلـك إلا لغرابـة لغـتهم وقلـة مـنطقهم " [2] ، قـال ابـن كثيـر " لاسـتعجام كلامهـم وبعـدهم عـن النـاس" [3] ، ولقـد أشـار صـاحب التفسـير الكبيـر إلـى أن هـؤلاء هـؤلاء القـوم لا يعرفـون إلا لغـتهم ولا يمكـنهم فهـم لسـان ذي القـرنين فـان قيـل كيـف قـال الله عـنهم:﴿ **قَـالُوا يَـا ذَا الْقَـرْنَيْنِ إِنَّ يَـأْجُوجَ وَمَـأْجُوجَ مُفْسِـدُونَ فِـي الْأَرْضِ** ﴾ أجيـب عليـه بـأن فـي كـاد قـولان : الأول أن إثباتـه نفـي ونفيـه إثبـات فقولـه : ﴿ **لَا يَكَـادُونَ يَفْقَهُـونَ قَـوْلًا** ﴾لا يـدل علـى إنهـم لا يفهمـون شـيئا بـل يـدل علـى إنهـم قـد يفهمـون علـى مشـقة وصـعوبة ، والثـاني أن كـاد معنـاه المقاربـة وعلـى هـذا القـول فقولـه :﴿ **لَا يَكَـادُونَ يَفْقَهُـونَ قَـوْلًا**﴾أي : لا يعلمـون ولـيس لهـم قـرب مـن أن يفقهـوا ، وعلـى هـذا القـول فـلا بـد مـن إضـمار ،وهـو أن يقـال: لا يكـادون يفهمونـه إلا بعـد تقريب ومشقة من إشارة ونحوها [4] .

قولـه تعـالى : ﴿ **إِنَّ يَـأْجُوجَ وَمَـأْجُوجَ مُفْسِـدُونَ فِـي الْأَرْضِ فَهَـلْ نَجْعَـلُ لَـكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا** ﴾.

أي: قـال القـوم لـذي القـرنين: إن يـأجوج ومـأجوج مفسـدون بالقتـل _قبيلتـان مـن بنـي آدم فـي خلقهـم تشـويه، مـنهم مفـرط فـي الطـول ومـنهم مفـرط فـي القصـر _قـوم مفسـدون بالقتـل والسـلب والنهـب وسـائر وجـوه الشـر ،قـال المفسـرون: كـانوا مـن أكلـة لحـوم البشـر يخرجـون فـي الربيـع فـلا يتركـون اخضـر إلا أكلـوه ، ولا يابسـا

---

(1) تفسير الطبري .18/ 103 .
(2) تفسير طنطاوي جوهري. 242/10 .
(3) تفسير ابن كثير .4 /424 .
(4) تفسير الرازي .21 /145 .

إلا احتملوه ﴿ **فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا** ﴾ أي : هل نفرض لك جزءا من أموالنا كضريبة وخراج ﴿ **عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا** ﴾ أي : لتجعل سدا يحمينا من شر يأجوج ومأجوج [1] ، قال في تفسير البحر المحيط : هذا استدعاء منهم لقبول ما يبذلونه على جهة الأدب [2] .

فصل الكلام عن هذه الآية صاحب البحر المحيط فأشار إلى ما يوحي بعلية طلبهم هذا من ذي القرنين، وتكلم في من يسمون يأجوج ومأجوج وأسهب في الكلام عنهم ، فأما في خصوص توجههم إلى ذي القرنين وشكواهم إليه فذلك لما ارتجوه من نفعه لهم؛ لكونه ملكا دوخ الملوك وملك الأرض ولأجل أنه بلغهم وهم لم يبلغهم ملك قبله، وذكر أنهم قبيلتان من بني آدم وكثرت الأقوال فيهم ، فقول :يرى أنهم من ولد يافث بن نوح ، وقول يفصل بينهم فيرى إن يأجوج من الترك، ومأجوج من الجيل والديلم ، ونقل قولا للسدي والضحاك : الترك شرذمة منهم خرجت تُغِير فجاء ذو القرنين فضرب السد ، فبقيت في هذا الجانب ، وقال قتادة والسدي : بنى السد على أحد وعشرين قبيلة وبقيت منهم قبيلة واحدة دون السد فهم الترك، وأما بالنسبة للقراءات فجاء في البحر المحيط" وقرأ عاصم والأعمش ويعقوب في رواية بالهمز وفي ﴿ **يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ** ﴾وكذا في الأنبياء ،وفي لغة بني أسد ذكره الفراء قيل : ولا وجه له إلا اللغة الغريبة المحكية عن العجاج أنه كان يهمز العألم و الخأتم ، وقرأ باقي السبعة بألف غير مهموزة وهي لغة كل العرب غير بني أسد وقرأ العجاج و رؤبة ابنه :آجوج بهمزة بدل الياء"[3].

وتصريحهم بأنهم مفسدون دليل على تحقق إفسادهم لا توقعهم له فلم يشكوا إلا لتضررهم من الفساد، وقال سعيد بن عبد العزيز : إفسادهم أكل بني آدم ،وقيل: هو الظلم والقتل ، ووجوه الإفساد المعلوم من البشر ، والأقوال في بيان نوع فسادهم كثيرة .

---

(1) تفسير صفوة التفاسير . 2/ 206.
(2) تفسير البحر المحيط .7/ 226 .
(3) تفسير البحر المحيط 226/7 .

وذكـر يـأجوج ومـأجوج فـي الآيـة الكريمـة لـم يـأت عبثـا فلقـد قـرن وقـت خـروجهم بمجـيء وعـد الله تعـالى فأشـبه العلامـة فكـأن قولـه :**﴿فَـإِذَا جَـاءَ وَعْـدُ رَبِّـي جَعَلَـهُ دَكَّـاءَ وَكَـانَ وَعْـدُ رَبِّـي حَقّـا ﴾** أراد بـه أن يعلـم بـأوان حلـول وعـد ربـي متـى صار دكا .

وأسـهبت كتـب التفاسـير فـي الـتكلم عـن يـأجوج ومـأجوج فـذكرت أحاديـث تصـف أشـكالهم وأطـوالهم وغيـر ذلـك رغـم أن القـرآن لـم يعـن بشـيء مـن أوصـافهم الخلقيـة بـل ذكـرهم بصـفة ملازمـة لهـم ألا وهـي الإفسـاد ، وهـذا مـا أشـار إليـه نبـي الهـدى فـي حديثـه لمـا قـال :((لا الـه إلا الله ويـل للعـرب مـن شـر قـد اقتـرب فـتح اليـوم مـن ردم يـأجوج ومـأجوج مثـل هـذه و عقـد سـفيان بيـده عشـرة قلـت : يـا رسـول الله أنهلـك و فينـا الصـالحون ؟ قـال :نعـم إذا كثـر الخبـث))[1] وممـا جـاء فـي بـاب البشـارة لأمـة محمـد _صـلى الله عليـه وسـلم_ فـي ذلـك اليـوم العصـيب الشـديد حـديث أبـي سـعيد الخـدري الـذي يصـف مشـهدا وموقفـا نسـتعيذ بـالله مـن شـر ذلـك اليـوم وأهوالـه يقـول أبـي سـعيد الخـدري عـن النبـي _صـلى الله عليـه وسـلم_ قـال : ((يقـول الله تعـالى : يـا آدم فيقـول: لبيـك وسـعديك والخيـر فـي يـديك فيقـول : أخـرج بعـث النـار قـال : ومـا بعـث النـار قـال : مـن كـل ألـف تسـعمائة وتسـعة وتسـعين فعنـده يشـيب الطفـل وتضـع كـل ذات حمـل حملهـا وتـرى النـاس سـكارى ومـا هـم بسـكارى ولكـن عـذاب الله شـديد قـالوا : يـا رسـول الله وأينـا ذلـك الواحـد ؟ قـال : أبشـروا فـإن مـنكم رجـلا ومـن يـأجوج ومـأجوج ألفـا ثـم قـال : والـذي نفسـي بيـده إنـي أرجـوا أن تكونـوا ربـع أهـل الجنـة فكبرنـا فقـال : أرجـوا أن تكونـوا ثلـث أهـل الجنـة فكبرنـا فقـال: أرجـوا أن تكونـوا نصـف أهـل الجنـة فكبرنـا فقـال مـا أنـتم فـي النـاس إلا كالشـعرة السوداء في جلد ثور أبيض أو كشعرة بيضاء في جلد ثور أسود)) [2].

الحـديث صـريح بالبشـارة ويصـف كيـف أن مقابـل كـل تسـعمائة وتسـعة وتسـعين مـن يـأجوج ومـأجوج يلقـون فـي النـار وواحـد يـدخل الجنـة وكيـف إن الله

([1]) أخرجه مسلم في صحيحه . مسلم . كتاب الفتن و أشراط الساعة ، باب اقتران الفتن وفتح ردم يأجوج و مأجوج،رق2880 ،4 /2207 .

(2) أخرجه البخاري في صحيحه . محمد ابن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي (دار ابن كثير، اليمامة : بيروت ، لبنان) كتاب الأنبياء ،باب قصة يأجوج و مأجوج ر. ق 3170 ، 3 / 1221 .

أكرم نبيه بكرامة كون أمته هم ربع الجنة ثم قال : هم ثلثها ثم قال : هم نصفها ثم أتم فضله بأن جعل الأمة المحمدية كالشعرة السوداء في جلد الثور الأبيض أو البيضاء في جلد الثور الأسود، فحمدا لله أن خصنا بمحمد به نتفاضل على سائر الأمم و به ننال أكرم الدرجات .

فلما أكرموا بمجيء ذي القرنين ورأوا فيه من أمور الصلاح والمهابة ما ليس لغيره رغبوا في عدله وطلبوا إليه دفع بلاء المفسدين عنهم وجعلوا لذلك مقابلا وجعلا وعبر عنه القرآن بلفظ الخرج **﴿ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا ﴾** " واختلفوا في قوله:﴿ **فهل نجعل لك خرجا**﴾ وقوله في المؤمنين : **﴿أم تسألهم خرجا فخراج ربك خيرا﴾** فقرأ ابن كثير و نافع و عاصم و أبو عمرو **﴿لَكَ خَرْجًا ﴾** بغير ألف و في المؤمنين **﴿خرجا﴾** بغير ألف **﴿فخراج ربك الأخير﴾** و قرأ ابن عامر أيضا ﴿**خرجا**﴾ بغير ألف و في المؤمنين ﴿**خرجا**﴾ بغير ألف ﴿**فخرج ربك**﴾ بغير ألف في الثلاثة وقرأ حمزة و الكسائي ثلاثهن بالألف " [1]، و" هو بمعناه على أن تجعل بيننا وبينهم سدا أي حاجزا يمنع خروجهم علينا " [(2)] .

لما توجهوا بكلامهم لذي القرنين وأفصحوا عما يريدونه أتى الرد من المولى سبحانه وتعالى حكاية عن ذي القرنين، وتجلى فيه مثال العبد المتواضع الخاشع لربه الذي لا ينسب لنفسه فضلا و لا يغتر بفتنة السلطان .

قال تعالى : **﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا * ﴾**.

قوله :﴿ **ما** ﴾ أي : بمعنى الذي"[(3)] ،" قرأ ابن كثير وحده ﴿**مَا مكنَنِي**﴾ بنونين و كذلك هي في مصاحف أهل مكة ، و قرأ الباقون ﴿**ما مكنّي**﴾ مدغما "[(4)].

قوله :﴿**ما مكني فيه ربي خير**﴾ أي : إن الذي أعطاني الله إياه من الملك والتمكين خير لي من الذين تجمعونه، كما قال سليمان _عليه السلام_:

(1) كتاب السبعة في القراءات . ذكر اختلافهم في سورة الكهف 400/1.
(2) محاسن التأويل . باب القول في تأويل قوله تعالى 66/7 .
(3) تفسير اللباب في علوم الكتاب .12 / 565
(4) كتاب السبعة في القراءات . 400/1.

﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ﴾، وهكذا قال ذو القرنين: الذي أنا فيه خيرٌ من الذي تبذلونه ولكن ساعدوني بقوة؛ أي بعملكم وآلات "[1].

وفي هذا دلالة صريحة على تواضع ذي القرنين لله عز وجل ببيانه أن ما له من التمكين والقوة والنفوذ ما كان لولا فضل الله_ تعالى _ ورحمته وهذا شأن المخلصين لله ، يقول الله تعالى حكاية عن نبي الله سليمان لمّا رأى ثمرة فضل الله تعالى عليه : ﴿ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ وهذا حال الأتقياء يشكرون ربهم فيزيدهم من فضله بخلاف أهل العصر الحديث الذين غرهم علمهم وحضارتهم فتكبروا وطغوا فكان بلاءًا عليهم كشأن قارون فتدبر.

قوله : ﴿ خَيْر ﴾ أي : "مما تريدون أن تبذلوه إليّ من الخراج فلا حاجة بي إليه " [2] ، و قوله تعالى : ﴿ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾ الفاء ؛ لتفريع الأمر بالإعانة على خيرية ما مكنه الله تعالى فيه من حاله أو عدم قبول خرجهم "[3].

قوله تعالى :﴿ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي﴾ : ما قواني عليه ربي خير من جعلكم أي : ما جعل مكينة من المال الكثير خير مما تبذلون لي من الخراج[4]، قال ابن كثير: قال ذو القرنين : الذي أنا فيه خير من الذين تبذلونه ولكن ساعدوني بقوة أي: بعملكم وآلالات البناء [5].

يقول تعالى ذكره : قال ذو القرنين : الذي مكنني في عمل ما سألتموني من السد بينكم وبين هؤلاء القوم ، ووطأه لي وقواني عليه خير من جعلكم والأجرة على البناء ذلك وأكثر وأطيب ، ولكن أعينوني بقوة أعينوني بفعلة وصناع يحسنون البناء والعمل كما ورد عن مجاهد ﴿ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ ﴾ قال: برجال أجعل بينكم وبينهم ردما[6].

قوله تعالى :﴿ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴾

---

(1) تفسير ابن كثير. 4 /424.
(2) تفسير اللباب في علوم الكتاب .12 / 565
(3) المصدر نفسه . ص 565
(4) تفسير اللباب في علوم الكتاب .565/12.
(5) تفسير ابن كثير. 4 /424 .
(6) تفسير الطبري. 113/18 .

(أجعل) جواب للأمر [1]، ﴿رَدْمًا ﴾ حاجزا حصينا موثقا، جاء في الكشاف : حاجزا حصينا موثقا، والردم أكبر من السد من قولهم ثوب مردم رقاع فوق رقاع [2].

يقول : أجعل بينكم وبين يأجوج ومأجوج ردما ، والردم حاجز الحائط إلا أنه أمنع منه وأشد يقال منه : قد ردم فلان موضع كذا يردمه ردما و رداما ، وعن ابن عباس قال: هو كأشد الحجاب .

قوله تعالى :﴿ **آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا** * ﴾ .

فصلت هذه الآية الكريمة جواب ذو القرنين ، وكيف أنه انتقل من الكلام إلى العمل ، كما أنها نوهت بكيفية العمل الذي قام به ذو القرنين والذي ما كان ليكون لولا تأييد الله وتمكينه لذي القرنين ، فقال الله تعالى مخبرا على لسان ذي القرنين : ﴿ **آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا** * ﴾

قوله : ﴿ **آتُونِي**﴾ أي : أعطوني؛ قال ابن عطية: إنما هو استدعاء مناولة لا استدعاء عطية وهبة ؛ لأنه قد ارتبط من قوله أنه لا يأخذ منهم الخراج فلم يبقى إلا استدعاء المناولة [3]، وخص الإيتاء بها دون سائر الآلات من الصخور أو الحطب ونحوهما لما أن الحاجة إليها أمس إذ هي الركن في السد ووجودها أعز [4]، و"قرأ أبو بكر ﴿ **ردما إيتوني** ﴾ بوصل الألف جعله من الإتيان أي : جيئوني يقال: أتيته ،أي: جئته ، والعرب تقول : خذ بالخطام و خذ الخطام ، و حجته في قوله: ﴿**ردما ايتوني**﴾ ؛ لأن إيتوني أشبه بقوله :فأعينوني ؛لأنه كلفهم المعونة على عمل السد و لم يقبل الخرج الذي بذلوه له فقوله: ﴿**إيتوني** ﴾معناه جيئوني بما هو معونة على ما يفهم من قوله: ﴿**فأعينوني بقوة**﴾ "[5].

(1) تفسير أبي السعود .3 /405 .
(2) تفسير الكشاف للزمخشري 718 .
(3) تفسير البحر المحيط .7 /227 .
(4) تفسير أبي السعود . 3 / 405 .
(5) حجة القراءات . لابن زنجلة ، /433.

قوله :﴿ زُبَرَ الْحَدِيدِ ﴾ أي : "جمع زبرة والزبرة القطعة من الحديد كما ورد عن ابن عباس قوله: قطع الحديد[1]، والزبر : جمع زبرة وهي القطعة منه؛ قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة وهي كل اللبنة يقال : كل لبنة زنة قنطار بالدمشقي أو تزيد عليه "[2]، وقرأها الجمهور ﴿ زُبَرَ﴾ بفتح الباء وقرأ الحسن بضمها [3].

قوله: ﴿ سَاوَى ﴾ وقرأ الجمهور ساوى ، وقتادة سوى ، وابن أبي أمية عن أبي بكر عن عاصم سووي مبنيا للمفعول[4] ﴿ حَتَّى إِذَا سَاوَى﴾ أي : سدت ما بين الجبلين إلى أعلاهما "[5].

قوله تعالى:﴿ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ﴾

قرأ ابوبكر ﴿ بَيْنَ الصُدْفَيْنِ﴾ بإسكان الدال و ضم الصاد كأنه استثقل الضمتين وسكن الدال ، و قرأ ابن كثير و أبو عمرو و ابن عامر ﴿الصُّدُفين﴾ بضم الصاد والدال ، و قرأ الباقون بفتح الصاد والدال و هما لغتان "[6] ، وأما فيما يختص في معنى الصدفين قوله: ﴿ الصَّدَفَيْنِ﴾ "يقال للبناء المرتفع صدف تشبيه بجانب الجبل، وفي الحديث ((كان إذا مر بصدف مائل أسرع المشي)) قال أبو عبيد: الصدف والهدف من كل بناء عظيم مرتفع قال: ابن عطية الصدفان:الجبلان المتناوحان، ولا يقال للواحد صدف وإنما يقال: صدفان للاثنين؛ لأن احدهما يصادف الأخر" [7]، وحكي صاحب روح المعاني أن البعض يزعم أن المراد به هنا الجبل وهو خلاف ما عليه الجمهور[8].

ولقد أشار الطبري إلى أنه أراد بالصدفين الجبلاين اللذين بنى بينهما سد ذي القرنين، عن ابن عباس ﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ ﴾ قال: هو كان بين

---

(1) تفسير الطبري .114/18 .
(2) تفسير ابن كثير 4 /425
(3) تفسير القرطبي ،11 /61
(4) تفسير البحر المحيط .7 /227 .
(5) تفسير اللباب في علوم الكتاب .12 /560
(6) حجة القراءات .باب قال ما مكني فيه ربي خير 1/ 433 .
(7) تفسير القرطبي . 11 /61 .
(8) تفسير روح المعاني ص362.

صدفين والصدفين الجبلين، جاء عند الطبري قوله: ﴿ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ ﴾ يعني : الجبلين، وهما من قبل أرمينية وأذربيجان"[1] .

وأما في ما بين الصدفين من المسافة فقد قيل: كان ارتفاعه مئتي ذراع وعرضه خمسون ذراعا "[2]، وقيل: طول ما بين السدين مائة فرسخ وعرضه خمسون "[3].

قوله تعالى: ﴿ قَالَ انْفُخُوا ﴾ .

قال للفعلة انفخوا النار على هذه الزبر من الحديد[4]، أي : على زبر الحديد بالإكيار، وذلك بأنه كان يأمر بوضع طاقة من الزبر والحجارة ثم يوقد عليها الحطب والفحم بالمنافخ حتى تحمى، والحديد إذا أوقد عليه صار كالنار "[5].

قوله تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا ﴾

فإذا ما تأججت وعظمت وصارت نار متقدة قد حمت وازداد لهيبها وحرها طلب إليهم بقوله : ﴿ آتُونِي ﴾ " قرأ حمزة وشعبة بخلف عنه بهمزة ساكنة بعد اللام وصلا فإن وقفا على قال فالابتداء بائتوني بهمزة وصل مكسورة ثم ياء ساكنة بدلا عن الهمزة التي هي فاء الكلمة ، والباقون بهمزة قطع مفتوحة بعدها ألف وصلا ووقفا وهو الوجه الثاني لشعبة "[6] .

قوله تعالى : ﴿ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴾

قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة والضحاك وقتادة و السدي : هو النحاس وزاد بعضهم المذاب[7]، عن ابن عباس قال : القطر النحاس "[8] والقطر عند أكثر المفسرين: النحاس المذاب وأصله من القطر ؛ لأنه إذا أذيبت

---

(1) تفسير الطبري . 18 /115 .
(2) تفسير أبو السعود . 3 /406.
(3) تفسير البحر المحيط . 7 /227 .
(4) تفسير الطبري .18 /116 .
(5) تفسير القرطبي . 11 /62 .
(6) البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدُّرة -1 /196.
(7) تفسير ابن كثير.4 /425 .
(8) تفسير الطبري .18 /116 .

قطر كما يقطر الماء وقالت فرقة : القطر الحديد المذاب وقالت فرقة منهم ابن الانباري : الرصاص المذاب وهو مشتق من قطر يقطر قطرا ، ومنه ﴿ **وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ** ﴾ " [1].

فالآية صريحة في خطوات ومراحل بناء السد والتي تتمثل في المراحل الآتية الإيتاء والمناولة لقوله ﴿ **آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ** ﴾ والثانية : النفخ لما أمر بذلك ﴿ **حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا** ﴾ ، و الثالثة : مرحلة صب النحاس المذاب قال تعالى : ﴿ **آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا** ﴾ .

ولقد أشار الزمخشري إلى الكيفية التي بني بها هذا السد المنيع والصورة التي ظهر بها قال: " قيل : حفر الأساس حتى بلغ الماء وجعل الأساس من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينهما الحطب والفحم حتى سد ما بين الجبلين إلى أعلاهما ثم وضع المنافيخ حتى إذا صارت كالنار صب النحاس المذاب على الحديد المحمي فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جبلا صلدا"[2].

قال تعالى: ﴿ **فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا** ﴾ .

قوله: ﴿ **فَمَا اسْطَاعُوا** ﴾ أي : يأجوج ومأجوج [3]، والفاء فصيحة أي:فعلوا ما أمروا به من إيتاء القطر أو الإتيان ، فأفرغه عليه فاختلط والتصق بعضه ببعض ، فصار جبلا صلدا ، فجاء يأجوج ومأجوج فقصدوا أن يعلوه و ينقبوه فما استطاعوا"[4].

" قرأ حمزة ﴿**فما اسطَّاعوا**﴾ بتشديد الطاء أراد فما استطاعوا فأدغم التاء في الطاء ؛ لأنهما أختان ، وحجته قراءة الأعمش ﴿**فما استطاعوا** ﴾ بالتاء وقرأ

---

(1) تفسير القرطبي .62/11 .
(2) تفسير الكشاف للزمخشري . 2 /718 .
(3) تفسير البحر المحيط . 7 / 228 .
(4) تفسير أبي السعود .3 / 406 .

الباقون ﴿**فما اسطاعوا**﴾ بتخفيف الطاء ، والأصل﴿ **فما استطاعوا** ﴾ فحذفوا التاء كراهة الإدغام والجمع بين حرفين متقاربي المخرج " [1].

و قوله تعالى :﴿ **أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا** ﴾ " أن يعلوه ،أي : لا حيلة لهم فيه من صعود ؛ لارتفاعه والملاسة ، ولا ثقب ؛ لصلابته و ثخانته" [2] .

بعد تمام العمل والانتهاء من بناء السد يصور لنا القرآن الكريم كيف كان حال ذو القرنين فيقول : ﴿ **قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي** ﴾ اعترافا وبيانا لفائدة بناء السد وإقرار بمظهر من مظاهر رحمة ربي إذ لولا رحمته ما كان ذو القرنين ولا التقاؤه ولا بناؤه السد، وشواهد أفضال ربي على عباده من البشر والأنبياء كثيرة ، فهذا نبي الله سليمان _عليه السلام_ لما أكرمه الله بنعمته يقول قولا إن دل فإنما يدل على علم وإيمان قال تعالى : ﴿**قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ**﴾ [3].

قوله :﴿ **قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي** ﴾

أي : " قال ذو القرنين ، والإشارة بهذا قال ابن عطية إلى الردم والانتفاع به، وقال الزمخشري إشارة إلى السد أي : ﴿**هذا** ﴾ السد نعمة من الله ، و ﴿ **رَحْمَةٌ** ﴾على عباده، أو هذا الاقتدار والتمكين من تسويته قيل وفي الكلام حذف وتقديره ، فلما أكمل بناء السد واستوي واستحكم ﴿ **قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي**﴾" [4]، وحكي أبي السعود ما مفاده إن بناء السد ليس بمحض صدفة، وإنما بفضل وتقدير من الله سبحانه وتعالى ؛إذ أنه قدر لبناء السد ذي القرنين وألهمه ما يصنع وسخر له الأمور وهيئ له الظروف وفي بناء السد رحمة كبيرة وثمرة عظيمة تتحصل لمجاوريه[5]، وصدق الله تعالى إذ يقول :﴿ **وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ**﴾ [6] ، وأشار القرطبي إلى أن ابن أبي عبلة قرأ ﴿ **هَذَا رَحْمَةٌ**

---

(1) حجة القراءات . عبد الرحمن محمد بن زنجلة،435/1
(2) تفسير الكشاف .2 /719 .
(3) سورة النمل ، الآية 40 .
(4) تفسير البحر المحيط . 7 /228.
(5) تفسير أبي السعود . 406/3.
(6) سورة القصص ،الآية : 68.

رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي﴾ [1]، ثم عقب بقوله: ﴿ **فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا**﴾ أي : إن قوة السد وثباته ومتانته لها وقت عندما يحين فإنه يتلاشى رغم قوته ومتانته .

قوله تعالى :﴿ **فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي** ﴾ أي : يوم القيامة ، وقيل : وقت خروجهم[2]، ويقول الله تعالى في محكم كتابه : ﴿ **وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ** ﴾[3]ولا يخفى ما في هذا من دلالة على المعنى الأولى أي يوم البعث والجزاء، ومما جاء في تفسير الشوكاني المسمى بفتح القدير في قوله: ﴿ **وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ** ﴾المراد ما بعد الفتح من الحساب، وقال الفراء و الكسائي وغيرهما :المراد بالوعد الحق:القيامة والواو زائدة؛ والمعنى حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج اقترب الوعد الحق وهو القيامة[4]، والمراد بمجيئه ما ينتظم ومجيء مباديه من خروجهم خروجهم وخروج الدجال ونزول عيسى عليه الصلاة والسلام "[5].

قوله:﴿ **جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا** ﴾

هذا بيان لمظاهر قدرته سبحانه وتعالى بعد بيان رحمته ببناء السد، ولقد رتب أمر الجعل على المجيء وللوعد علامات تسبق مجيئه قال أبي السعود: وهذا الجعل وقت مجيء الوعد بمجيء بعض مباديه[6]"، وفي هذه الآية إشارة إلى يوم القيامة ﴿ **يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ يوم البعث بعد الممات وإبراز لمظهر من مظاهر قدرة الله سبحانه من جهة وإقرار لمجيء ذلك اليوم من جهة أخرى، ويصف ذي القرنين حال ذلك الصرح المتين الذي لا سبيل لتحطيمه في الدنيا بكلمة واحدةيقول تعالى: ﴿ **جَعَلَهُ دَكَّاءَ** ﴾ أي: جعل السد مدكوكا مستويا مع وجه الأرض[7]، ومنه قال ابن عرفة: أي جعلت مستوية لا أكمة فيها، وقال اليزيدي: أي : مستويا؛ يقال: ناقة دكاء إذا ذهب

---

(1) تفسير القرطبي .11/ 63.
(2) المصدر نفسه.
(3) سورة الأنبياء ، من الآية : 96 .
(4) تفسير فتح القدير. 947/17.
(5) تفسير أبي السعود .3 /406.
(6) المصدر نفسه . ص 407.
(7) تفسير اللباب في علوم الكتاب .12 /568.

سنامها ،وقال القتبي: أي: جعله مدكوكا ملصقا بالأرض، وقال الكلبي : قطعا متكسرا "[1].

الجانب البلاغي

لم يغفل البيضاوي [2]عن ذكر أوجه البيان والبديع في آيات ختام هذه القصة والسورة والتي أوجزها في سبعة نقاط وهي كالأتي :

أولا : الطباق ﴿ **مَطْلِعَ . . . . مَغْرِبَ** ﴾

ثانيا :التشبيه البليغ ﴿ **جَعَلَهُ نَارًا**﴾ أي كالنار في الحرارة وشدة الاحمرار حذفت أداة التشبيه ووجه الشبه فأصبح بليغا.

ثالثا: الاستعارة التبعية ﴿**يموج في بعض** ﴾ شبههم لكثرتهم وتداخل بعضهم في بعض بموج البحر المتلاطم واستعارة لفظ يموج ففيه استعارة تبعية .

رابعا: الاستعارة التمثيلية أيضا ﴿ **كانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطاءٍ عَنْ ذِكْرِي** ﴾ كانوا ينظرون فلا يعتبرون وتعرض عليهم الآيات الكونية فلا يؤمنون ولم تكن أعينهم حقيقة في غطاء وحجاب وإنما هو بطريق التمثيل.

خامسا: الجناس الناقص ﴿ **يحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ** ﴾ لتغير الشكل وبعض الحروف ، ويسمى أيضا جناس التصحيف .

سادسا: الاستفهام الذي يراد به التوبيخ والتقريع ﴿ **أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ ؟.

سابعا: المقابلة اللطيفة ﴿ **وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى**﴾ مقابل ﴿ **أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ**. . . . .﴾ الآية.

---

(1) تفسير القرطبي . 63/11.
(2) تفسير صفوة التفاسير. 2/208-209.

المبحث الثاني

الأثر العقائدي لقصة ذي القرنين

الأثر العقائدي لقصة ذي القرنين

تضمنت هذه القصة أحداثا ومشاهد لها أثرها في النفس ،و ثمرتها في عقيدة المؤمن ،وجعل الله هذه القصة ختاما لأجوبة تلك الأسئلة التي أريد بها اثبات عَجْزِ النبي _صلى الله عليه وسلم_ وضمَّنها من المعاني والأخبار ما يحقق الغاية التي لأجلها نزلت السورة والهدف الذي لأجله سيقت القصة .

القصة تناولت مشهد التنقل والسفر والترحال لشخصية معلومة لذوي أهل الكتاب أكثر من غيرهم .

ولعل أبرز ما فيها تلك الإشارة البينة في الآيات إلى أن القصة يحكيها المولى _عز وجل_ وإن كان الجواب قد سيق على لسان محمد _صلى الله عليه وسلم_ فتأمل؛ ﴿ **إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ**﴾ وقوله :﴿ قُلْنَا ﴾ وقوله: ﴿ **أَحَطْنَا**﴾ وكون الآيات ضمنا تبرز الأمر و تنسبه منقولا عن المولى سبحانه وتعالى.

كل هذا فيه إشارة إلى أن الخبر ليس من محمد ، وإنما هو صراحة نقل عن المولى _عز وجل_ ، وفي هذا متى ثَبَتَ صحته دليل على أن كل ما ينقله محمد من ربه حق وصدق ، ولعل أبرز ما في هذه القصة الكلمات التي صيغت بها، فهي صريحة بأن النبي _عليه الصلاة والسلام_ ليس إلا مبلغاً عن ربه أي إنه لا علم له بخبر هذه القصة.

وهذا جوهر الموضوع في القصص كلها حيث يخبر النبي _صلى الله عليه وسلم _ بأحداث القصص بلسان المشاهد المعاين الذي عاين الأحداث وواكبها، وكيف له ذلك وهو النبي الأمي الذي لا يقرأ ولا يكتب، إلا إن كان نبياً بحقٍ يوحى إليه من لدن عزيز حكيم، ولا يخفى ما في هذا من أثر على عقيدة الإنسان فإذا ما تبين للمرء صحة نسبة الأمر لله تعالى فإنه يكون أوثق ما يكون

حال امتثاله وطاعته لأي أمر من ربه فيسعى جاهداً لرضاه وللفوز بسعادتي الدنيا ﴿ **وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى** ﴾ (1).

هذا بيان لجانب من جوانب الإعجاز القرآني وهو الإخبار بأخبار الماضيين، وقد جيء به في سياق التحدي والإفحام وذلك أن القصة سيقت للإجابة عن سؤال أريد به الإعجاز فكانت الإجابة إعجازا لهم ، وإخبارا بأن ما يحكي محمد إنما هو بوحي من الله لا من صنع نفسه ،ولا يخفى عليك ما في هذا من أثر في عقيدة المرء.

وأما عند الوقوف على آيات القصة وكلماتها فتتراءى للقارئ دررا نفسية من المعاني والمعلومات التي تضفي على حياة المؤمن رونقا .

القصة أشارت إلى أن لكل أمرٍ وخطبٍ موعداً ، ومن الأمور التي أنكرها أهل الكفر والضلال ، والتي غفل عنها الكثير من أهل الزمن قضية البعث بعد الممات ﴿ **فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا** ﴾ أليس الله تعالى يقول: ﴿ **وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ * إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ** ﴾ (2).

يصور الله تعالى المشهد يوم القيامة ، ويصف حال من تغافلوا وعاندوا وكابروا كيف تشخص أبصارهم ، دلالة على شدة فزعهم ورعبهم من هول ذلك اليوم قال الكلبي : شخصت أبصار الكفار فلا تكاد تطرف من شدة ذلك اليوم وهوله، يقولون :﴿ **يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا** ﴾ اليوم، ﴿ **بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ** ﴾ " (3).

كذلك أمر السفر والتنقل حدث وموقف له أثره في العقيدة ، إذ أن ما يعرض للمسافر من وقائع ومواقف وصدف ، وما تجري به النوازل وما يقضي به المولى _عز وجل _ ، كل هذا وما أشبهه يصقل شخص المؤمن العابد بحق لربه ، يقول الله تعالى :﴿ **قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ**

---

(1) سورة النجم ، الآية : 39 .
(2) سورة الأنبياء ، الآية : 97، 98 .
(3) معالم التنزيل . 355/5 .

الَّـذِينَ مِـنْ قَبْـلُ كَـانَ أَكْثَـرُهُمْ مُشْـرِكِينَ﴾[1] فـالله يحـث علـى السـفر ؛ للاتعـاظ والنظـر فـي أخبـار السـابقين ولزيـادة الإيمـان بـه، ولا عجـب فـإن النظـر فـي حـالهم ومـا كـان مـن أمـرهم يجنـب المـؤمن مـوارد التهلكـة ويهديـه إلـى سبل النجـاة قـال تعـالى : **﴿ أَلَـمْ تَـرَ كَيْـفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾**[2] وقولـه :**﴿ أَلَـمْ تَـرَ كَيْـفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴾** [3] وغيرهـا مـن الآيـات التـي جـاءت علـى هـذا الـنمط ،كمـا إن الآيـات دلـت علـى إن الله ولـي الطـائعين الممتثلـين لأوامـره وكفيـل أمـرهم وإلا مـا كـان الله لـيمكن لعبـده ذي القـرنين مـن أمـور وأسـباب تـذلل لـه صـعـاب الـدنيا بزمنـه **﴿ إِنَّـا مَكَّنَّـا لَـهُ فِـي الْأَرْضِ وَآتَيْنَـاهُ مِـنْ كُـلِّ شَـيْءٍ سَبَبًا ﴾** يجـدر بالإنسـان أن يكـون مبدأه قولـه تعـالى :**﴿ إِنَّ وَلِيِّـيَ اللَّـهُ الَّـذِي نَـزَّلَ الْكِتَـابَ وَهُـوَ يَتَـوَلَّى الصَّـالِحِينَ ﴾** [4] ، عـن أبـي هريـرة ، قـال : قـال رسـول الله _صـلى الله عليـه وسـلم _ : ((إن الله قـال : مـن عـادى لـي وليـا فقـد آذنتـه بـالحرب ، ومـا تقـرب إلـي عبـدي بشـيء أحـب إلـي ممـا افترضـت عليـه ، ومـا يـزال عبـدي يتقـرب إلـي بالنوافـل حتـى أحبـه ، فـإذا أحببتـه : كنـت سـمعه الـذي يسـمع بـه ، وبصـره الـذي يبصـر بـه ، ويـده التـي يـبطش بهـا ، و رجلـه التـي يمشـي بهـا ، و إن سـألني لأعطينـه ، و لـئن اسـتعاذني لأعيذنـه ، و مـا تـرددت عـن شـيء أنـا فاعلـه تـرددي عـن نفـس المـؤمن، يكـره الموت،وأنـا اكـره مسـاءته)) [5] ، وقـد أورد القـرآن أخبـارا عمـن صـدقوا الله ونشـروا دعوتـه بتقـدير وتسـخير مـن الله فهـذا نبـي الله سـليمان عليـه السـلام يبـين الله لنـا سـر قوتـه وعظمتـه قـال تعـالى : **﴿ وَلِسُـلَيْمَانَ الـرِّيحَ غُـدُوُّهَا شَـهْرٌ وَرَوَاحُهَـا شَـهْرٌ وَأَسَـلْنَا لَـهُ عَـيْنَ الْقِطْـرِ وَمِـنَ الْجِـنِّ مَـنْ يَعْمَـلُ بَـيْنَ يَدَيْـهِ بِـإِذْنِ رَبِّـهِ وَمَـنْ يَـزِغْ مِـنْهُمْ عَـنْ أَمْرِنَـا نُذِقْـهُ مِـنْ عَـذَابِ السَّـعِيرِ * يَعْمَلُـونَ لَـهُ مَـا يَشَـاءُ مِـنْ مَحَارِيـبَ وَتَمَاثِيـلَ وَجِفَـانٍ كَـالْجَوَابِ وَقُـدُورٍ رَاسِيَاتٍ ﴾** [6] الآيـات ، وكيـف أنـه أثنـي وشـكر نعـم ربـه وأفضـاله، أي إن تمـام الأمـور يبـدأ

---

(1) سورة الروم ، الآية : 42.
(2) سورة الفجر ، الآية : 6 .
(3) سورة الفيل ، الآية : 1 .
(4) سورة الأعراف ، الآية : 196 .
(5) أخرجه البخاري في صحيحه .كتاب الرقاق ، باب التواضع ، ر.ق 6502 ، 8 /105 .
(6)سورةسبأ ،الآية : 12 .

بـأداء الأسـباب، فالأسـباب الصـحيحة ثمرتهـا واضـحة لمـن صـدقَ وثـابرَ وكـان ذا عزم وإلا لا عبرة بأسبابه .

وتظهـر لنـا الأحـداث والوقـائع الصـفات والسـلوكيات التـي اتصـف بهـا ذو القرنين وكيف أن السر في اتصافه بها يرجع لتعلقه بأمر ربه ومراقبته له في كل سكناته وحركاته ﴿ **قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا * وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا**﴾ وقوله:﴿ **مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ**﴾ أي : إن كل ما يفعله الأمرُ والحكم فيه لله ﴿ **إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ**﴾ .

وللقاري الذي يقرأ آيات الله وفق قوله تعالى : ﴿ **أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا** ﴾ أن يقف على حقيقة البعث والتي صرح بها المولى في أول آيات القصة حكاية على لسان ذي القرنين ﴿ **أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا * وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا**﴾ فأين العذاب النكر وأين جزاء الحسنى ؟ كل ذلك لا يكون إلا يوم البعث والجزاء جاء في تفسير الجلالين

﴿ **لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا** ﴾ بالإيمان ﴿ **الْحُسْنَى** ﴾ الجنة ﴿ **وَزِيَادَةٌ** ﴾ هي النظر إليه تعالى كما في حديث مسلم ﴿ **وَلَا يَرْهَقُ** ﴾ يغشى ﴿ **وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ** ﴾ سواد ﴿ **وَلَا ذِلَّةٌ** ﴾ كآبة﴿ **أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾ [1] " [2].

ولم يغفل المولى _عز وجل_ عن الضد ممن أهمل وفرط في جانب الحسنى وكسب السيئات فقد جاء فيهم ﴿ **وَالَّذِينَ**﴾ عطف على الذين أحسنوا ، أي وللذين ﴿ **كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ**﴾ عملوا الشرك ﴿ **جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ**﴾ من زائدة عاصم ﴿ **مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا** ﴾ [3]بفتح الطاء جمع قطعة وإسكانها أي : جزءا ، قال تعالى :﴿ **مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾ [4].

---

(1) سورة يونس ، من الآية : 26 .
(2) تفسير الجلالين . ص : 237.
(3) سورة يونس ، من الآية : 27.
(4) سورة يونس ، الآية : 27.

أي : إن العبد يجب عليه أن يوقن بأن الله لم يخلق الخلق عبثا أ﴿فَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عبَثًا وأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ * فَتَعَالى اللَّـهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ * ومَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّـه إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ * وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴾ [1].

فما أكرم الباري و ما أرحمه بعبده أبان له سبيل السلامة والنجاة حفاظا ورعاية ومنة ورحمة قال تعالى : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [2].

فالآيات تتوارد في الذهن فتفسر بعضها بعضا وتعكس ذلك الجمال البلاغي والذي ما كان ليكون لولا أنه منزل من عند الله فتراها مترابطة متناغمة في وقع ألفاظها متسلسلة في أخبارها عميقة في معناها ودلالتها وليس أدل من هذا على الإعجاز الإلهي والذي ضمنه هذا الكتاب الكريم ليكون معجزة خالدة حتى قيام الساعة .

---

(1) سورة المؤمنون الآية : 115 - 118 .

(2)سورة الأعراف ،من الآية : 156.

المبحث الثالث
الإعجاز في قصة ذي القرنين

نـواحي الإعجـاز فـي القصــة تظهـر واضـحة بينـة لمـن تفكـر وتـدبر فـي آيـات القصـة وتبـرز الجمـال التصـويري مـن حيـث نسـق آياتهـا وتنـاغم معـاني الآيـات لكـي تخـدم المعنى الذي أراده لها الشارع الحكيم .

استـهل الله _عـز وجـل_ الكـلام عـن هـذه القصـة بالإشـارة إلـى أن مـا سيحكى إنمـا هـو ذكـر لشـيء مـن رحـلات ذي القـرنين قـال تعـالى : ﴿ **قُـلْ سَـأَتْلُو عَلَـيْكُمْ مِنْـهُ ذِكْـراً** ﴾ وأخبـر أن سر نجـاح واستمرار رحلاتـه يرجـع لتمكينـه وتهيئتـه بالأسباب﴿ **إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً** ﴾

آيـات القصـة تبـين سـفر ذي القـرنين إلـى ثـلاث نـواح ففـي الرحلـة الأولـى سـافر إلـى مكـان تغـرب فيـه الشـمس ، وفـي الثانيـة انتقـل صـوب المكـان الـذي تطلـع منـه الشـمس ، وأخيـرا اتجـه إلـى مـا أسـماه القـرآن بـين السـدين ، ومـن يتأمـل يجـد إن هـذا الملـك قـد سـافر إلـى أقاصـي الأرض وتيسـرت أمامـه الصـعاب بـدليل التمكـين الميسـر لـه أولا ، وبـدليل إن القـرآن لـم يصـرح بصـعب قـد لاقـاه وهـذا كلـه أمـر معجـز فلـم نعلـم عـن بشـر يطيـق السـفر إلـى مغـرب الشـمس ثـم ينتقـل للسفر إلى جهة مطلع الشمس رغم ما بينهما من مسافة شاسعة .

كـذلك السـد الـذي بنـاه ، ووصـف القـرآن البليـغ لحـال ذلـك السـد علـى لسـان ذي القـرنين ﴿ **قَـالَ هَـذَا رَحْمَـةٌ مِـنْ رَبِّـي فَـإِذَا جَـاءَ وَعْـدُ رَبِّـي جَعَلَـهُ دَكَّـاءَ**﴾ وكـان وعـد ربـي حقـا فقولـه أن يصـير دكـا وقـت مجـيء الوعـد الحـق أي : القيامـة ودل بـه علـى كـون هـذا البنـاء معجـزا وقـد أعجـز مـن عاصـره ومـن واكبـه وأنـه لا يدك إلا حين حلول أوان الوعد الحق .

ولقـد تناولـت دراسـات كثيـرة قصـة ذي القـرنين فتكلمـت عـن رحلتـه ومـا كـان مـن أمـر بنـاءه المعجـز الـذي لا يمكـن دكـه إلا بـأمر مـن ربـي ، وكيـف إن البـارئ جعـل فيهـا مـن مظـاهر الإعجـاز العلمـي مـا تـذهل عنـده العقـول وتنعقـد بـه ألسـنة المنكـرين والمعانـدين ، فللـه الحمـد أن جعـل كتابـه معجـزا فـي جميـع نـواحي العلـم ، ووثـق بإعجـاز كتابـه حقيقـة نبـوة محمـد ، وأن هـذا الـدين هـو خـاتم الأديـان الذي لن يرتضي دونه بديلا .

الدراسات تقوم على وضع افتراضات تتلاءم مع ما يصرح به النص من دلالات ومعان.

وتحت بند الفرضية والحقائق العلمية الفرضية فإنها تفترض أن رحلة وقصة ذي القرنين حدثت في فترة ما قبل أربعة آلاف سنة على الأقل أي : قبل نزول الديانة اليهودية ، وأنه من سكان العالم الجديد قام برحلته للعالم القديم ، فهو شخص ذو قوة بدنية عالية مكنته من السير لمسافات طويلة تحسب بآلاف الأميال وقد مكن له الله بأن آتاه علما ومالاً ييسر له أمور رحلته ، فهو بشر شأن باقي البشر إلا أن الله هيئه بالأسباب والعلوم التي تمكنه من تحقيق أمر ربه .

الإعجاز في قصة ذي القرنين

الإعجاز يبدأ من لحظة نزول الآيات وإخبار النبي محمد _عليه الصلاة والسلام_ مشركي قريش بها ، وذلك كونه أميا لا يقرأ ولا يكتب ، وليس له في علم الأولين قبل نبوته ،فكان نزول الوحي بالجواب عن سؤالهم دليل على نبوته ومعجزة بينة على صدقه فيما يبلغ من أمر ربه .

استهل القرآن الكريم الكلام عن خبر ذي القرنين بالتلميح إلى أن قصته هي إجابة عن تساؤلهم عن الملك الطواف ، ولذلك أتي بلفظ **﴿وَيَسْأَلُونَكَ﴾**.

ويبين لنا القرآن الكريم أن السر في قوة ذي القرنين وقدرته على إتيان ما ليس معهودا لبني جنسه من البشر إنما هو بسبب التمكين **﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾** .

ولما كانت الآية صريحة في أن التمكين المذكور إنما هو بتأييد الله دل ذلك على عظمة الأعمال والانجازات التي تتحقق تبعا لذلك .

ومما يشهد بأن هذه الرحلة معجزة بحد ذاتها ذلك القدر الذي ذكره القرآن لما ذكر شيئا من رحلته ، حيث أخبر بسفره وانتقاله بين طرفي الأرض شرقها وغربها ، وهذا أمر لا يطيقه بشر عادي .

كما أنه من العجيب أن يلتزم الإنسان بخلق وصفات متوازنة أثناء رحلة مليئة بالنصب والتعب و المشاق والمواقف الشديدة ، وبقدر مسئوليته بقدر ما

تستصعب الأمور عليه ، إلا أن الحالة في رحلة ذي القرنين لها خصوصيتها فهو عبد ألف قلبه لذة الطاعة فانصاعت جوارحه تعمل بما يرضي ربها لذا أتت الآيات تبرز أخلاق ذي القرنين متوازنة لا تتغير .

وأما الجزء المعجز البين في القصة فهو بناؤه للسد وإحكامه صنعته وتحقق الغاية المرجوة من إقامته قال تعالى : ﴿ **فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا**﴾ .

هذا وصف القرآن بأبلغ وأدق تصوير مطابق للواقع ، والإعجاز في هذا العمل من عدة نواح فمن ناحية من حيث العلم فكيف لرجل عادي أن يكون ملما بكثير من أصناف العلوم والمعارف ، ووقع السفر الطويل يقضي بأن يكون ذا علم وحكمة ومعرفة وإلا ما كان له أن يجد عزما وصبرا كافيين ليداوم على رحلته ومن ناحية أخرى كيف له أن يبني سدا بهذه العظمة بطريقة علمية محكمة .

ولقد بين القرآن شدة هذا البناء العظيم المتين لما أخبر بأنه بناء قائم لن يدك ويفنى إلا في حين وقوع وعد المولى عز وجل ﴿ **فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا**﴾ .

ولقد قامت الدراسات حول كيفية بناء السد والأسس التي جعلت منه صرحا متينا لا يدك ولا ينقب أو حتى يعتلى .

تقوم الدراسات القديمة على اعتبار هذه الآيات من علامات يوم القيامة أما باعتبار الدارسات الحديثة فإنها تقوم على اعتبار هذه الآيات من الآيات الدالة على الإعجاز العلمي للقرآن الكريم .

ومن الأمور التي تفترضها هذه الدراسة وجود العين الحمئة في غرب العالم الحديث لا القديم ، وكون الشمس تسطع في سيبيريا لمدة شهرين متتاليين في فصل الصيف ، وافتراض أن سد دربند هو سد ذي القرنين لمشابهة المواد التي صنع منها

والجدير بالذكر إن هذه الدراسة إنما هي حث ودعوة لأنْ تقوم دراسات أخرى ؛ لتبين حقيقة الأمر كأنْ يتم التاريخ لحضارة المايا في يوكتان وفي جبال

المكسـيك وتـاريخ ردم دربنـد فـي منطقـة جبـال القوقـاز وفحـص مكوناتـه، ولربمـا بواسـطة هـذا التـاريخ الـدقيق يمكـن الجـزم بصـحة مـا افترضـته الدراسـة وعلـى هـذا فان القصة معجزة من جوانب عديدة .

أولاً : القصـة فـي ذاتهـا حـدث عظـيم و خبـر قـديم لـم يعلمـه العـرب قـبلا ، وإخبـار النبـي _صـلى الله عليـه وسـلم_ بهـا رغـم أميتـه يعـد دلـيلاً علـى صـدق نبوتـه .

ثانيـاً : رحلـة ذي القـرنين تسـتلزم جهـدا وعزمـا شـديدين لـيس لأي إنسـان أن يأتيهمـا مـا لـم يكـن مؤيـدا بتأييـد الله _سـبحانه وتعـالى_ إذ لـيس بمقـدور الإنسـان السفر إلى طرفي الأرض بجهده وعزمه دون فضل من الله .

ثالثـاً : دوام مراقبـة الإنسـان لنفسـه طـوال الوقـت يسـتلزم فضـلا و منـة مـن الله تعـالى فكيـف للإنسـان أن يغالـب طبيعتـه البشـرية اللهـم إلا إنْ كـان مؤيـداً بتأييـد الله ونصره .

رابعـاً : البنـاء العظـيم الـذي بنـاه ذو القـرنين وهندسـة تركيبـه كلهـا تبـين عظمـة وإعجاز من علّمه بناءه ألا وهو المولى عز وجل .

خامسـاً : القصـة تضـمنت خبـراً جيـداً ألا وهـو خـروج يـأجوج ومـأجوج حيـث جعـل لخـروجهم مواعـداً يوافـق يـوم دك السـد الـذي حكـت القصـة أن يـوم دكـه هـو يـوم اللقاء والبعث .

الخـــــاتـمـــــة

الحمـد لله وافـر الـنعم لـه الحمـد أنْ مـنَّ علينـا بمطالعـة آياتـه وكتابـه فانتهلنـا مــن نبعــه الصــافي وعشــنا معــه مشــاعر الصــدق والإخــلاص فتهــذبت أخلاقنــا وسمت أرواحنا إلى مراتب درجات الإيمان .

امـتن علينـا بـأعظم نعمـه نعمـة إنـزال الكتـاب وإرسـال خيـر رسـله فجعلنـا خيـر أمـةٍ أخرجـت للنـاس ، والصـلاة والسـلام علـى المبعـوث رحمـة للعـالمين خيـرُ من عبدَ وحمدَ وشكرَ صلى عليه الله وسلم تسليماً كثيراً .

ممـا لا شـك فيـه إن هـذه الخاتمـة مهمـا أشـادت بفضـل كتـاب الله فهـو قليـل قليـل، وإنْ كـان مـن قـول يقـال فـي بـاب وصـف هـذا الكتـاب فهـو مـا صـرح بـه المـولى عـز وجـل فـي كتابـه الكريـم :﴿ **وَنَزَّلْنَـا عَلَيْـكَ الْكِتَـابَ تِبْيَانًـا لِكُـلِّ شَـيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾** .

ولأن هـذا البحـث يقـوم علـى دراسـة آيـات الله _عـز وجـل_ فـإن مـا سـيأتي ذكـره لـيس بنتـائج نهائيـة يقـف عنـدها حـد البحـث؛ لثـراء تلـك الآيـات بالمعـاني النفيســة ولتفـاوت مـا يفـتح بـالله تعـالى علــى العبـاد عنـد قـراءتهم للقـرآن الكـريم ؛ وذلـك لنـزول آياتـه الكريمـة علـى أعلـى مسـتويات البلاغـة وفـق علـم وإرادة حكيمـة بما يضمن دوام إعجازه على مر العصور والأزمان .

السـورة الكريمـة التـي اخـتص هـذا البحـث بدراسـتها نبهـت إلـى نعمـةٍ عظيمـةٍ وجليلـةٍ ألا وهـي القـرآن الكـريم ، وأوجبـت ضـرورة الحمـد والشـكر والثنـاء علـى مـن أنعـم عليـه بهـا مـن عبـاده ، وذلـك لِمَـا ترتـب علـى تلـك النعمـة مـن منـافع دنيويـة وأخروية للعباد .

وللقـارئ أن يـرى مـدى عظمـة المـولى _عـز وجـل_ ومـدى حرصـه علـى أن تظهـر فائـدة هـذه النعمـة فـي حيـاته الدنيـوية والآخـروية يقـول تعـالى : ﴿ **الْحَمْـدُ لِلَّـهِ الَّـذِي أَنْـزَلَ عَلَـى عَبْـدِهِ الْكِتَـابَ وَلَـمْ يَجْعَلْ لَـهُ عِوَجًـا * قَيِّمًـا لِيُنْـذِرَ بَأْسًـا شَـدِيدًا مِـنْ لَدُنْــهُ وَيُبَشِّــرَ الْمُــؤْمِنِينَ الَّــذِينَ يَعْمَلُــونَ الصَّــالِحَاتِ أَنَّ لَهُــمْ أَجْـرًا حَسَـنًا * مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا * وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴾** .

فالحمد لله لفظة لها فضل كبير في دين الإسلام ، فعن جابر بن عبد الله يقول : سمعت رسول الله _صلى الله عليه و سلم_ يقول : ((أفضل الذكر لا إله إلا الله ، و أفضل الدعاء الحمد لله)) [(1)] ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله _صلى الله عليه و سلم_ : ((من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن هي خداج هي خداج غير تمام فقلت : يا أبا هريرة إني أحيانا أكون وراء الإمام فغمز ذراعي وقال : اقرأ بها يا فارسي في نفسك فإني سمعت رسول الله_ صلى الله عليه و سلم_ يقول قال الله عز و جل: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل قال رسول الله _صلى الله عليه و سلم_ : ((اقرؤوا يقول العبد : ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ يقول الله : حمدني عبدي يقول :﴿ **الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**﴾ يقول :الله أثنى علي عبدي يقول العبد : ﴿ **مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**﴾ يقول الله : مجدني عبدي وهذه الآية بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل يقول العبد ﴿ **اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ**﴾ فهؤلاء لعبدي ولعبدي ما سأل)) [(2)].

ويتبين من خلال اعتناء الشارع الحكيم بتعليمنا حمده في كل حال وعند كل أمر مدى عظم فضل حمده سبحانه و تعالى ، فهي ذكر وثناء ودعاء واعتراف بالتزام عهد العبودية له دون غيره سبحانه وتعالى .

كما أن سياق الآيات في السورة يؤكد حقيقة أن هذا الكتاب ليس لبشر أن يأتيه فكيف لبشر أن يتخير ألفاظه فلا يحدث خللا في نظمه ولا تتضاد حقائقه ومعانيه على مر الأزمان والعصور ، ولا تتعدد وتتباين أهدافه مهما كانت الظروف والأحوال﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾ [(3)].

كما أن القرآن الكريم أخبرنا بحقيقة الدنيا التي نعيشها قال تعالى ﴿ **إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا**﴾ ؛ لئلا نفتتن بها وتجرنا عن الغاية التي خلقنا لأجلها قال تعالى : ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا**

([1]) أخرجه ابن ماجه في سننه . كتاب الأدب ، باب فضل الحامدين ، رقم 3800 ، 4 /711 ، قال الألباني: حسن.
([2]) أخرجه النسائي في سننه الكبرى .كتاب فضائل القرآن ، باب فضل فاتحة الكتاب ،رق8012 ، 11/5..
([3]) سورة الحجر، الآية : 9 .

لِيَعْبُدُونِ﴾ [1]و جعلها مثلا و دليلا على حقيقة و قضية من قضايا العقيدة ،ألا وهي البعث قال تعالى : ﴿ **وَاضْرِبْ** ﴾ يا سيد الرسل ﴿ **لهُم** ﴾ لقومك على صحة البعث ﴿ **مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ** ﴾ من كل صنف ونوع وجنس ولون وشكل كان ملتفا بعضه على ببعض متكاثفا زاهيا رابيا تهتز به الأرض ابتهاجا وحسنا ﴿ **فَأَصْبَحَ** ﴾ بعد ذلك ﴿ **هَشِيمًا** ﴾ يابسا مفتتا ﴿ **تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ**﴾ ، واعلم أن كلمتي تذروه و الذاريات لم تكررا في القرآن، أي: تنسفه يمينا وشمالا ﴿ **وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا** ﴾ ضرب اللّه تعالى هذا المثل يشبه به حال الدنيا في نضارتها وزينتها وما يطرأ عليها من الهلاك والفناء بالنبات في الأرض يخضر ويزهو ثم ييبس ويتكسر فتطيره الرياح ، ثم يحييه اللّه تعالى بالمطر فيعود كما كان كأن لم يطرأ عليه شي ء، وهكذا الخلق ينشأ من الماء أيضا فيكثرون ويتباهون بالأموال والأولاد والرياسة والجاه ، ثم يموتون ، ثم يحييهم اللّه تعالى كما كانوا ، ثم يعاملون بمثل أعمالهم ، فيحيا حياة طيبة دائمة من حيّ على بينة ويهلك هلاكا قبيحا دائما من هلك على بينة .

السورة الكريمة تبرز نوعا من الأساليب التي استعملها القرآن الكريم لبيان معانيه و لتحقيق أهداف البارئ _ سبحانه وتعالى _ والتي تدور حول تعليم الإنسان كيف يتعبد من خلال حياته فيعيش بذلك سعيدا في دنياه وآخرته .

ذلك الأسلوب هو الأسلوب القصصي الذي نبه الله تعالى إلى أن ثمرته لا تكون إلا لأولي الألباب الذين يتعظون ويعتبرون من أخبار الآخرين ، فيهتدون بهدى الصالحين المقتدين بهدى النبي_ صلى الله عليه وسلم_ ، و يبتعدون عن نهج الخاسرين الضالين .

كما أن دراسة قصص هذه السورة أفصحت عن منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله وبينت أنه يقوم في بدءه على معالجة العقيدة ؛ لذا كان للعقيدة محل الصدارة و الابتداء في الدعوة ، مما يدل على أهمية العقيدة و عظيم أثرها في حياة الإنسان المسلم .

---

[1]سورة الذاريات، الآية : 56 .

لقد وردت القصص في السورة ؛ لتخدم هدفين هدف خاص يتمثل في بيان الفتن وكيف يعصم الإنسان منها نفسه ، وهدف عام يقوم ويعني ببيان سنة حتمية قدرها الله لكل عبد من عباده وهي حقيقة البعث ، فجاءت تلك القصص لتربي الإنسان على الاستعداد ليوم البعث و ما فيه من حساب و جزاء .

ولقد علمنا الله سبحانه و تعالى في جميع قصص السورة إلى ضرورة رد العلم إليه ، وأن نؤمن بالقضاء والقدر ، وأن نأخذ بالأسباب التي تثمر نتائج مفيدة، وحثنا من خلالها على أن نعلم أن العمل و العبادة متلازمان مما يقضي بأن نقصد بكل عمل وجه الله تعالى .

كما أن فاتحة السورة وخاتمتها تتوافقان في كثير من الدلائل و المعاني غير أن خاتمتها أفصحت عن حقيقة جزاء المؤمنين والكافرين ، و أن كلام الله عظيم لا يضاهيه شيء، ثم اختتمت بالتذكير بحقيقة البعث التي تبعث في نفس من اعتقد بها إلى العمل والاستعداد للقاء ربه عز وجل .

وإن كان من توصيات وتوجيهات أبديها فأول ما أحث عليه هو تعهد القرآن الكريم بالتلاوة والتدبر، وتعليمه للنشء ؛ لينشأ صالحاً مؤثراً في مجتمعه .

كما أدعو أهل الإسلام من الإستفادة من هذا الكتاب الكريم الذي أشتمل على كافة العلوم والمعارف، وذلك بمطالعة آياته والبحث في أسراره ومعانيه وأنبه إلى ضرورة أن يكون الإنسان المؤمن ذا اعتقادٍ ويمينٍ جازمٍ فيحصن نفسه بأذكار نبيه عليه الصلاة والسلام ، ذلك النبي الذي لم يذكر سبيلاً للخير والفلاح إلا حث عليه ، ولم يعلم سبيلاً للضلالة إلا نبه عليه ونفّر منه .

و لا أغفل عن ضرورة التنبيه إلى مراعاة جانب القداسة و الاحترام الكامل عند التعامل مع شخوص القصة ؛ أولئك الأنبياء الذين حفظ الله لهم مكانة و منزلة تليق بهم ، وجعل ذلك من أسس الإيمان الصحيح .

ولأن العقيدة التي تتجلى في القصص القرآني لها أثر بيّن في حياة الفرد و المجتمع ، ولما كان محلها القلب و أدواتها الجوارح دل ذلك على عظيم الفائدة التي تترتب على توظيف هذا المعنى في الجانب التربوي .

و الحمد لله أحمده حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه أن جعل لي من حياتي عمراً عشت فيه مع كتابه الكريم ابحث في معانيه ، والصلاة والسلام على خير من نزل عليه القرآن الكريم، فعلمنا وهذب أخلاقنا بما يحقق لنا معنى العبودية الحقيقة لله تعالى ، ويبين لنا كيف نتهيأ ليوم البعث والجزاء صلى عليه الله وعلى آله وأصحابه من واهتدى بهداهم إلى يوم الدين .

وبعد ...فهذا ما وفقني إليه ربي _سبحانه وتعالى_ فله الحمد والثناء دوما ، فإنْ كان صواباً فبفضلٍ من الله عز وجل ، وإنْ كان من تقصير فَمِنْ نفسي ، ومن الشيطان ، والله تعالى أرجوا بهذا العمل خالصاً لوجهه الكريم .

فهرس الآيات القرآنية

ر.ق	النص القرآني	السورة	رقم الآية	الصفحة

سورة البقرة				
1.	إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا	البقرة	26	29
2.	وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ	البقرة	54	95
3.	وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ	البقرة	60	59
4.	الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ	البقرة	146	55
5.	يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ	البقرة	185	160
6.	رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً	البقرة	201	57
7.	أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ	البقرة	259	99
سورة آل عمران				
8.	لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ	آل عمران	5	181
9.	رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا	آل عمران	8	57
10.	إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ	آل عمران	190	92
11.	رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ	آل عمران	194	57
سورة النساء				
12.	يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ	النساء	120	45
13.	وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا	النساء	100	166
سورة المائدة				
14.	إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ	المائدة	6	72
15.	قَالَ رَجُلَانِ	المائدة	23	75
سورة الأنعام				
16.	مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ	الأنعام	6	73
سورة الأعراف				

الرقم	الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
.17	قل من حرم زينة الله	الأعراف	32	81
.18	وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته	الأعراف	57	96
سورة يونس				
.19	أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون	يونس	8	55
سورة يوسف				
.20	يا أبت إني رأيت	يوسف	4	59
.21	سبع بقرات سمان	يوسف	46	59
.22	نصيب برحمتنا من نشاء	يوسف	56	157
.23	وفوق كل ذي علم عليم	يوسف	76	45
.24	لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب	يوسف	111	160
سورة الرعد				
.25	وإن تعجب	الرعد	5	97
سورة إبراهيم				
	لئن شكرتم لأزيدنكم	إبراهيم	7	45
.26	ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون	إبراهيم	25	28
سورة الحجر				
.27	إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون	الحجر	9	1
سور النحل				
.28	وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها	النحل	18	1
.29	وما أنزلنا عليك الكتاب	النحل	64	2
سورة الإسراء				
.30	سبحان الذي أسرى بعبده	الإسراء	1	20

.31	وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ	الإسراء	85	16
.32	وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا	الإسراء	85	16
.33	وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا	الإسراء	49	96
.34	وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ	الإسراء	105	21
.35	وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا—	الإسراء	105	21
.36	وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ	الإسراء	111	20
سورة الكهف				
.37	الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ	الكهف	1	15
.38	لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا	الكهف	2	21
.39	وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا	الكهف	4	21
.40	- فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ	الكهف	6	33
.41	أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ	الكهف	9	40
.42	نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم	الكهف	13	40
.43	وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ	الكهف	16	14
.44	لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ	الكهف	18	52
.45	فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا	الكهف	19	24
.46	وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ	الكهف	27	43
.47	وَاصْبِرْ نَفْسَكَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا	الكهف	28	8
.48	ما شاء الله لا قوة إلا بالله	الكهف	39	9
.49	يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا	الكهف	41	35
.50	وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ	الكهف	41	36
.51	هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ	الكهف	43	36

52.	وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ	الكهف	45	30
53.	وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ	الكهف	50	7
54.	أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاء	الكهف	50	34
55.	وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ	الكهف	57	28
56.	وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ	الكهف	60	108
57.	فَلَمَّا جَاوَزَا	الكهف	61	25
58.	حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ	الكهف	61	25
59.	قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ	الكهف	65	35
60.	قال له موسى هَلْ أَتَّبِعُكَ	الكهف	65	35
61.	لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا	الكهف	73	13
62.	قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ	الكهف	74	13
63.	أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ	الكهف	78	45
64.	وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ	الكهف	82	28
65.	قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا	الكهف	84	
66.	فَأَتْبَعَ سَبَبًا	الكهف	85	26
67.	قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا	الكهف	103	9
68.	إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا	الكهف	107	17
69.	إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ	الكهف	110	9
70.	قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ	الكهف	110	15
سورة الأنبياء				
71.	لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا	الأنبياء	22	91
72.	خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ	الأنبياء	37	109

سورة المؤمنون				
.73	أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً	المؤمنون	116	98
سورة النور				
.74	وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ	النور	20	80
سورة الفرقان				
.75	وَقَالَ الرَّسُولُ	الفرقان	30	2
.76	تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً	الفرقان	63	92
سورة الشعراء				
.77	قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ	الشعراء	22	69
.78	لَئِنْ أتخذت إلهاً غيري	الشعراء	28	70
.79	قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ	الشعراء	50	70
.80	فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ	الشعراء	60	177
.81	قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ	الشعراء	62	73
.82	اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ	الشعراء	63	73
.83	**سورة النمل**			
.84	قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي	النمل	40	195
.85	**سورة القصص**			
.86	وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ	القصص	68	196
.87	وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ	القصص	76	45
سورة الروم				
.88	وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ	الروم	27	96
.89	قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا	الروم	41	201

سورة فاطر				
90.	إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ	فاطر	28	2
91.	وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ	فاطر	44	96
سورة يس				
92.	إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ	يس	82	11
سورة الصافات				
93.	وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ	الصافات	104	162
سورة ص				
94.	رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا	ص	35	167
95.	أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ	ص	75	113
سورة الزمر				
96.	اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا	الزمر	42	98
سورة فصلت				
97.	وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً	فصلت	39	97
سورة محمد				
98.	الَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى	محمد	17	66
99.	أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا -	محمد	24	2
100.	أفلا يتدبرون القران أم على قلوب أقفالها	محمد	24	27
سورة الذاريات				
101.	وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ	الذاريات	56	44
سورة النجم				
102.	وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى	النجم	3	60

سورة الواقعة				
.103	نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ	الواقعة	60	97
سورة المجادلة				
.104	يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ	المجادلة	11	155–107
سورة التحريم				
.105	ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً	التحريم	10	31
.106	وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ	التحريم	12	31
سورة الجن				
.107	إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا	الجن	1	1
.108	وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ	الجن	23	128
سورة القيامة				
.109	أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ	القيامة	35	98
سورة المطففين				
.110	كِتَابٌ مَّرْقُومٌ	المطففين	9	50
سورة الطارق				
.111	فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ	الطارق	10	36
سورة الأعلى				
.112	قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ	الأعلى	14	81
سورة الفجر				
.113	أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ	الفجر	6	201
سورة العلق				
.114	اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ	العلق	1	3

سورة التكاثر				
115.	ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ	التكاثر	7	99
سورة الفيل				
116.	أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ	الفيل	1	201
سورة النصر				
117.	فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ	النصر	3	20

فهرس الأحاديث النبوية

.26	سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله	66
.27	سمي ذا القرنين	172
.28	الصلاة أمامك	145
.29	غير الدجال أخوف لي عليكم	15
.30	فتاه بن نون	118
.31	فتح اليوم من ردم يأجوج و مأجوج	188
.32	كان رجل يقرأ سورة الكهف	19
.33	لا اله إلا الله ويل للعرب	188
.34	لا يتم بعد بلوغ	147
.35	لا يتم بعد احتلام و لا صمات يوم إلى الليل	148
.36	لا يقولن أحدكم عبدي وأمتي	117
.37	مالي ومالهم مالي علم إلا ما علمني الله	168
.38	ما انجاب ماء	123
.39	المؤمن الذي يخالط الناس	58
.40	المسلمون عند شروطهم	160
.41	مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ	15
.42	من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن	210
.43	من عادى لي وليا	202
.44	من لا يشكر الناس لا يشكر الله	4
.45	نار الله الحامية	176
.46	نزلت سورة الكهف جملة	18
.47	هل تستطيع أن تريني	125
.48	هو ملك مسح الأرض بالإحسان	171
.49	وكان الاول من موسى نسيانا	130

تــــرجمــــة الأعـــلام

ابن كثير : هو أبو الفداء إسماعيل بن عمر ، عماد الدين الخطيب القرشي البصراوي الشافعي ، ولد سنة 701هـ/1301 م في دمشق ، و أخذ العلم سماعا عن يوسف المزي وابن تيمية شيخ الحنابلة و شاركه محنته ، عين أستاذ للحديث في زاوية أم صالح في دمشق سنة 748هـ /1347م ، و درس فترة قصيرة في المدرسة الاشرقية ، توفي سنة 774هـ /1383م و لديه العديد من المؤلفات منها : البداية و النهاية ، تفسير القرآن العظيم .[1]

الألوسي : محمد بن عبد الله الحسيني الألوسي (شهاب الدين أبو الثناء) مفسر ، محدث فقيه أديب لغوي نحوي مشارك في بعض العلوم ومن تصانيفه :روح المعاني في تفسير القرآن و السبع المثاني . [2]

جلال الدين السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن عثمان بن محمد بن حضر بن أيوب بن محمد بن همام الدين الخضري الخضيري الأصل الطولولي المصري الشامي جلال الدين أبو الفضل ،ت:911هـ ، من مؤلفاته الدر المنثور في التفسير المأثور ، و المزهر في اللغة . [3]

الرازي : محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين بن علي التميمي البكري الطبرستاني الرازي الشافعي ، المعروف بالفخر الرازي وبابن خطيب الراي (أبو عبد الله فخر الدين أبو المعالي)مفسر ، متكلم فقيه أصولي حكيم أديب شاعر طبيب له العديد من المصنفات منها : مفاتيح الغيب في تفسير القرآن .[4]

الزركشي :محمد بن بهادر بن عبد الله المصري الزركشي الشافعي (بدر الدين أبو الله) فقيه ، أصولي ، محدث ، أديب تركي الأصل ، مصري المولد ، ومن تصانيفه : البحر في أصول الفقه في ثلاثة أسفار. [5]

---

[1]- ينظر تاريخ الأدب العربي . بروكلمان ، القسم السادس (10_11)، ص183 .

[2] - ينظر معجم المؤلفين .عمررضا كحالة ،(دار إحياء التراث العربي ، بيروت :لبنان) ج : 12، ص 175 .

[3] -ينظر معجم المؤلفين : عمر رضا كحالة .ج:5 ،ص 128 .

[4] - **معجم** المؤلفين . ج11 ، ص 97 .

[5] ينظر معجم المؤلفين . عمر رضا كحالة ، ج:9 ، ص121 .

الزمخشري : أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، ولد في زمخشر في خوارزم سنة 1075 ،وقام في شبابه بأسفار علمية بعيدة ، و أقام بمكة مدة طويلة بعد أن حج البيت و لهذا سمي جار الله ، وقد شغلته علوم اللغة على الأخص إلى جانب تفسير القرآن ، توفي بالجرجانية في خوارزم سنة 1144هـ. [1]

صبحي الصالح : عالم معاصر، له العديد من المؤلفات من بينها مباحث في علوم القرآن.

الطبري : أبو جعفر بن جرير الطبري ، ولد في بلدة أمل من بلدان طبرستان ، 839م ، فارسي الأصل ، وله العديد من المؤلفات ، ولم يقتصر جهده على علوم الحديث و التاريخ بل تجاوز ذلك إلى تفسير القرآن و علوم الفقه ، وتوفي ببغداد سنة 923م . [2]

القرطبي : محمد بن أحمد بن محمد بن يحي بن مفرج الأموي مولاهم القرطبي المعروف والده بالقيتوري (أبو عبد الله) محدث ، فقيه ، صنف له عدة كتب منها الجامع لأحكام القرآن . [3]

محمد الطاهر بن عاشور : رئيس المفتيين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة ، وفروعه بتونس مولده ووفاته ودراسته بها ،عين عام 1932م شيخا للإسلام في دمشق و القاهرة ، له مصنفات مطبوعة من أشهرها "مقاصد الشريعة الإسلامية ، والتحرير و التنوير في تفسير القرآن " [4]

فهرس المصادر والمراجع

1. الإتقان في علوم القرآن .جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ؛ تحقيق سعيد المندوب ؛ (دار الفكر، بيروت : لبنان ، 1996 م) .

[1] تاريخ الأب العربي . بروكلمان ، القسم الثالث (5_6)، ص 218 .
[2] تاريخ الأدب العربي . بروكلمان ، ترجمة : محمد فهمي حجازي، القسم الثاني ، الهيئة العامة للكتاب ، ص 47

[3] معجم المؤلفين عمر رضا كحالة ،ج:9 ، ص19 .
[4] الأعلام . خير الدين الزركلي؛ط12 ، (دار الملايين ، بيروت : لبنان ،1997م)، ج:6 ، ص174 .

2. أضـواء البيـان فـي إيضـاح القرآن بـالقرآن . محمـد الأمـين بـن محمـد بـن المختـار الجكنـي الشـنقيطي؛ تحقيـق : مكتـب البحـوث والدراسـات؛ (دار الفكر، بيروت : لبنان، 1995 م).

الأعـلام . خيـر الـدين الـزركلين ؛ الطبعـة الثانيـة عشـر (دار العلـم للملايـين ،بيروت : لبنان 1997ف)

3. إمعـان القـرآن فـي نظـم الآي والسـور . محمـد عنايـة الله أسـد سـجاني الطبعة الأولى ؛ (دار عمان ، عمان :الأردن ، 2003).

4. البحـر المحـيط فـي التفسـير . محمـد بـن يوسـف الشـهير بـابي حيـان الأندلسي الغرناطي ؛ بعناية الشيخ زهير جعيد ؛ (دار الفكر،1992 م).

5. البحـر المديـد (تفسـير ابـن عجيبـة). احمـد بـن محمـد بـن المهـدي بـن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي أبو العباس ؛ الطبعة الثانية؛ (دار الكتب العلمية ،بيروت : لبنان ،2002م) .

6.البـدور الزاهـرة فـي القـراءات العشـر المتـواترة مـن طريقـي الشـاطبية والـدُّرة – القـراءاتُ الشـاذةُ وتوجيههـا مـن لغـة العـرب . عبـد الفتـاح بـن عبـد الغنـي بـن محمـد القاضـي (المتـوفى: 1403هـ)،(دار الكتـاب العربـي بيـروت : لبنـان) .

6. البرهـان فـي علـوم القـرآن . بـدر الـدين محمـد بـن عبـد الله الزركشـي تحقيـق: محمـد أبـو الفضـل إبـراهيم ؛ (دار الجيـل ، بيـروت : لبنـان 1988م).

7. بلاغـة تصـريف القـول فـي القـرآن الكـريم . عبـد الله محمـد النقـراط الطبعـة الأولى؛ (دار قتيابة ، 2002م).

8. تـاج العـروس مـن جـواهر القـاموس . محمـد بـن محمـد بـن عبـد الـرزاق الحسـيني أبـو الفـيض الملقـب بمرتضـى الزبيـدي ؛تحقيـق : مجموعـة مـن المحققين؛ (دار الهداية).

تـاريخ الأدب العربـي . ألفــه بالألمانيـة :كـارل بروكلمـان ،تر:محمـود فهمـي حجازي ، (الهيئة المصرية العامة للكتاب) .

9. تـأملات فـي قصـة أصـحاب الكهـف . إعـداد احمـد محمـد الشـرقاوي العـدد السابع عشر، 2004م.
10. تفسـير ابـن أبـي حـاتم .أبـو محمـد عبـد الـرحمن بـن أبـي حـاتم الـرازي تحقيق: أسعد محمد الطيب؛(دار المكتبة العصرية ،صيدا : لبنان) .
11. تفسـير التحريـر والتنوير.محمـد الطـاهر بـن عاشـور؛ (دار سـحنون تونس 1977م) .
12. تفسـير الجلالـين . جـلال الـدين المحلـي وجـلال الـدين السـيوطي؛ راجعـه :محمد محمد تامر ؛الطبعة الأولى ؛(دار الآفاق العربية ، 2004 م) .
13. التفسـير الحـديث. محمـد عـزت دروزة ؛(دار إحيـاء الكتـب العربيـة القاهرة : مصر،1383ق) .
14. تفسـير الطبـري .أبـي جعفـر محمـد بـن جريـر الطبـري ؛تحقيـق : احمـد محمد شاكر ؛الطبعة الأولى ؛(مؤسسة الرسالة ، 2000م) .
15. تفسـير القـرآن العظـيم . عمـاد الـذين أبـى الفـداء إسـماعيل ابـن كثيـر القرشي الدمشقي ؛ (دار الأندلس) .
16. التفسـير القرآنـي للقـرآن . عبـد الكـريم الخطيـب؛(دار الفكـر ، القـاهرة مصر)
17. تفسـير القرطبـي .(دار إحيـاء التـراث العربـي ، بيـروت : لبنـان 1966 م) .
18. التفسـير الكبيـر. فخـر الـدين محمـد بـن عمـر التميمـي الـرازي الشـافعي دار الكتب العلمية، بيروت : لبنان ،2000م .
19. تفسـير الكشـاف . أبـي القاسـم جـار الله محمـود بـن عمـر بـن محمـد الزمخشـري؛ رتبـه : محمـد عبـد السـلام شـاهين ؛ ط3 ؛(دار الكتـب العلمية،بيروت : لبنان ، 2003م).
20. تفسير محاسـن التأويـل . محمـد جمـال الـدين بـن محمـد سـعيد بـن قاسـم الحلاق القاسـمي (المتـوفى: 1332هـ).تحقيق: محمـد باسـل عيـون السود،الطبعة الأولى ،(دار الكتب العلمية ، بيروت : لبنان ،1418ه) .

21. تفسير المراغي . أحمد مصطفى المراغي ؛ خرج آياته وأحاديثه : باسل عيون الأسود؛ (دار الكتب العلمية ، بيروت : لبنان) .
22. تفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج . وهبة بن مصطفى الزحيلي؛ (دار الفكر المعاصر، دمشق : بيروت،1418 ق) .
23. التفسير الواضح. محمد علي الصابوني ؛ الطبعة الحادية عشر المكتبة العصرية ، صيدا : بيروت،2010م) .
24. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. عبد الرحمن بن ناصر السعدي؛ قدم له : عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل؛ محمد الصالح العثيمين؛ تحقيق : عبد الرحمن بن معلا اللويحق؛الطبعة الأولى؛(دار الغد الجديد،2005م)
25. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه. محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري ،أبو عبد الله تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر؛الطبعة الأولى ؛ (دار طوق النجاة:1422هـ).
26. الجواهري في تفسير القران الكريم المشتمل على عجائب بدائع الكون وغرائب الآيات الباهرات . الطنطاوي جوهري المصري؛ ضبطه: محمد عبد السلام شاهين
27. حجة القراءات . عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة أبو زرعة تحقيق:سعيد الأفغاني ،الطبعة الثانية ،(مؤسسة الرسالة ، بيروت : لبنان ،1402هـ) .
28.الدر المنثور .عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي ؛(دار الفكر، بيروت : لبنان ، 1993م) .
29. روح المعاني في تفسير القران العظيم والسبع المثاني . شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي؛ ضبطه :علي عبد الباري عطية؛(دار الكتب العلمية ، بيروت : لبنان) .

30 . الـروض الأنـف فـي تفسـير السـيرة . ابـن هشـام ؛ (دار المعرفـة بيـروت : لبنان) .
31. زاد المسـير فـي علـم التفسـير.عبد الـرحمن بـن علـي بـن محمـد الجـوزي ؛ الطبعة الثالثة ؛(المكتب الإسلامي ، بيروت : لبنان، 1404هـ) .
32. سـنن ابـن ماجـه . محمـد بـن يزيـد أبـو عبـدالله القزوينـي ؛ تحقيق:محمـد فؤاد عبد الباقي ؛(دار الفكر، بيروت : لبنان) .
33. سـنن أبـي داود .أبـو داود سـليمان بـن الأشـعث السجسـتاني؛(دار الكتاب العربي ، بيروت : لبنان) .
34. السنن الكبرى للنسائي .
35. سـنن نسـائي بشـرح السـيوطي وحاشـية السـندي . أبـو عبـد الـرحمن أحمـد بـن شـعيب النسـائي؛ تحقيـق : مكتـب تحقيـق التـراث؛ (دار المعرفـة، بيـروت : لبنان 1420هـ)
36. السـيرة النبويـة.ابن هشـام؛ تحقيق:مصـطفى السـقا ؛إبـراهيم الابيـاري عبـد الحفيظ شلبي؛ (مؤسسة علوم القرآن) .
37. صـحيح البخـاري. أبـي عبـد الله بـن إسـماعيل بـن إبـراهيم البخـاري تـرقيم وترتيـب :محمـد فـؤاد عبـد البـاقي ؛ تقـديم :احمـد محمـد شـاكر؛ (مكتبـة عبـاد الرحمن ، مصر) .
38. صـحيح البخـاري بحاشـية السـندي. أبـي عبـد الله محمـد بـن إسـماعيل البخاري؛(دار المعرفة، بيروت : لبنان).
39. صـحيح مسـلم "الجـامع الصـحيح . (دار الجيـل بيـروت + دار الأفـاق الجديدة ، بيروت : لبنان) .
40. صـفوة التفاسـير . محمـد علـى الصـابوني ؛ (المكتبـة الفيصـلية ، مكـة المكرمة).
41. ظـلال الجنـة فـي تخـريج السـنة .ابـن أبـي عاصـم محمـد ناصـر الـدين الألباني؛ الطبعة الثالثة (المكتب الإسلامي ، بيروت : لبنان ، 1993 م).

42. فتح القدير الجامع لأحكام الرواية والدراية. محمد بن علي بن محمد الشوكاني ؛اعتنى به : يوسف الغوش؛ (دار المعرفة ، بيروت : لبنان) .

43. الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية. نعمة الله بن محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان (المتوفى: 920هـ) الطبعة الأولى(مصر،الغورية :دار ركابي ، الغورية : مصر ،1419هـ) .

44. (في ظلال القرآن) . سيد قطب ؛ الطبعة السابع عشر؛ (دار الشروق، 1992 م) .

45. قصص الأنبياء أبي الفداء إسماعيل بن كثير؛ تحقيق وتعليق : عصام الدين الصبابطي ؛ الطبعة الأولى (دار الفجر للتراث ، القاهرة : مصر) .

46. قصص الرحمن في ظلال القرآن . أحمد فائز الحمصي؛ (مؤسسة الرسالة).

47. قصص القرآن . إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ؛ جمع وترتيب : أحمد بن شعبان بن محمد؛ الطبعة الأولى؛ (مكتبة الصفا ؛ 2003م) .

48. القصص القرآني إقناع و إبداع . السيد عسكر؛ الطبعة الأولى؛ (دار البشير للثقافة والعلوم،طنطا :مصر، 2000م).

49. كتاب Secrets Of Sleep " أسرار النوم " "ألكسندر بور بلى" Alexander A. Borbély، MD .

50. كتاب العظمة .عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأصبهاني تحقيق:رضاء الله بن محمد ؛الطبعة الأولى؛(دار العاصمة ،الرياض السعودية ، 1408هـ) .

51. كتاب العين .أبي عبد الرحمن الخليل بن احمد الفراهيدي ؛ تحقيق :مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي؛ (دار ومكتبة الهلال).

52. كشف المشكل . ابن الجوزي ، تحقيق: مصطفى الذهبي ؛ الطبعة الأولى؛(دار الحديث ،القاهرة : مصر، 2000ف).

53. كنـز العمـال فـي سـنن الأقـوال والأفعـال. عـلاء الـدين علـي بـن حسـام الـدين المتقـي الهنـدي البرهـان فـوري ؛تحقيـق : بكـري حيـاني وصـفوة السـقا ؛الطبعة الخامسة؛ (مؤسسة الرسالة، 1981م) .
54. اللبـاب فـي علـوم الكتـاب . أبـو حفـص عمـر بـن علـي ابـن عـادل الدمشـقي الحنبلـي؛ تحقيـق : عـادل احمـد عبـد الموجـود وعلـي محمـد معـوض ؛الطبعـة الأولى؛ (دار الكتب العلمية ،بيروت : لبنان، 1998م) .
55. مباحـث فـي علـوم القـران . صـبحي الصـالح ؛ الطبعـة الأولـى ؛ (دار العلم للملايين : 1959 م).
56. مجلة العربي . حزيران 1989 .
57. مجمـع الزوائـد ومنبـع الفوائـد . نـور الـدين علـى بـن أبـى بكـر الهيثمـى الطبعة الثانية ؛ (دار الكتاب،بيروت : لبنان، 1967م).
58. المحتسـب فـي تبيـين وجـوه شـواذ القـراءات والإيضـاح عنهـا. أبـو الفـتح عثمـان بـن جنـي الموصـلي (المتـوفى: 392هــ)، وزارة الأوقـاف–المجلـس الأعلى للشئون الإسلامية،1420هـ) .
59. المحـرر الـوجيز فـي تفسـير الكتـاب العزيـز. أبـو محمـد عبـد الحـق بـن غالـب بـن عطيـة الأندلسـي ؛ عبـد السـلام عبـد الشـافي محمـد؛ الطبعـة الأولـى؛(لبنان، بيروت : دار الكتب العلمية ، بيروت: لبنان ،1993م).
60. المصـباح المنيـر. أحمـد بـن محمـد بـن علـي الفيـومي المقـري؛ يوسـف الشيخ محمد؛(المكتبة العصرية).
61. معـالم التنزيـل. أبـو محمـد الحسـين بـن مسـعود البغـوي؛ تحقيـق: محمـد عبـد الله النمـر، عثمـان جمعـة ضـميرية، سـليمان مسـلم الحـرش؛ الطبعـة الرابعة؛(دار طيبة،1997م).
62. المعجـزة الخالـدة معجـزة القـران الكـريم . محمـد متـولي الشـعراوي الطبعـة الأولى؛(لبنان ، بيروت: المكتبة العصرية ،صيدا :لبنان،2005م)

63. المعجم الأوسط. أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني؛ تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد ،عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني؛ (دار الحرمين، القاهرة : مصر 1415هـ) .

معجم المؤلفين . عمر رضا كحالة ؛(دار إحياء التراث العربي ،بيروت :لبنان) .

64. الموطأ . لمالك بن أنس ؛ تحقيق : محمد مصطفى الأعظمي الطبعة الأولى؛ (مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان ، 2004م).

65. الميزان في تفسير القران . محمد حسين الطباطبائي؛ الطبعة الثانية؛(منشورات الأعلى للمطبوعات ،بيروت : لبنان).

66. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور . برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي ؛الطبعة الثانية؛ (دار الكتب العلمية، بيروت لبنان،2002 م)

67. (تفسير الماوردي) النكت والعيون . أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري ؛ تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم (دار الكتب العلمية ، بيروت : لبنان) .وو

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة